الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإسلامية و الحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية.

عنوان المذكرة:

دلالات الحوار في القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة والدراسات القرآنية.

إعداد الطالب:

طواولة عثمان.

تحت إشراف:

الأستاذ الدكتور: سلطاني الجيلالي.

السنة الدراسية: 2006 - 2007م / 1427 -1428 هـ

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده، لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

- أبو عماد الأصفهاني-

" ما أحد حاول تصنيف كتاب إلا وقد خصّه بوصف يغلب على ظنّه أنه لم يسبق إليه، وأنه لظن يخطر ولا يكاد يصيب، ومع هذا فإن دواعي التأليف لا تنقطع واللّهم فيه دائما لا تمتنع.... "

- ابن الأثير -

إهـــــــــــداء

إلى كل من يصدق فيه قول الله تعالى:

قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨

- سورة يوسف الآية108-

شكر وعرفان

إني أجد لزاما على نفسي أن أعترف بالفضل لأهل الفضل تقديرا و عرفانا بجهودهم التي بدلوها في إخراج البحث على أفضل صورة.

فأبدا بالشكر الجزيل والعرفان الكبير،للأستاذ الفاضل الدكتور سلطاني الجيلالي الذي تكرم بالإشراف على البحث من بدايته إلى نهايته، حيث أفادني من خبرته و إرشاداته فجزاه الله عني وعن زملائي الطلبة خير الجزاء.

وأشكر أيضا الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الحليم بن عيسى على عنايته وخبرته العالية وما قدمه لي من الملاحظات و نصائح قيّمة متعلقة بالجانب المنهجي و العلمي.

وأوجه شكري وعرفاني إلى كلّ أعضاء اللجنة على جهودهم في توفير الجوّ المناسب لمناقشة هذا البحث، فجزاهم الله جميعا خير الجزاء، وجعل عملهم هذا في ميزان حسناتهم.

المقدمة:

إن الخوض في دراسة الخطاب القرآني، ليس بالأمر الهين ، وذلك بالنظر إلى قداسته ومصداقيته مما يوجب الحذر من الوقوع في مزالق الفهم الخاطئ والتأويل المغلوط، إذ على الباحث فيه أن يتحسس مواصفاته الأدائية والبيانية، حتى يفقه الخصوصية الخطابية لهذا النص المقدس، ويقف على إبداعيته وجماليته، وما حواه من الأغراض، التي تنسجم مع هذه الرسالة الإلهية.

وقد ظل الخطاب القرآني يمارس فعاليته الدعوية على اختلاف مقاصده النبيلة، مستعينا في ذلك بالوسائل والأساليب التوصيلية، التي أهلت الإنسان العربي لحمل لواء هذا الدين ذي الطابع الرسالي الحضاري.

ومن تلك الأساليب المستعملة، " أسلوب الحوار " وما تميز به من خصائص أسلوبية إعجازية متجانسة.

ومنذ نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم كان الخطاب القرآني بأسلوبه الحواري يمارس فاعليته الدعوية على أساس تبليغي لجميع العقليات البشرية، مراعيا في ذلك الجوانب والمعطيات النفسية والواقعية والثقافية، بأسلوب مستديم يشمل الإطار الزمني و المكاني، مما يدل على عالمية هذا الدين وشموليته لجميع مناحي الحياة الإنسانية.

وقد طرق موضوع الحوار في القرآن الباحثون القدماء والمحدثين، لكن طريقة الدراسة عند الأولين كالخطابي والرماني والزملكاني والباقيلاني والجرجاني وغيرهم، اتسمت في أغلبها بالإيحاء والإشارة،واقتصرت هذه الدارسة على الكشف عن إعجازه البياني والبلاغي، مثيرة بذلك الثقافة العربية في جانبها الإبداعي والمعرفي.

أما المحدثون فلم يختلفوا عن سابقيهم في التطرق إلى دراسة الحوار القرآني إلا في الشيء اليسير، وهذا الاختلاف ناتج عن معالجة هذا الموضوع في بعض الكتب معالجة مستقلة، وقد اعتمدنا على بعضها في بحثنا، كما اعتمدنا كذلك على بعض كتب

القدامى التي درست الجدل والمناظرة، والقصص القرآني، والإعجاز، فكان أن استلزم دخول الحوار في ثناياها على سبيل الإجمال.

وقد حاولنا في هذا البحث أن نجمع بين طريقتين،طريقة القدامى، وطريقة المحدثين، معتمدا في ذلك على الموروث الثقافي الذي تركه أسلافنا في هذا المجال، غير أن ما يؤاخذ على هذه الدراسات، أنها اكتفت بإيمائها عارضة لموضوع الحوار، وبعض الأحايين ضربت صفحا عن ما تضمنه الحوار القرآني من دلالات ذات أغراض شتى تطرقنا إليها في ثنايا هذا البحث.

وللإشارة، فإن علم الدلالة، علم ينطلق من التراث المعرفي الذي غشيه الأسلوب المنهجي في إنتاج المادة التي يحتاج إليها الدارس و الباحث، فالقراءة المتفحصة لموضوع الدلالة، مستمدة من هذا التراث العربي الإسلامي، لتكشف سر التأويلات، على مستوى النص القرآني، وتناوله بكيفية، تبين مدى الإعجازية لهذا النص الإلهي.

فعلم الدلالة، نظام كلي وبنية محتواة في مضامين الخطابات القرآنية، ومن المعلوم لدى الكثير من الدارسين لأسلوب القرآن الكريم، أن لغته اجتماعية ذات طابع دلالي خاص، تستمد نشاطها البنائي من بنيات بلاغية متجانسة، حتى عادت لغة مسيطرة في عمقها الدلالي لدى عامة الناس في جانبها الظاهري، وعند المتخصصين في جانبها الباطني، مما أدى إلى استخلاص أسس جمالية وأدبية للخطاب القرآني، الذي بيّن أيضا الحقيقة الإعجازية في التركيب اللفظي وطريقة سرد الأحداث وترتيبهما زمنيا بالوقائع والأحداث، كما لا ننسى إعجازه من الجانب الدلالي (المعنى) الذي يحيل إلى استخراج أغراض شتى مختلفة باختلاف المضامين القرآنية، ومن بينها على سبيل المثال:التربوية والعقدية، والتشريعية، والأدبية...وغيرها.

فالعلاقة بين الحوار والدلالة، علاقة تلازمية، كون دارس علم الدلالة يسعى إلى الكشف عن المعاني التي دلت عليها حوارات القرآن الكريم في شتى المواضيع، فهي إذن الوسيلة التي يمكن من خلالها التدليل على الظواهر الحوارية وتحليلها على مستويات متعددة.

ولكن الإشكال الذي يطرح هو: هل اقتصرت دراسات الخطاب القرآني على ظاهرة الإعجاز؟ أو أنها اكتفت بتناوله من الجانب البياني والإبداعي، دون النظر إلى ما

حواه، من حوارات تضمنت دلالات ومعاني جليلة تنبني على حقيقة التدبر والتأثر بالنص القرآني؟ أو ماهو البعد الدلالي للحوار في القرآن الكريم؟

إن الإجابات التي نقدمها لهذه التساؤلات، تهدف إلى الكشف عن الدلالة في الحوار القرآني والوقوف على روعة النص القرآني في جميع مستوياته الجمالية الدلالية.من هاهنا وسمنا بحثنا بدلالات الحوار في القرآن الكريم،وجعلناه محتويا على مدخل،وأربعة فصول،وخاتمة.

تحدثنا في المدخل عن نشأة الحوار، ومفهومه من الجانب اللغوي والاصطلاحي، مبينين العلاقة بين الحوار والجدل، والفرق بينهما،ومعرّفين الجدل (الممدوح والمذموم)، مشيرين في الوقت نفسه إلى أنواع الحوار (أشكال الحوار)، ونشأته متطرقين إلى الحوار في الفكر الإنساني ونشأته وفي الأدب العربي ، وإلى مفهومه في الفكر الإسلامي عند علماء الكلام والفلسفة.

وقد أفردنا الفصل الأول لأسلوب الخطاب، مقسمين إياه إلى ثلاثة مباحث، جعلنا: المبحث الأول: لأصول الحوار وآدابه،والمبحث الثاني: طريقة الاستدلال في القرآن الكريم،والمبحث الثالث: للمراتب الحوارية ووظائفها ضمن الخطاب الأدبي.

وخصصنا الفصل الثاني لجماليات الحوار القرآني، موزعين إيّاه على خمسة مباحث:

المبحث الأول: للحوار القصصي في القرآن،والمبحث الثاني: الحوار والمثل القرآني، والمبحث الثالث: الحوار ووظيفته التبليغية التعليمية والتربوية،والمبحث الرابع: خصائص الخطاب الحواري في القرآن،والمبحث الخامس: بعض نماذج أساليب الإقناع في القرآن الكريم.

وقد تضمن الفصل الثالث علم الدلالة في تراثنا العربي، وشمل أربعة مباحث:

أفردنا المبحث الأول: مفهوم الدلالة واتجاهاتها، والمبحث الثاني: دلالة اللفظ من حيث الصيغة والنظم، واشتمل المبحث الثالث: الدلالة من حيث الوضوح والغموض، والمبحث الرابع: دلالة اللفظ من حيث الفحوى والإشارة والاستعمال.

واشتمل الفصل الرابع والأخير على دراسة تطبيقية لدلالات الحوار في القرآن الكريم، مع التمثيل لذلك ببعض النماذج القرآنية.

وفي الخاتمة أبرزت أهم النتائج التي حاولنا التوصل إليها في هذا البحث.

أما المنهج المتبع في هذه الرسالة، فهو المنهج الوصفي، التحليلي كونه يتطرق إلى دراسة الظواهر اللغوية من حيث الألفاظ المحتواة في كثير من النماذج القرآنية،مع تحليل ما تضمنته هذه الأخيرة من دلالات متنوعة.وهو الذي سلكه المتخصصون في علم الإعجاز والبيان على مستوى النص القرآني، فذهبوا يغوصون في أغواره، فرأوا ألفاظه بعينها متساوقة من جهة الخطاب وألوان المنطق، مما أذهلهم عن أنفسهم، لما فيه من هيبة رائعة، وما جمع في أسلوبه من أرقى ما تحس به الفطرة اللغوية من أوضاع البيان،وهذا لأن سر الإعجاز كان على مستوى النظم، فقام هؤلاء الباحثون بتحليل نظم القرآن، تحليلا لغويا وبلاغيا، ولكن لا ننسى تحليل مضامينه ذات الدلالات المختلفة والتي حوتها حواراته.

وتمثلت الصعوبات التي واجهتها ، في طريق بحثي، في كون العنوان جاء مركبا، مما يزيد في شساعة البحث والتشعب في ثناياه، وعدم ضبط الأهم من المهم، مما يدفع إلى الخروج عن ماهية الموضوع، وبالتالي الوقوع في أخطاء منهجية فادحة،والبحث بهذه الصيغة لم يتطرق إليه أحد في حدود ما أعلم،يضاف إلى ذلك أن البحث في هذه المواضيع يستلزم قاعدة صلبة في اللغة والأصول والبلاغة وعلم المنطق، وهذا يحتاج إلى وقت وإلى متخصصين تؤخذ عنهم هذه العلوم مع ملازمتهم، حتى يجد الباحث طريقة ويمتلك أدوات البحث وإن كان في الحقيقة ينطبق على قول الشاعر:

دَعْ عَنْكَ الكِتَابَة قَلَّسْتَ أَهْلاً لَهَا وَإِنْ سَوَّدْتَ وَجْهَكَ بالمِدَادِ

وفي الأخير لا يفوتني أن أنوه بالجهد الكبير والصبر الجميل الذي تحمله أستاذي الفاضل الدكتور سلطاني الجيلالي في قراءة هذه الرسالة وتصويبها، وإفادته إياي بالنصائح والإرشادات، التي أرجو من الله أن تكون في ميزان حسناته يوم القيامة، فله مني كل الشكر، و**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**.

القرآن الكريم هو كلام الله الأعظم، و المعجزة الخالدة لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي تكفل بهداية الناس جميعا، وهو الناموس الإلهي، الذي أنزله الله تعالى، عقيدة ومنهاجا، يقتدى به الناس في دنياهم، و يستضيئون نوره في سلوكهم إلى أخراهم، فيحقق سعادتهم في عاجلهم و آجلهم، فيه نبأ من قبلنا، و خبر من بعدنا، و حكم ما بيننا، هو الجد ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، و من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، و هو حبل الله المتين، و هو الذكر الحكيم، و هو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، لا تنقضي عجائبه، لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا(قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ

أَحَدٗا ۝)[1]، من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي

إلى الصراط المستقيم و هو النور الذي لا تنطفئ مصابيحه، و البحر الذي لا يدرك قعره، وحجة الله البالغة على عباده، لما يحمل في ثنياته من براهين جلية على أن كل ما فيه حق وصدق، فهو المعجزة الخالدة للدين الخالد، و النظام الرفيع للشريعة السامية الرفيعة، فما أجدر المسلمين خاصة، و الإنسانية عامة أن يتجهوا إليه، و يصدرفوا عنايتهم إلى فهمه و استكشاف أسراره، واقتباس أنواره، و التفكر في آياته، مصداقا لقوله تعالى: (بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤)[2].

فكتاب الله هو مرشد الواعظ، و هدف الخلقي، و ضالة الحكيم، و حجة الفقيه، و مثل الأديب، و مرجع اللغوي، و دليل النحوي، و هو المرجع الأول لعلماء الاجتماع والسياسة المدنية، كما أنه مرشد اكتشاف أسرار الكون، و نواميس التكوين.

---

[1]- سورة الجن، الآية 1 – 2 .
[2] - سورة النحل، الآية 44.

لقد كان للقرآن الكريم، أهمية بالغة في الانبعاث الحضاري للغة العربية، كون هذه الأخيرة حازت الأفضلية، و الشرف على سائر اللغات، من خلال نزول القرآن الكريم بها، و ذلك في قوله تعالى:(عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾)[1] ، فقد وصف القرآن الكريم اللسان العربي بالبيان، و هو أبلغ ما يوصف به الكلام، يقول جلال الدين السيوطي: " لما خص الله تعالى اللسان العربي بالبيان علم سائر أن اللغات قاصرة عنه وواقفة دونه"[2]. و قد سبقه في هذا الإمام الشافعي لمّا وصف اللسان العربي بقوله:" و لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا و أكثرها ألفاظا و لا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي"[3]، فمن خلال كلام هؤلاء الأعلام، يتبين أن من صفات اللسان العربي، الوضوح في القصد والإفصاح عن المكنون، و القدرة على التبليغ.

فالمتأمل في الأسلوب القرآني " يحس منذ اللحظة الأولى أنه أمام نوع من النظم العجيب، يختلف عن نظم المبدعين و البلغاء، ينساق بحسه اللغوي وراء تراكيبه فيعمل فيها عقله، و ينسجم معها بوجدانه، ثم لا يلبث فجأة أن يجد نظمه قد خالف ما توقعه، و معناه قد جاوز إدراكه،فيعيد التأمل مرارا ليهتدي إلى سر مجيء اللفظ بإزاء المعنى الذي كان عنه غمض، ولنقرأ قوله تعالى: (إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾)[4] إنك تتساءل سرا، لماذا لم تنته الآية بـ"إنّك أنت الغفور الرحيم"؟، مع أن السياق يوحي بالغفران، و لمن إذا أمعنت النظر في الآية وجدت أن الذي استحق العذاب لا يستطيع أن يغفر له، إلا من كانت سلطته أعلى السلطات، وقوته أعظم القوى و عزته فوق كل عزة، و من كان كذلك، وجب أن يكون متصفا بالحكمة التي يرفدها العقل والمنطق السليم"[5].

وفي القرآن أمثلة كثيرة، تبين مدى تأثيره على اللغة العربية، و إثراؤها بالعلوم والمعارف، عجز العرب عن إنشائها، و في هذا يقول علي عبد الواحد "و بوجه عام فقد أثر

---

[1]- سورة الشعراء، الآية 194 - 195.
[2]- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، بيروت صيدا منشورات المكتبة العصرية طبعة 1416هـ-1996م، ج 1 ص 322.
[3]- الإمام محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة. دار النفائس ط1 1419هـ - 1999م . ص49
[4]- سورة المائدة الآية 118.
[5]- د. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم. بيروت: دار الشروق، ط4، سنة 1980، ص155.

القرآن في اللغة العربية، فتهذبت بفضله، و تنقحت أساليبها، وارتقت في جميع مجالات الفكر،يبدو أثره جليا في الأغراض و الدلالات و الأخيلة و الأساليب و الألفاظ..."[1].

وقد اهتم الباحثون بالقرآن الكريم،فكانت دراستهم له ذات اتجاهات متعددة،وبمناهج متميزة، فمنهم من اتجه إلى تفسيره، و تجلية غوامضه و الكشف عن أسراره، و منهم من اتجه إلى تفسيره تفسيرا علميا، و هناك من اتجه إلى دراسة القرآن الكريم دراسة لغوية و إعرابية و بلاغية، خاصة في جانب الدراسة الأسلوبية للخطاب القرآني الذي ظل يمارس وظيفته الدعوية و التبليغية، على أساس الحكمة، و عقلنة المعطيات في جو حواري تفاعلي، و في هذا الصدد يقول سليمان عشراتي:"لقد ظل الخطاب القرآني يمارس فاعليته التبليغية، بمنطق توصيلي، يرتكز على عقلنة المعطيات في افتراضها،و في طرحها، فكان له ثمة، في فاعلية المحاورة و ربط الصلة الفكرية والروحية مع المتلقي، واسطة تبليغ نافذة و أساسية"[2] .

فلقد ارتكز الخطاب القرآني، على الفنية الدلالية بأبعادها اللونية، الفقهية والعقدية، والأخلاقية، والنفسية...و مدى انسجامها مع المنزع التوصيلي الفطري،و" قد نمت هذه الحركة العلمية اللغوية، ذات الصلة الوشيجة بدراسة الدلالة و المعنى التي دارت حول القرآن الكريم، على يد علماء الدين أولي الأمر، اللذين عكفوا على تلاوته و دراسته أناء الليل و أطراف النهار، باذلين من ذات أنفسهم أبلغ الجهد، لفهم مقاصده، و تبليغها للناس..."[3] ، فشكّل بذلك الخطاب القرآني، من حيث هو رسالة سماوية توجت سلسلة الرسالات التي سبقتها ظاهرة تواصل مفتوح على شؤون الإنسان، في تجددها و استرسال تطورها، تماشيا مع حاجات هذا الإنسان الذي لا يستطيع أن يدرك أمور دينه و دنياه إلا بالوحي الإلهي و بالتالي كان من فضل الله على هذا المخلوق الضعيف، أن أرسل إليه الرسل :"بغرض تعليم الإنسان طريقة الكلام المثلى التي يستطيع عن طرقها حل جل المشاكلات التي تعترض سبيله، و استبطان ما في داخل الآخرين، عندما اتحد صداها الإيجابي سواء في كلماتهم الهادئة، أو الصاخبة، فكان الحوار هو السبيل الوحيد الذي ينتهجه الأنبياء في تأدية رسالتهم الإلهية إلى الإنسان، بغية دخول الإنسان مدرسة الحوار في صفوفها الأولى، لكي يواجه أغلب القضايا التي تتحدى جهله و حدود معرفته، لا الدهشة، و الاستفهام، من الأسئلة التي تراوده حينا بعد حين"[4].

---

[1]- د. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة. مصر: مطبعة النهضة، ط8، ص 164.
[2]- د. سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد ألإعجازي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، طبع 1998م، ص 181.
[3]- مجلة الفيصل، العدد 274، سنة 1420 هـ ، 1999، دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية، ص 61.
[4]- حسن فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، قواعده أساليبه معطياته. الجزائر: دار المنصوري قسنطينة، ج2، ص ب.

فصار الحوار القرآني ذا المناحى الدلالية وسيلة تعبير، وأسلوبا إقناعيا تبليغيا مؤسسا على هداية الناس إلى الحق، بالعلم والمعرفة مصداقا لقوله تعالى:(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١)[1]، وتربيتهم على الخلق الحسن، و تصحيح معتقدهم، و إرشادهم إلى التدبر،والتفكر والتأمل، وإدراك الغاية التي لأجلها خلقوا، قال الله تعالى:(وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦)[2]، و لا يكون فهم هذه الغاية إلا بالعلم و المعرفة يقول سليمان عشراتي:"لقد كانت القراءة أبدا مشروعا حواريا، يواصل جدليته في سبيل امتلاك القناعات، التي ستأطر الحياة، و توجه صيرورتها على ضوء العقل و الحقيقة، لقد خاطبت أدبية القرآن الكريم الجن، و الجماد، و الغيب، مخاطبتها للإنسان، تكريسا منها لمبدأ الحوار، الذي شكل أبرز فنيات الخطاب القرآني"[3].

1- نشأة الحوار:

الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية، والقضاء الإلهي أزلي، مرتبط بالابتلاء والتكليف، و الصراع بين الحق و الباطل، مما ينتج عنه عملية جدلية،هي في أساسها مذزع جبلي في الإنسان و قد صرح القرآن الكريم ببيان في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:(وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ۝٥٤)[4] فكان الإنسان بذلك أكثر المخلوقات جدالا، لما يحمله من ميولات، و نوازع نفسية، مما يدفعه إلى الحرص على تحقيقها، يقول محمد التومي: "ومعنى هذا أن الإنسان بحكم كونه يملك مؤهلات ذهنية، إلى جانب ما يجمله من ميول و نوازع تحرص كل الحرص على توفير رغائبها، و الظفر بمبتغاها، ذراه قادرا على الدفاع عن كيانه، وعن ذاتيته بشكل تلقائي، وهو ما يولد فيه ـــ جبلة ـــ الميل إلى الخصام، وحب المراء"[5].

---

[1]- سورة العلق، الآية 1.
[2]- سورة الذاريات الآية 56.
[3]- الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ، ص 182.
[4]- سورة الكهف الآية 54.
[5]- د. محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية. الجزائر: شركة الشهاب، ص 12.

و على الرغم من وجود هذا المنزع الجبلي في الإنسان، لم يتركه الله مهملا، بل أرسل إليه الأنبياء و الرسل، لأجل إقامة الحجة عليه، و تعليمه أساليب المخاطبات فكان الحوار هو السبيل الوحيد الذي ينتهجه الأنبياء لأداء هدف الرسالة ليعرف الإنسان خالقه، فظهور مثل هذا الأسلوب التحاوري كان عند بداية خلق آدم عليه السلام،ليكون خليفة في الأرض و أول المحاورات كانت بين الله تعالى و ملائكته، وذلك بسؤالهم الله تعالى عن طبيعة هذا المخلوق وعن دوره في هذه الحياة و عن سلبياته، و ايجابياته، قال الله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٣٠﴾)[1]، ويحدثهم الله عز ّوجل عن ذلك كله فيما اختصره القرآن من القصة، و في الأخير يختم الحوار من موقع الوقوف بهم عند حدود المعرفة التي يملكونها، و ذلك في قوله تعالى: (**إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**)[2]، قال ابن كثير في تفسير الآية:"و قال ابن جرير و قال بعضهم إنما قالت الملائكة ما قالت:**(أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء)**، لأن الله أذن لهم في السؤال عن ذلك بعدما أخبرهم أن ذلك كائن من بني آدم، فسألته الملائكة فقالت على التعجب منها، و كيف يعصونك يا رب و أنت خالقهم؟، فأجاب ربهم:**(إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ)**، يعني أن ذلك كائن منهم و إن تعلموا أنتم، و من بعض ما ترونه لي طائعا، قال: و قال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عمّا لم يعلموا بذلك، فكأنهم قالوا: يا رب خبّرنا ـــ مسألة استخبار منهم لا على وجه الإنكار ـــ واختاره ابن جرير"[3].و تتحرك الحياة في الأرض و يخطو الإنسان في حركته البشرية، التي تنتج الفرد من أجل بقاء النوع الإنساني و إرساء الدعائم اللافتة في الأرض و تحمل الأمانة التي كلف بها الإنسان التي تتطلب قدرة عالية.فكل المخلوقات الأخرى رفضن أن يكون لهن اختيار في أمورهن، السماوات والأرض و الجبال، و فضلن أن يكن مقهورات مسخرات لما يريده الله، ولكن هذا الإنسان المخلوق الضعيف حمل هاته الأمانة و أخذ

---

[1]- سورة البقرة، الآية 30.
[2]- سورة البقرة، الآية 30.
[3]- أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار التقوى، ج1، ص85.

حرية الاختيار في الأمر،والنهي قال الله تعالى:(إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾)[1].

إذن "فالأمانة هي التزام الصدق و الشهادة بالحق طواعية فيما لنا اختيار فيه، و بمحض إرادتنا، فإذا أودع شخص معين مالا عند شخص آخر و أخذ ورقة تدل على ذلك فهذه لا تسمى أمانة، لأن هاته الورقة تثبت حقه و بالتالي إذا أنكر الشخص الذي أودع المال لديه، فإنه يستطيع صاحب المال أن يثبت كذبه"[2].

وحتى يكون الإنسان ملتزما بالأمانة قولا و فعلا، و قائما بها حق القيام، و حتى يعرف طريق الحق و الإيمان من طريق الباطل و الكفر، بعث الله إليه الرسل، ليحاوروه، و يبينوا له حقيقة الأمانة التي كلف بها و ذلك بأسلوب الحوار الذي:"يعتبر جوهر القرآن الكريم، فالكلمة كما يخبرنا الذكر الحكيم هي أفضل أدوات الإقناع، لقوله تعالى: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾)[3]،

ستكون قضية البداية نحو تفاهم أكثر بين الناس، و من ثم تقبلهم لبعضهم بعضا تقبلا أفضل، وهذا ما يوضح لنا مفهوم الحوار الحقيقي الذي يسعى إلى إيجاد التسامح مع الآخر[4].

ونحن في هذه الدراسة سنستعرض معنى الحوار في القرآن الكريم، مقدمين نماذج للحوار في حالات مختلفة و في أنماط متعددة، مستأنسين بمدى فهمنا الطريقة الحوارية كإحدى طرق التربية و التعليم و الإقناع المهمة في الحياة.

2- ضابط مفوم الحوار:

إن مفهوم الحوار يعتبر من المفاهيم الأكثر رقيا في التعامل بين البشر، انطلاقا من هذا الأساس بات مطلبا أساسيا لابد من الدعوة إليه فكرا و سلوكا و منهجا، و اعتباره نواة ثقافية تسهم في بعث الوعي الإسلامي، و تحرك القلوب و العقول،فتنتج ثقافة التعايش و التعاون، و تنهض

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 72.
[2]- الشيخ محمد المتولي الشعراوي، أسئلة حرجة وأجوبة صريحة. بيروت: دار العودة، ط 1982، ص 191- 192.
[3]- سورة النحل، الآية 125.
[4]- ينظر مقال الحوار الفاعل أو الايجابي بين المسلمين كأداة لترسيخ التسامح، نجاح كاظم،سنة 2003،.http:www.annahar.com.ib ،ص1.

بمكونات هذا العالم الإسلامي للتصدي للدور الرسالي المنوط به كممثل لخاتمة الرسالات وصاحب السياسة الرشيدة، انطلاقا من مخزونه الثقافي.

إنّ بناء هذا المفهوم الحضاري، يحتاج إلى النظر في الدلالات اللفظية اللغوية، كما تقدمها لنا المعاجم اللغوية، لمادة الحوار؟.

3- مفهوم لفظة الحوار:

1/التعريف اللغوي للحوار:

جاء في كتاب أساس البلاغة أن لفظة الحوار أو المحاورة مشتقة من "حاور يحاور محاورة، و حاورته راجعته الكلام، و هو حسن الحوار، و كلمته فما رد علي محورة، و ما أحار جوابا أي ما رجع، قال الأخطل:

هَلاَّ رَبَعْتَ فَتَسْألْ الأَطْلاَلَ وَلَقَدْ سَألتَ فَمَا أَحَارَت سُؤَالا"[1].

و جاء في لسان العرب:" و المحاورة المجاوبة، و التحاور التجاوب، ونقول: كلمته فما أحار إليّ جوابا، و ما رجع إلي حويرا و لا حويرة ولا محورة و لا حوارا، أي ما رد جوابا"[2]،" وتحاور مصدر تحاور، تقول مثلا: هذه الندوة للتحاور في أفضل السبل لمعالجة الأزمة القائمة"[3].

تبين من خلال هذا التعريف اللغوي للحوار، أنه لا يتعدى أن يكون المراجعة في الكلام،والتجاوب مع الآخر،أو حلة من التخاطب بين طرفين بأسلوب ما للوصول إلى إتباع الآخر بفكرة ما.

ب ــ التعريف الاصطلاحي للحوار:

لقد تباينت آراء العلماء حول مفهوم الحوار من الجهة اللفظية، و لكن التقت في نفسها الرؤية العرفية لمعنى هاته الكلمة، فقد عرّفها الطبري بأنها:"المخاطبة و المكالمة"[4].

و ذهب بعض المعاصرين منهم العلامة الطاهر بن عاشور إلى أن الحوار هو:"مراجعة الكلام بين متكلمين"[5]، أما محمد حسين فضل الله فربط مفهوم الحوار بـ:"موقف الدفاع عن الفكرة من تحديات أعدائها في مجالات الصراع، و يراد منه إيضاح الفكرة عن طريق السؤال و الجواب

---

[1]- أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة. بيروت: دار صادر، ط1، سنة 1412هـ، 1992م، ص146.
[2]- ابن منظور، لسان العرب. بيروت: دار صادر، بيروت، طبعة 1سنة 1997م، ج2، ص182.
[3]- المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، المعجم العربي الأساس، توزيع لاروس، ص 362.
[4]- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، سنة 1415هـ، 1994م، ج5، ص102.
[5]- الشيخ الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير. تونس: دار التونسية، سنة 1984، ج5، ص 319.

الأمر الذي يجعله مفيدا لحديثنا إفادة أقوى، كما نتلمسه في مجالات عدة، سياسية و اجتماعية ودينية وفكرية وحضارية، وما إلى ذلك"[1].

أمّا مفهومه عند عبد المالك مرتاض:فـ" هو اللغة المعترضة التي تقع وسطا بين المناجاة، و اللغة السردية، و يكون الحوار بين شخصية و أخرى، أو بين شخصيات وشخصيات أخرى داخل العمل الروائي، فالحوار الروائي ينبغي أن يكون مكثفا، حتى لا تختلط الأنواع الأدبية فيما بينها، فتغدو الرواية مسرحية، و حتى لا يضيع السارد والسرد عبر هاته الشخصيات المتحاورة على حساب جمالية اللغة"[2].

وخلاصة الكلام،يبدو أن الحوار في جانبه الاصطلاحي يتضمن ما ذكر في التعريف اللغوي،إضافة إلى أنه يهدف إلى الدفاع عن فكرة في مختلف مجالات الحوار سواء أكانت دينية، أو سياسية،أو اجتماعية،أو غيرها.

3- الحوار و الجدل:

شاعت بين الناس، ألفاظ إن لم تكن واحدة في المفهوم فهي ربما قد تكون قريبة من بعضها و مختلفة عن بعضها، قريبة من بعضها لأنها ترجع في نهاية الأمر إلى طريقة البيان و التبيين التي أودعها الله تعالى في هذا الإنسان جبلة، و حتى نعرف أوجه الاتفاق أو التقارب، و أجه الاختلاف بين الحوار و الجدل، لابد من أن نعرف كلمة الجدل.

جاء في لسان العرب أن الجدل يعني:"اللّدد في الخصومة و القدرة عليها، و قد جادل مجادلة و جدلا، و رجل جدل إذا كان قويا في الخصام، فالجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة"[3].

كما يأتي كذلك على معنى الشد و الفتل و الإحكام، جاء في مفردات الراغب:"جدلت الحبل: أي أحكمت فتله، و جدلت البناء أي أحكمته"[4].

و يأتي كذلك معنى الإلقاء و الإسقاط على الجدالة التي هي الأرض الصلبة، جاء في أساس البلاغة:"جدله أي ألقاه على الجدالة"[5].

---

[1]- الحوار في القرآن الكريم، ج1، ص18.

[2]- د.عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد - ، إصدارات المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت: سنة 1419هـ، 1998م، ص134.

[3]- لسان العرب ، ج1 ص390.

[4]- الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن. مصر: كتاب الجيم، ص 123.

[5]- أساس البلاغة ص85.

- **الجدل في الاصطلاح :** عرفه الجرجاني بأنه :"عبارة عن هراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها[1]، و قال أبو البقاء :" الجدل ، هو عبارة عن دفع المرء خصمه عند فساد قوله بحجة أو شبهة و هو لا يكون إلا بمنازعة غيره"[2].
- **الألفاظ ذات الصلة:** هناك ألفاظ و مصطلحات بينتها قواعد الجدل و آداب البحث والمناظرة، تدور في المفهوم نفسه الذي يعنيه الجدل، إلا أنه قد توجد بعض الفروق بينهما، و من هذه الألفاظ:

أ-المناظرة: و هي ترداد الكلام بين شخصين يقصد كلاهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كليهما في ظهور الحق[3].

ب-المناقشة: هي مراجعة الكلام بقصد الوصول إلى الحق غالباً، و هنا نجد المناقشة أخص ممّا سبق"[4].

ج-المراء و المماراة : قال الفيومي :" و لا يكون ألمراء إلا اعتراضاً ، بخلاف الجدال فإنه يكون ابتدءا و اعتراضاً"[5].

و حتى لو اختلفت معانى الجدل، كالشد و الإسقاط و الإحكام، إلا أنها تصب في وعاء الغلبة و الانتصار، يقول محمد التومي:"و سواء أكان الجدل مستمدا من الفتل و الشد أم من الصراع والإسقاط فالمهم أنه يطلق على المشادة الكلامية، التي تهدف إلى تحقيق الغلبة لما اعتنق من مذهب، و لما اتخذ من رأي، و إلحاق الهزيمة بالمخالف"[6].

و لقد وردت كلمة "الجدل" في القرآن على ضربين:

- **الضرب الأول:**

---

[1]- الجرجاني، كتاب التعريفات. دار الكتاب العربي، بيروت،طبع 1423هـ - 2002م، ، ص 66.
[2]- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات،القاهرة: طبعة بولاق، سنة 1281هـ، 1864م، ص145.
[3]- الفيومي، المصباح المنير في غريب شرح الكبير للرافعي. دار الفكر، ج2، ص 612.
[4]- الموسوعة الفقهية، طبعة وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الكويت، ط1، سنة 1411هـ، 1990م، ج15، ص126.
[5]- الفيومي، المصدر السابق ص 570.
[6]- الجدل في القرآن الكريم، ص08.

الجدل الممدوح الذي انتهجه الأنبياء عليهم الصلاة و السلام مع أقوامهم، كالذي ورد في قوله تعالى:(ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥)[1].

و قوله تعالى كذلك:(قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١)[2]، فكلمة "الجدل" في هذه المواضع تتفق مع مادة الحوار، لأن جدل الأنبياء لأقوامهم يكون مقرونا بالأدب، و الحجج المقنعة، البينة للوصول إلى معرفة الحق والاعتراف به،و الجدل الممدوح له فوائد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الموسوم الرد على المنطقيين،أن الجدل يفيد في بيان خطأ الخصم، لكن لابد أن تكون المجادلة بالعلم، كما أن الحكمة بالعلم قال رحمه الله:" و المجادلة بالعلم كما أن الحكمة بالعلم، و قد ذم الله تعالى من يجادل بغير علم فقال:(هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦)[3]، و الله لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلّمها الخصم، إن لم تكن علما، فلو قدر أنه قال باطلا، فالله تعالى لم يأمر أن يحتج عليه بالباطل، لكن هذا قد يفعل لبيان فساد قوله و بيان تناقضه"[4].

- الضرب الثاني:

وردت مادة الجدل في باقي الآيات في معرض الذم، لكونه صادرا من الجاحدين للحق، المؤيدين للباطل بحجج واهية ضعيفة، تدل على اتباع أصحابها للهوى و الظن بغير دليل قاطع، وهذا النوع من الجدل كان في أقوام الرسل عليهم الصلاة و السلام.

---

[1]- سورة النحل، الآية 125.
[2]- سورة المجادلة، الآية 01.
[3]- سورة آل عمران، الآية 66.
[4]- عبد الحليم بن تيمية، الرد على المنطقيين، بيروت: دار الفكر، ط1، سنة 1993، ج2، ص195.

فالجدل المذموم هو كل جدل بالباطل، أو يستهدف الباطل أو يفضي إليه أو كان القصد منه التعالي على الخصم و غلبته، هذا ممنوع شرعا يتأكد تحريمه إذا قلب الباطل حقا أو الحق باطلا[1]، و أمثلة هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى :(مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾)[2]، قال الإمام الشوكاني في تفسيرها:" أي ما يجادل في آيات الله و تكذيبها إلا الذين كفروا و المراد الجدال بالباطل و القصد إلى دحض الحق فأما الجدال للاستيضاح الحق و رفع اللبس و تمييز الراجح من المرجوح و دفع ما يتعلق به المبطلون فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون...."[3].

ومن الآيات التي وردت فيها مثل هذا الضرب،قوله جلّ جلاله:(وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾)[4]، و قوله تعالى : **(و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق)**[5]، و قوله تبارك وتعالى : (ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾)[6]، وقال تعالى:(وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾)[7].

بعدما بينا الجدل الممدوح و المذموم، و عرفنا أنه يلتقي و الحوار في الضرب الأول الذي غايته، إلزام الخصم إقرار الحق الذي جاء في كتاب الله بأسلوب الحجة و البرهان و الحكمة و هذا

---

[1]- الموسوعة الفقهية، ج15، ص127.
[2]- سورة غافر، الآية 04.
[3]- الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير. دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع المنصورة ، سنة 1415هـ، 1994م، ج4 ص463 .
[4]- سورة الكهف، الآية 56.
[5]- سورة غافر، الآية 35.
[6]- سورة غافر، الآية 35.
[7]- سورة الزخرف، الآية 58.

هو نهج المرسلين، و يخالف الجدل الحوار في الضرب الثاني كون هذا الأخير مذموما، و لا يصدر هذا إلا من عند من جحد الحق بالخصومة و العنف و الإيذاء، و هذا شأن أقوام الرسل.

4- مادة الحوار في القرآن الكريم:

وردت كلمة الحوار في القرآن الكريم، ثلاث مرات، اثنتان منها في سورة الكهف، في معرض الحديث عن صاحب الجنتين وحواره مع صاحبه الفقير، ومنه قال الله تبارك وتعالى: (لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾)[1]، أما الآية التالية التي وردت فيها كلمة الحوار فقد جاءت في سورة المجادلة، وهي قوله:(قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾)[2].

ولهذا فإن من الطبيعي أن يتعرض القرآن الكريم إلى ذكر مادة الحوار،ليبين مضامينه وأبعاده الغائية، والأدبية للوصول إلى تقرير الحق،وإقناع المخاطب بأسلوب علمي هادف.

- بعض النماذج الحوارية في القرآن الكريم:

لقد تعددت أشكال الحوار في القرآن الكريم و تنوعت، و يصعب علينا في هذه الدراسة، حصرها كلها، بل تحتاج إلى بحث أكثر تفصيلا و اتساعا، لذلك سنورد بعضها على سبيل المثال لا الحصر:ومن هذه الأساليب الحوارية قوله تعالى:

أ/ حوار الله تعالى مع الملائكة:

وذلك في:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾)[3].

ب/ حوار الله تعالى مع الأنبياء:

---

[1]- سورة الكهف الآية 37.
[2]- سورة المجادلة الآية 1.
[3]- سورة البقرة الآية 30-31-32.

كما في قوله:(وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾)[1]، وقوله تعالى:(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾)[2].

ج/ **حوار الله تعالى مع إبليس لعنة الله عليه:**

حيث قال:(وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾)[3].

د- **حوار النبي نوح عليه السلام مع ابنه:**

(وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾)[4].

ه- **حوار الله تعالى مع الإنسان كإنسان:**

قال الله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾)[5].

وهناك نماذج أخرى للحوار أشير إليها من غير ذكر للأمثلة القرآنية كحوار الله تعالى مع الأقوام عن طريق الرسل. وحوار الإنسان مع الإنسان (كحوار أهل الجنة مع أهل النار).وحوار الرسل مع أقوامهم. وحوار الإنسان مع المخلوقات الأخرى (الهدهد ــ النمل). وحوار الأنبياء مع الجبابرة. وحوار الإنسان مع الجماد، مثل حوار الإنسان مع أعضائه التي تشهد عليه يوم

---

[1]- سورة الأعراف الآية 19.
[2]- سورة الأعراف الآية 23.
[3]- سورة الأعراف الآية11-15.
[4]- سورة هود الآية 42-43.
[5]- سورة الإنفطار الآية 06--08.

القيامة.وسنتطرق إلى بعض النماذج بالدراسة من الجانب الدلالي للحوار في القرآن الكريم، في الفصل التطبيقي.

- أنواع الحوار و أساليبه:

يعتبر الحوار النقدي شرطا للحداثة و تجسيدا لها في آن واحد و هو نوع من المساهمة في البناء النقدي و الثقافي المشترك من أجل النهوض على دعائم ثابتة و يمتد إلى آفاق جديدة من الابتكار و الفعالية.

ويمكن إجمال أنواع الحوار وأساليبه في فيما يلي:

أ/الحوار الخطابي أو التعبدي:

و يتجلى هذا النوع عندما خاطب به الله عباده المؤمنين في عشرات المواضع من كتابه مصدرا خطابه بنداء التعريف بالإيمان، قال الله تعالى:**(يا أيها الذين آمنوا)**، و كلما قرأه مؤمن لهج قلبه بالجواب:"لبيك يا رب"، و قد يحدث العكس فإذا خاطب المؤمن ربه داعيا إياه في بعض آيات القرآن الكريم أجاب الحق جل جلاله بما يناسب المقام، و الأدلة على ذلك واضحة أشهرها ما رواه أبو داود و البهيقي بسند صحيح: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا قرأ:(**أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾**)[1]، قال :"سبحانك، فبكى"، وإذا قرأ:(**سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾**)[2]، قال:**{سبحان ربي الأعلى}**[3].

ب/الحوار الوصفي:

هو الذي صرح فيه بذكر المتحاورين بغية إثبات وصف حي لحالة هؤلاء المتحاورين النفسية أو الواقعية، بقصد الإقتداء بصالحهم، و الابتعاد عن شريرهم، و التأثر بهذا الجو تأثرا وجدانيا ينمي العواطف الربانية، و السلوك الإنساني التعبدي، و الأمثلة على هذا الحوار كثيرة في القرآن الكريم نذكر منها قوله تعالى في حوار أهل النار:(**وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ**

---

[1]- سورة القيامة الآية 40.
[2]- سورة الأعلى الآية 01.
[3]- أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الصلاة باب الدعاء في الصلاة، رقم 749، دار الجيل، بيروت، طبع 1412هـ - 1992م. مج1، ص232.

ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾)[1]، فالحوار هنا بين الحق جل جلاله و ملائكته،والحديث عن الظالمين الذي استحقوا العذاب في قبورهم ،أدركوا حينها أن هذا هو يوم الدين، و جاء النداء الرباني إلى زبانية جهنم ليدلوا الظالمين إلى طريق النار.

ج/الحوار القصصي:

يأتي هذا النوع من الحوار في طيات قصة واضحة في شكلها و تسلسلها القصصي، كما أنه لا يتعدى جزءا من أسلوب القصة، أو عناصرها في القرآن، و نؤسس حديثنا هذا انطلاقا مما ورد في قصة آدم التي يأتي الحديث عنها لاحقا.

د/الحوار الجدلي لإثبات الحجة:

هو حوار يجري فيه النقاش، أو الجدال غايته إثبات الحجة على المشاركين للاعتراف بضرورة الإيمان بالله و توحيده، و الاعتراف باليوم الآخر ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، و مثال ذلك قضية التثليث التي سيتم التفصيل فيها لاحقا.

هـ/الحوار النبوي:

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم، حريصا على تعليم الصحابة طريقة الحوار وكانت رغبته أشد في أن يكون الصحابة هم البادئون بالسؤال، و لاغرو فقد كان خلقه القرآن و كانت حياته التربوية و التعليمية ترجمة حية بشرية لآيات الله، كما يمكننا من جهة أخرى أن نفرق بين نوعين من الحوار و هما: الحوار الحقيقي و الحوار الشبيهى، في النصوص الحوارية التي يمكنها أن تشخص الطريقة التي تسير وفقه آلية العرض،هي الحوار الفلسفي و الحوار العلمي، اللذان هما أبلغ المثالين على هذه الآلية لذا نسميه بالحوار الحقيقي، أما الآخر فنسميه بالحوار الشبيهي.

أ/مفهوم الحوار الحقيقي:

[1]- سورة الصافات من 20 – 23.

يقوم العارض بإطلاع المعروض عليه على جملة النتائج التي توصل إليها[1]، و كذا على الوسائل التي استعملها، مستفرغا جهده في أن يكون عرضه وفق مقتضيات تتحدد حسب ما اكتسبه من معارف، و على ما حصل عليه من تصورات سواء أكان البرهان والحساب رياضيا أم تقنيا، كما تتحدد بما استجد من انشغالات البحث العلمي.

ب/مفهوم الحوار الشبيهي:

نلمح في هذا النوع من الحوار أن العارض يتظاهر بإشراك غيره في طلب المعرفة وكذا إنشائها[2]، إلا أنه في حقيقة الأمر آخذ بزمام المعروض عليه في كل مرحلة من مراحل الحوار، فهو الذي يحدد للمعروض عليه مسألة سبق و أن تدبرها، و يعين طريقا لبحثها، و في الأخير يصل إلى نتائج تكون معلومة له، و من ثمة يمكن القول: إن الحوار لا يقتصر على المجال الديني فحسب، بل ينفتح على شتى مناحي الإنسان، و الدين، والحضارة، والعلم، والفكر إلى غير ذلك.

1- الحوار في الفكر الإنساني:

إن الفكر الإنساني"هو اللجوء إلى الحدس والتخمين في سبيل الاهتداء إلى الحقائق العليا وبلوغ الصواب من أقصر الطرق"[3]. كما اتجه الفكر الإنساني بعد مرور حقب زمنية متتابعة من تاريخ الإنسان إلى مناقشة مدى حوار الحضارات و تواصلها، و تسوية النزاعات بين الحضارات بغية التوصل إلى نمط واحد لخدمة الحضارة الواحدة.

العلاقة بين الحضارات لا يمكن أن تكون إلا كتاريخ حوار و تفاعل الذي يعتبر في كل الظروف السمة الرئيسية للعلاقات السائدة بين الدول و الشعوب في سلمها و حربها، في صراعها وحوارها، كما هو الحال بالنسبة إلى الأوروبيين في القرون الوسطى، إذ لم ينجوا من التأثر بالحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، وأثروا فيها، و كان الحوار بين الحضارتين يجري بفاعلية تحت خيمة الصراع السياسي و العسكري.فكان هناك تأثر وتأثير،مما أفرز لنا حوار الحضارات"باعتباره وسيلة الوحيدة لإيصال البشرية إلى مأمنها وخلاصها"[4]، وفي الوقت نفسه يعتبر من أهم المواضيع التي شغلت فكر كثير من العلماء و المفكرين و السياسيين.

---

[1]- ينظر د. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء المغرب (ب ت ط)، ص 34.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 35.

[3] د.عاصم أحمد عجيلة، حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي، عالم الكتب،القاهرة،ط1990،2،ص.13

4- أثر حوار الحضارات في تطور القواعد القانونية ودور ذلك في حماية مستقبل الإنسانية د ليلى جمعي مجلة الحضارة الإسلامية جامعة وهران العدد 11، شعبان 1425ه/ أكتوبر 2004.

و من هنا يأتي الحوار بمضمونه الإنساني العادل ركيزة أساسية داخل المنظومة الفكرية و العقائدية و الحضارية، فلهذا يجب القيام بفصل موضوعي بين مختلف الدعوات غير الأمينة لقيمه التي تعتبر بعيدة عن قيّم الدين و تعاليمه.

ويعتبر أفلاطون من أهم الفلاسفة الذين يجرون مختلف كتاباتهم في صفة المحاورات على طريقة سقراط و أشهر الحوارات حوار غورجياس في الأخلاق والسياسة، و حوار طيماوس في العلم و الجمهورية، و طريقته في التفكير كانت متكئة على الجدل و القالب القصصي.

وقد استعمل نوعين من الديالكتيك: الصاعد، و فيه يكون الانتقال من المحسوس إلى المعقول، و النازل يتجسد في الاستنباط العقلي لمختلف الصور الأفلاطونية[1]، فعن طريق هذا الأخير الديالكتيك، يمكن رؤية الحقيقة بكاملها للوصول إلى الهدف المنشود.

فارتبط مفهوم ديالكتيك في العصر الوسيط بالمنطق،واعتبر من بين الفنون الحرة، كالنحو و الخطابة، فهو بهذا المفهوم يرتبط بالمنهج لا بالحقيقة الواقعية.

2/الحوار في الأدب العربي:

لقد عرّف الحوار أدبيا أنه كلام الشخصيات المباشر بلا واسطة، و من أهم طرائق التعبير التي يسندها الكاتب إلى شخصياته التي ينشئها [2]، كما يعتبر أداة قصصية المتمثلة في نقل الأقوال ، أو حكايتها، و هو في بعض الأنواع القصصية مثل القصص التاريخي و الترجمة الذاتية نقل حقيقي؛ لأنه إيراد الأقوال التي قيلت خارج القصة، أما في الأنواع القصصية المتخيلة مثل الرواية والأقصوصة و ما إلى ذلك فمجرد ايهام بالنقل لأنه في الحقيقة إنشاء لأقوال لم تقل خارج القصة، ويكون الحوار بأسلوب مباشر خلافا لمقاطع التحليل، أو السرد أو الوصف.

يوجد الحوار في مجالات متنوعة كالمسرح و السينما والرواية والأقصوصة و حتى في بعض أنواع الشعر. و هو بلا شك ذو سمات ووظائف تختلف باختلاف تلك المجالات فلابد إذن من تحديد مجال بحصره في النصوص القصصية، إذ أن الحوار في القصة يختلف عن المحادثة في الحياة، لأن المحادثة شفوية عموما و محكومة بطرفيها دون سواهما، أما الحوار نصا أدبيا فتبنى مادته وفق طريقة معينة و يتبادله طرفان في نظام محدد.[3]

---

[1] ينظر د.فتحي التركي.أفلاطون و الديالكتيكية.الدار التونسية،للنشر،تونس-ط2 ،1986،ص40.

[2]- الصادق قسومة ، طرائق تحليل القصة ، دار الجنوب للنشر ط2000 تونس ص 214.

[3]- المرجع نفسه ص 214 .

لم يلق الحوار القصصي اهتماما كبيرا من قبل مؤرخي الأدب و دارسيه بخلاف الحوار المسرحي الذي شغل الدارسين منذ أقدم العصور بحكم معرفة هذا الفن عند اليونانيين ولعل قلة الاهتمام بالحوار القصصي راجع إلى اعتبار الحوار من أمر المسرح لا من أمر القصة.

إنّ ما نلاحظه على الكتابات الروائية هو طغيان لغة الحوار على لغة الوصف ويعود ذلك إلى أنّ الكاتب يتملص من موقف صعب في التحليل و الوصف ، فيعمد إلى إلقاء ما يترتب على ذلك على الشخصيات لينطقها بأيّ كلام، و إما أنه مبتدئ فيعمد إلى كتابة هذه المحاورات دون وعي فني كبير فيجول فيها [1]، و في نهاية المطاف يطغى على الشكل اللغوي لغة الحوار على لغة الوصف.

استطاعت العربية أن تعبر عن الأحداث في شكل حوار على ألسنة حيوانات تتحدث وكأنها تعقل، و تتصارع من أجل البقاء، أو من أجل إرضاء نزعة الأنانية و إشباع الغريزة الحيوانية[2]. مثلما هو الحال في كليلة و دمنة لابن المقفع و كان من العسير على مجتمع شعري منبثق عن حضارة البادية أن يتقبل مثل تلك الحكايات و يتذوقها، و ينسج على منوالها فيبدع ما يشابهها شكلا و مضمونا، كما أنها لم تتعرض بالمعالجة لقضايا تتصل بالحياة الاجتماعية أو العاطفية للعرب فكان من الصعب النسج على منوالها في الأدب العربي.

ولعل الذي يزيد في روعة أسلوب كليلة و دمنة امتزاج الأسلوب المنطقي بالأسلوب القصصي، و الحوار الذي يبعث فيه الحياة، حيث تم تفصيل القصص على ألسنة الحيوانات ووضع العظة على ألسنتها تحت ثوب من الفكاهة و اللهو.

وقد بدأ معظم العرب مقاماتهم إما بعبارة "حدثنا"، و إما بعبارة "حكي" أو "بأخبر"، وهي أداة سردية كانت تصطنعها شهرزاد في ألف ليلة و ليلة إنّها – الأداة – توشك أن تكشف عن ذلك الغطاء السردي الكامن في غيب الذاكرة ، و في غيابات الخيال المجنح، فعبارة "حدثني" الشهرزادية تعني وقوع الكشف عن المتحدث، أو المبلغ الذي حضر الحدث وعايشه. [3]

وبهذا المعنى فإن الحوار هو نقل للأقوال و ليس خاصا بالقصة، و لا يكون محصورا في الشخصيات القصصية، بالإضافة إلى أنه من طرائق التواصل القولي بين الأشخاص.

---

[1]- في نظرية الرواية ، ص 165 .
[2]- المرجع نفسه، ص 167.
[3]- المرجع السابق، ص169-171.

إن كلمة "الحوار" تستعمل في أوسع المعاني للتعبير عن جميع ضروب التواصل و التفاعل و تبادل التأثر و التأثير.

زيادة على هذا كله يوجد الحوار في بعض أنواع الشعر العربي نأخذ على سبيل المثال ما جاء في شعر امرئ القيس أثناء مناجاته ليلى حيث يقول:

وَلَيْل كَمَوْجِ البَحرِ أرخَى سُدُولَهُ ********** عَلَيَّ بأنْـوَاعِ الهُمُـــوم لِيَبتَلِي

فَقُلتُ لَهُ لَـمَّا تَمَطَّى بِصُـلْبِهِ ********** وَ أرْدَفَ إعْجَازاً وَ نَاءَ بِكَـلكَلِ

أَلاَ أيُّهَا اللَّـيلُ الطَّوِيلُ أَلاَ اِنْـجَلِ ********** بِصُبْحٍ وَ مَا الإِصبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ

فَيَا لَكَ مِن لَيْلٍ كَـأَنَّ نُـجُومَهُ ********** بِكُـلِّ مُغَارْ الفَتْـلِ شُدَّتْ بِيَـذْبُلِ.[1]

في هاته الأبيات يطلب امرؤ القيس من الليل أن ينقض بظلامه الذي يزيد من حجم معاناته[2] ، فقد جاء دور الصباح في إشراقاته لعله يجد فرجا لضيقه و لكنه يعود إلى نفسه باليأس فما أمرّ سواد الليل عل امرئ القيس وما أطوله، فهمومه ستظل ملازمة له بعد الصباح،ثم يتعجب من طول هذا الليل و تثاقل نجومه حتى كأنها ثابتة في مكانها مشدودة بحبال متينة فهيهات لها أن تتحرك.

كما أنّ الحوار تقنية من التقنيات الشفافية الداخلية، و أهمه الحوار الباطني الذي يعتبر هذا الأخير أداة في رصد خلجات الشخصية و أحاسيسها و أفكارها، وقد أصبح مدار العمل القصصي استبطان الأعماق على نحو جديد، يغدو بمقتضاه العمل ضربا من التهويم الحر في عالم الأحاسيس والخواطر[3] .

إنّ الحوار الباطني هو السبيل الوحيد الذي يملكه الإنسان للتنفيس عن مكبوتاته، خاصة إذا أحس بتراجع ضمن الخطاب الاجتماعي الأخلاقي، فيكون مناسبا للتعبير عن الخواطر و المشاعر، و ذلك عندما يحس الفرد أن لا أحد يفهمه أو يشابه حالته؛ إذ لا تلتئم النفس المادية بالنفس الروحية في أي حال من الأحوال. فلا شيء يفرق بين الصاحبين إلاّ اختلاف شأن نفسيهما، و ذهاب كلهما في منازعه، فتنعدم الثقة، و يضطر الإنسان في هاته الحالة إلى حوار ذاته خير من محاورة الآخر و إلاّ زاد التنافر بينهما.

3/ نشأة الحوار في الفكر الإسلامي:

---

[1]- أبو الحجاج يوسف الشنتمري، ديوان امرئ قيس صححه لشيخ ابن أبي شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1974، ص 81، 82.

[2]- د.زكريا صيام، دراسة في الشعر الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ط2 سنة 1993 ص186-187.

[3]- طرائق تحليل القصة ، ص.240

مـــدخـــل

القرآن الكريم هو الدستور السماوي ومعجزة الإسلام الخالدة، أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكان صلوات الله عليه وسلامه يبلغه صحابته فيفهمونه بفطرتهم، و إذا تعذر عليهم فهم آيات من الآيات سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عنها، وهذا إقرار منه عليه الصلاة والسلام لمبدأ الشورى في حياة المسلمين من بعده.[1] إلا أن هذا القرآن يبقى بحرا يحتاج إلى من يغوص في أعماقه بتمعن آياته،و فهم معانيه، ليستخرج منه اللآلئ و الدرر، و من أهم هاته المسائل التي تناولها الباحثون و الأدباء، واهتموا بالبحث في مجالها مسألة الحوار القرآني.

لقد اعتبر الإسلام العقل ميزانا يزن به الناس صحة القضايا وفسادها حتى جاءت بعض الأحاديث الشريفة التي اعتبرت العقل بمثابة الرسول الباطني، بينما تصف الرسول صلى الله عليه و سلم في مقابل ذلك، بأنه عقل من خارج كأسلوب من الأساليب التي تولي أهمية للعقل، و دوره في العقيدة و التشريع، ولهذا ينبغي لهذا الأخير ـ العقل ـ الحركة و النشاط الدائب المبني على الحوار و الجدل.

و نحاول في ما يلي استقصاء حضور الحوار في التفاعل العقلي لدى علماء الكلام والفلاسفة:

1/ موقف علماء الكلام*:

كثر البحث في العقائد، فكثير من العلماء كتبوا عن افتراق الناس في دياناتهم وعقائدهم كتبا كثيرة جدا، فبعضهم أطال و أسهب و أكثر وأخذت هذه العلوم تتطور ليتكون منها علم جديد يساير سائر العلوم و هو علم الكلام.

كما انتشرت الفرق الكلامية بعد انقضاء الخلافة الراشدية[2]، وقد تعرض القرآن الكريم لأهم الأديان التي كانت منتشرة في عهد الرسول الكريم وممن أنكروا النبوات كالدهريين : (**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾**)[3]،

2- ينظر منهج الجدل وآداب الحوار في الفكر الإسلامي، د. بركات محمد مراد،مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2003 ، http://alwaei.com، ص03.

*-"هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية ، بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة "مقدمة ابن خلدون،دار الكتب العلمية ،بيروت، (ب ت ط)،ص363.

[2]- ينظر صبري خدمتلي، العقيدة و الفرق الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون الجزائر – 1994م ، 36 و ما بعدها .

[3]- سورة الجاثية الآية 24.

كما تعرض لمسألة الشرك بجميع أنواعه ، فمن المشركين من أله الكواكب و جعلها شريكة لله ، فكان الرد عليهم بمثل آية إبراهيم:(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾)[1]. فكان من البديهي أن ينهج علماء هذا المنهج للرد على المخالفين،بتجديد حججهم لتفنيد المخالفين كلما جدد الخصم حججه،وقد انطلقوا من القرآن الكريم وبحثوا فيه، و استنبطوا جميع أدلتهم منه مع العلم أن الذين عارضوا المتكلمين كلامهم و مناهجهم، لم يردوا عليهم اعتمادهم على القرآن الكريم و تأثرهم به، و هذا ما أقره الرازي عند دفاعه عن علم الكلام و مدحه إيّاه،كون هذا العلم يعتمد على دلائل القرآن،و يدفع عنها الكثير من الطعون والشبهات التي تضرّ بعقيدة المسلمين، فهذا العلم على الرغم من اشتماله على أدلة من القرآن الكريم إلا أنه أثير حوله كثير من القضايا و الشبهات[2].

اختلف علماء الكلام في كثير من القضايا التي كانت محل نقاشهم،مثل هل أفعال الله مختارة؟، واختلفوا في ماهية القتل و هل هو ظل الشيء هو الشيء؟

فاختلافهم في أفعال الله عز و جل،و قد كان على أربعة أقاويل، فمنهم من قال: منها ما هو اختيار و منها ما هو مختار، و قال بعضهم كلها مختارة باختيار غيرها، بل هي اختيار كما كانت مرادة لا بإرادة غيرها، و هذا رأي البغداديين، ومنهم من يرى:إن ما كان من أفعال الله له ترك كالأعراض فهو مختار، و ما لا ترك له كالأجسام فهو اختيار، و ليس بمختار، أما الصنف الرابع فقال ليس كل أفعال العباد مختارة، بل منها ما لا يقال إنه مختار.[3]

هذه المسائل تناولتها فرق المعتزلة التي يتزعمها واصل بن عطاء و آخرون مثل الجبائي و النظام و أبو هذيل،وغيرهم، و يوجد إلى جانبها فرق أخرى كالخوارج و الزيدية والمرجئة والجهمية، و اختلفوا في كثير من القضايا و المسائل سواء ما تعلق بالإنسان أو ما يتصل بظواهر الكون، فكل فرقة تؤول هذه القضايا و تفسرها انطلاقا من رؤيتها الخاصة، بل حتى الفرقة الواحدة تنقسم إلى مجموعة من الأقسام، فالخوارج مثلا اختلفوا في جواز تعدد الإمام، أي هل يكون الإمام أكثر من واحد؟[4]

---

[1]- سورة الأنعام الآية 76.

[2]- ينظر: د.أحمد محمود صبحي،علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية، في أصول الدين،دار النهضة العربية، بيروت، ط5، طبع 1405هـ - 1985م. مج2، ص285.

[3]- ينظر العقيدة و الفرق الإسلامية ، ص 188.

[4]- المرجع نفسه ، ص 59.

فمنهم من قال لا يكون في وقت واحد أكثر من إمام واحد، أما الفريق الآخر فأجاز ذلك، فيكون إمامان في وقت واحد أحدهما صامت، و الآخر ناطق، فإذا مات الناطق خلفه الصامت، و هذا ما قالته الرافضة، و منه من جوز ثلاثة أئمة في وقت واحد، إلا أن أكثرهم أنكر ذلك.

فيتجسد أسلوب الحوار لدى هذه الفرق من خلال الطريقة التي كانوا يعرضون بها قضاياهم و هم في شكل حلقات، عن طريق السؤال و الجواب للوصول إلى الحل الملائم لها، أما إذا اشتد الصراع بينهم حول مسألة فيؤدي إلى افتراقهم مثلما حدث مع الحسن البصري وواصل بن عطاء الذي اعتزل أستاذه و سميت فرقته بالمعتزلة نسبة إلى ذلك[1].

2/رأي الفلاسفة الإسلاميين حول فكرة الحوار:

لما فرغ المسلمون من الفتح، و استقر بهم الأمر، واتسعت لهم الرقعة الجغرافية والرزق، فكر عقلهم في تغيير اتجاهه في التفكير، فأثاروا قضايا فلسفية تتعلق بالدين الإسلامي، و اجتهدوا في بحثها و التوفيق بين جل مظاهرها و أضافوا إلى هذه المسائل صبغة علمية فلسفية، و منذ ذلك الحين أصبح رجال الدين يلتجئون إلى الفلسفة و يستعينون بها في تدعيم حججهم، هذا ما كان سائدا في الإسلام فأوشك العصر الإسلامي الأول أن ينتهي في إيمان لا يعتريه كثير من الجدل، و أخذ الناس يبحثون في الأشباه و النظائر ويستخلصون وجوه الفروق و الموافقات الذي يتولد عنه اختلاف في الآراء و المذاهب.

ويبنى الحجاج الفلسفي على عرض رأي معين، أو الاعتراض عليه، و إبطال فعاليته التي تؤسس على طريقة خطابية، لا مقصد لها سوى إقناع الطرف الآخر بصحة هذا الرأي المعروض عليه، أو ببطلانه.[2]

فيتجه أطراف الحجاج الفلسفي سواء عارض أو معترض إلى آليات إقناع خاصة وحقوق محددة، فهذه المقابلة التي تدور بينهم من شأنها أن تغير من اعتقادات المتقابلين مادام التغيير التصديقي أو الاعتقادي متبادلا بين الطرفين المتقابلين في الحجاج الفلسفي ومن هنا فمنهج الحجاج لا يرج عن نطاق المناظرة التي تعد شرطا في حياة الفيلسوف.

---

[1]- ينظر أبو العزّ الحنفي، كتاب شرح العقيدة الطحاوية ،المكتب الإسلامي، ط9، طبع 1416هـ - 1996م، ص525.

[2]- ينظر د محمد يعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي (محاولة في المنهجية)، ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون الجزائر- ط 1995، ص19.

و إذا كانت جل المعاني الفلسفية معان عقلية، و كان العقل النظري طريقه البرهان فإن المعاني الفلسفية معان برهانية، قال ابن رشد:" الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع أعني من جهة ماهي مصنوعات ... إن الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل و تطلب معرفتها به"[1] فنجاح الفيلسوف في تعامله مع البرهان متوقف على نجاحه في استخدام طريقة معينة إثبات قضاياه عن طريق أسلوب الحوار.

إن أسلوب الحوار يميز الفلسفة عن غيرها من أصناف المعرفة الإنسانية و يمنحها منهجية مخصوصة، و من ثمة إمكان قيام الفكر الفلسفي في كل قطاع معرفي من جهة، وانتهاج الفلسفة لأسلوب المناظرة من جهة أخرى.

كما أن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع، إذا كان غرضهم فيها هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه، فالناس ينقسمون بحسب طبائعهم إلى ثلاثة أقسام، فمنهم من لا يصدق إلا بالبرهان اليقيني، و منهم من يصدق بالأقاويل الجدلية، و أما الصنف الآخر فهم اللذين يصدقون بالأقوال الخطابية، و هؤلاء هم الجمهور الغالب، و لما دعت الشريعة الإلهية الناس من هذه الطرق الثلاث عم التصديق بها، و ذلك صريح في قوله تعالى:(ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾)[2].

فكل قسم جعل له الله سبحانه و تعالى طريقا خاصا للتصديق، فمن كان من أهل الحكمة فسبيل تصديقه البرهان، و من كان من أهل الجدل فبالجدل، و من كان من أهل الموعظة فبالموعظة، وبذلك يكون القرآن الكريم قد راعى اختلاف فطر الناس و طبائعهم، خاصة العرب ، الذين نبغ "فيهم حكماء فآتاهم من الحكمة بما عجزوا عن مثله ، و كان فيهم أهل وعظ و تذكير ، كقس بن ساعده و غيره و لم يجادلهم إلا طريقة ما يعرفون من الجدل "[3] فتضمنت الجزء الباطن الذي يظهر معناه إلا لأهل البرهان، و أما الظاهر فهو جملة الأمثال المضروبة لتلك المعاني التي يمكن التصديق بها مباشرة، أي ظهور ما يسمى بالجدلية و الخطابية.

---

[1]- ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982، ص24

[2]- سورة النحل الآية 125.

[3]- أبو إسحاق الشاطبي – الموافقات في أصول الشريعة – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان (ب ت ط)، ج1 ص60

وبالتالي فإن الحوار يتجلى في الفلسفة من خلال الأسئلة التي يطرحها الفيلسوف، فهي عنده أهم من الأجوبة، بحيث كل جواب يتحول بدوره إلى سؤال من جديد، و هذا من خلال التأمل العميق في شكل الإنسان و مكوناته و مختلف ظواهر الكون.

المبحث الأول: أصول الحوار و آدابه.

أرشدنا القرآن الكريم إلى أن الاختلاف حقيقة وواقع، و دعانا إلى التعامل مع هذه الحقيقة من خلال الحوار، فما هي الأصول و الآداب التي ارتكز عليها؟

ذلك ما يجعلنا من خلال هذا البحث الإسهام في بيان بعض أساليب القرآن في الحوار، ليكون هذا الأخير سبيلا من سبل تحريك خطوات الواقع العلمي،في صورته العقلانية الوديعة الهادئة، والتي تناضل، وتعمل للمحبة،وتكافح مشاعر البغضاء،هدفها في ذلك أن يجعل الإنسان استشعار عظمة الله وحضوره الدائم في الذهن،ويكون بذلك الحق قاعدة تلتقي عندها تطلعات الإنسان كلها في الحياة.

و تتمثل الآداب التي يجب على كل محاور أن يلتزمها في الآتي:

أ/الواقعية في الخطاب و إنزال الناس منازلهم:

لقد جاء القرآن الكريم ليخاطب العقول و يحرك الهمم لتعمل جهدها للوصول إلى الحق الذي دعا إليه الأنبياء و الرسل، و كما تميز بمراعاته لأحوال الناس ومعتقداتهم، و إنزاله الناس منازلهم ثم دعوتهم على قدر عقولهم و أفهامهم و طبائعهم، ذلك أن الناس متفاوتون في مداركهم، مختلفون في مسالكهم إلى الحق، و منهاجهم في اكتساب المعارف. فمنهم من يصدق بالبرهان ولا يرضيه إلا قياس تام، أو ما يجرى مجراه، و هؤلاء من غلبت عليهم الدراسات العقلية و النزعات الفلسفية، وكان لهم من أوقاتهم ما أزجوه في دراسات واسعة و علوم سيطرت عليهم، فسادهم التألم الفلسفي والمنزع العلمي، و المستقرئ لأحوال الأمم، المتبع لشؤونهم يرى أن هذا الصنف تمثله قلة من الناس، ذلك لأن أكثر من في الأرض قد انصرف إلى عمل من زراعة و صناعة، ولهذا أمر الله تعالى نبيه أن يدعو إليه بالحكمة في قوله تعالى:(ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾)[1].

1- سورة النحل الآية 125.

و من الناس من غلب عليه مذهب ديني أو غير ديني قد استأثر بلبه، و سدد مسام الإدراك إذا استولت عليه نحلة مذهبية فتعصب لها، و التعصب يعمي و يصم، و يجعل النفس وهؤلاء لابد لهم من طريق جدلية، تزيل ما لبس الحق عليهم، و يتخذ مما يعرفون وسيلة لإلزامهم بما يرفضون.

و هذا الصنف من الناس و إن كان أكثر عددا من الأول، ليس هو الجمهور الأعظم و لا الكثرة الغالبة بين الناس و لعله الذي أمرنا الله تعالى به (بالتي هي أحسن)، و ذلك في قوله تعالى:

(۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ)[1]. أما الجمهور الأعظم من الناس فليسوا هؤلاء،

و لا أولئك، بل هو في تفكيره أقرب إلى الفطرة، فيه سلامتها، و فيه سذاجتها، و فيه إخلاصها وبراءتها، و هو لا يخاطب بتفكير الفلاسفة، ولا يخاطب بما يخاطب به المتفكرون تفكرا علميا، بل يليق به ما التقى فيه الحق مع مخاطبة الوجدان، و ما اختلطت به اليقينية بما يجعل الأهواء تابعة لها، و الميول خاضعة لمنهاجها، و ما التقت فيه سلاسة البيان و بلاغته بقوة الحق، و ليس بما يختص به أهل المنطق، و لا ما عليه أهل العلوم الكونية، إنما يخاطب الجمهور الأعظم بالحق وبما يغذي الفطرة، و بما يثيرها و يوجهها إلى السبيل الأقوم.[2]

ولهذا كان على معلم الناس الحكيم أن يدرس الواقع،وأحوال الناس،وينزل كل واحد منزله، ثم يدعوهم على قدر عقولهم و أفهامهم و طبائعهم و أخلاقهم و مستواهم العلمي والاجتماعي، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بصراحة في قصة موسى و هارون عليهما السلام مع فرعون، قال الله تعالى:(ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾)[3].

1- سورة العنكبوت الآية .46

2- ينظر الإمام محمد أبي زهرة، المعجزة الكبرى القرآن الكريم دار الفكر العربي مصر ص138-139

3- سورة طه الآية 43-44.

ويذهب القرآن الكريم إلى أبعد من ذلك ـــ من أجل تبليغ دعوة الله و محاورة الناس و ذلك بإباحته للمسلم أن يحمي المشرك ـــ رجاء دخوله الإسلام، قال الله تعالى:(وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ)[1].

فالقرآن الكريم يوفر الأجواء التي تيسر سبيل الحوار بين الأطراف، و ذلك بتقديم ما يعرفونه وفي ظروف تسمح لهم بالإصغاء، وهذه الصفة كانت من شيمة الصحابة رضوان الله عليهم،لهذا جاء عن علي رضي الله عنه قوله : "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله و رسوله"[2]، وصح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:"أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن ننزل الناس منازلهم"[3]، و قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:"ما أنت بمحدث قوما حديثا، لا تبلغه عقولهم إلا كان كان لبعضهم فتنة"[4].

وهكذا فهم الصحابة رضي الله عنهم أسلوب القرآن الكريم في مواجهته للمحاورين بالحوار الهادئ و الجدال الهادف المعتمد على أسلوب الإقناع بالتي أحسن.

ب/احترام المعارض و الهدوء في العرض بعيدا عن الانفعالية:

لقد تميز الأسلوب القرآني في عرضه عقائده و مناقشته المعارضين بالهدوء في الحوار والاحترام للمخاطبين، و حسبنا بيانا لهذه الخاصية اعتبار القرآن الكريم للأقوام الذين أرسل إليهم الأنبياء إخوة لرسله، قال الله تعالى:(۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾)[5]، و قال في شأن قوم صالح:(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا)[6]، وقال في شأن شعيب: (وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا)[7]. و من هنا يتحتم علينا تأسيا بأسلوب القرآن الكريم أن نتلطف بالقول فنستعمل في كلامنا وخطابنا ما يثير رغبة السامع إلى السماع، و يقمع فيه نوازغ الجهل والنفور، والابتعاد من الأجواء الانفعالية التي تشغله عن مناجاة نفسه وقفة تأمل و تفكير

4- سورة التوبة الآية .6
5- أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قوما دون قوم كراهية ان لا يفهموا، رقم 124، المكتبة الثقافية بيروت، ج1 ص72.
3 - أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الأدب، باب في إنزال الناس منازلهم، 4202، دار الكتب العلمية بيروت 1419 هـ - 1997م، ج13 ص 131.
4- أخرجه مسلم في مقدمته، باب النهي عن الحديث بكل ماسمع، 05، دار الكتب العلمية بيروت 1415 هـ - 1995م،ج1 ص 70.
5- سورة الأعراف الآية 65.
6 - سورة الأعراف الآية .73
5- سورة الأعراف الآية 85.

من أشد الأمور ضرورة لوصول الحق إلى هدفه، لأن المخاطب قد يخضع في قناعاته و أفكاره، للجو الاجتماعي.

ولعل " هذا المنحنى التفاعلي الذي يباشر به الخطاب القرآني رسالته، هو الميزة الأساس للآداب التوصيلية المرتبطة ارتباطا حميما بالمتلقي، إذ أنها تشركه في مفهمة الحدث ألقولي بالتأويل وتراعي قابليته في رسم الحدود الشرعية و في وضع التصورات الغيبية، و تدعوه لأن يغدوا طرفا في المفاعلة الكلامية التي يعقدها الخطاب القرآني مع المتلقي، و هذا بدعوته إلى إعمال عقله، من هنا كان السرد القرآني فعلا قوليا مباشرا، مفتوحا على الإخبار و التقريرات و الأحكام والتصورات و على المطارحات أيضا."[1]

صور لنا القرآن الكريم ذلك فيما نقله لنا من أسلوب النبي صلى الله عليه و سلم في الحوارمع خصوم العقيدة، عندما واجهوه بتهمة الجنون، فدعاهم إلى أن يتجردوا عن هذا الجو الانفعالي، قال الله تعالى:(وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٦)[2]، وذلك ليخف تأثير الفكر الجمعي "لأن الاجتماع مما يشوش الخواطر، ويعمي البصائر،ويمنع من الروية ويخلط القول مع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا لنصرة المذهب"[3].و على هذا الأساس حرص القرآن الكريم في مناقشته المعرضين على الطريقة السليمة من أجل الوصول إلى الحقائق.

ج/عدم الإكراه و حسن الاستماع:

إن عدم الإكراه في القرآن الكريم وحسن الاستماع لآياته الكريمات يدفعنا إلى استحضار الخطاب القرآني الذي يشكل " من حيث هو رسالة سماوية توجت سلسلة الرسالات التي سبقتها، ظاهرة تواصل مفتوح على شؤون الإنسان، في تجددها و استرسال تطورها.. ذلك التطور الذي هو أساس الحياة، و مبدأ الوجود.. لقد إنبنت رسالة القرآن على معادلة مطردة، يتفاعل بمقتضاها الأصل الثابت، مع الفرع المتغير، في جدلية التطور.. فكانت من ثمة أهلية الخطاب القرآني

1- الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ص197.
2- سورة سبأ الآية 06.
3 - أبو القاسم الزمخشري ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة،بيروت لبنان،(ب ت ط)،ج 3 ، ص264.

للإستعاب الرقي، و تمثل مظاهر التجديد الحياتية، بل و الدفع بها قدما.. من هنا تجرد الخطاب القرآني من كل مظاهر التجمد الفكري، و ابتعد عن نزعة الإلزام العشوائي غير المسوغ و عن التغيير الفوقي الإعتسافي، سواء من حيث سنه للمبادئ أو من حيث تأسيسه للأخلاقيات"[1].

فالإسلام لم يحمل الناس على أن يؤمنوا بعقيدته مكرهين أو ملزمين، لأن طبيعة الإيمان تأبى الإكراه، وهذا ما صرح به القرآن الكريم بجلاء، قال الله تعالى: :(لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ)[2]

و قد خاطب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم إبرازاً لهذه الحقيقة بقوله تعالى :(وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ)3، لأن الموضوعية في عرض الحقائق لا تتوافر إلا إذا انعدمت وسائل الضغط و عوامل الإكراه.لذلك وجدنا سحرة فرعون يرتدون عن عقائدهم وأفكارهم،ويكفرون بمبادئهم، و يتمسكون بالحق الذي دعا إليه موسى عليه السلام.ولو كان ذلك على حساب حياتهم. وهذا ما رسمته أمامنا هاته الآيات قال الله تعالى:

(قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾).[4]

فلما كان دعوة الناس إلى الحق بالحجة و البيان و عن اقتناع، كانت النتيجة دخول الكثيرمن الخلق إلى هذا الدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و في هذا الصدد قال سيد قطب:" إذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالخارقة المادية القاهرة، فهو من باب

1- الخطاب القرآني ص181.
2 - سورة البقرة الآية 256.
3 - سورة يونس الآية 10.
4 - سورة طه الآية 65-73.

أولى لا يواجهه بالقوة و الإكراه، ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر و الإكراه، بلا بيان و لا اقناع و لا اقتناع"[1].

و عندما ينتهي الحوار إلى هذه النتيجة، فللمسلم رسالة يختم بها حواره تتمثل في تذكير الطرف الآخر بأنه مسؤول عما وصل إليه.

د-حرية الفكر و مناقشة منهج التفكير:

لابد لكي يبدأ الحوار، أن يمتلك أطرافه حرية الحركة الفكرية التي يرافقها ثقة الفرد، بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا ينسحق أمام الآخر لما يحس فيه من العظمة،والقوة التي يمتلكها الآخر، فتتضاءل إزاء ذلك ثقته بنفسه،وبالتالي بفكره وقابليته؛حتى يكون طرفا في الحوار، فيتجمد ويتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر، لذلك أمر الله تعالى رسوله أن يحقق ذلك ويوفره لمحاوريه، قال الله تعالى:(قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ..)[2] ، و قوله تعالى:(قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨)[3]. فإذا امتلك طرفا الحوار الحرية الكاملة فأول ما تناقش فيه، هو المنهج الفكري قبل المناقشة في طبيعة الفكر و تفاصيلها، في محاولة لتعريفهم بالحقيقة التي غفلوا عنها، و هي أن القضايا الفكرية، لا ترتبط بالقضايا الشخصية، فلكل مجاله، ولكل أصوله التي ينطلق منها، و يعود إليها، قال الله تعالى :(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠)[4]. و يؤكد الحوار القرآني استقلالية كل من المتحاورين مسؤوليته عن نفسه، قال الله تعالى :(إِن مَا تُوعَدُونَ

1- سيد قطب ، تفسير في ظلال القرآن، دار الشروق ط15 ،سنة 1408هـ-1988م ، ج1 ص291.
2- سورة الكهف الآية 110.
3- سورة الأعراف الآية 188.
4- سورة البقرة الآية 170.

لَأَتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ

لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾)[1].

ه- اعتبار الشك في الفكرة موقفا مشتركا بين الطرفين:

اعتمد القرآن في الحوار على عدم الدخول بأفكار مسبقة من شأنها أن تعقد المفاهيم، وتشكل حاجزا يمنع المخاطبين من الشعور بالحرية، فيما يقبلون و فيما يرفضون، و كان ذلك في اعتبار الشك في الفكرة موقفا مشتركا بين الطرفين يوحي لكل منهما بضرورة إعادة النظر في القضية، ومحاولة مواجهتها من جديد، فليس هناك حكم سابق من أي الطرفين على خصمه بالهدى أو بالضلال، بل هو الموقف المشترك الذي يريد أن يصل إلى الحقيقة من خلال الحوار الايجابي، وهذا ما أرشدت إليه الآية في قوله تعالى :(۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ

قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا

تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾)[2] لم يعط القرآن في أسلوبه هذا لنبيه صفة الهدى

ولم يدمغ خصمه بصفة الضلال؛ ليترك المجال للقضية أن تتحرك في حرية، لتصل إلى النتيجة الحاسمة من موقع الحرية الفكرية، فكل من سمع هذا الكلام من موال أو مناف قال لمن خوطب به:قد أنصفك صاحبك، و هذا أفضل بالمجادل لتحقيق الغرض من الحوار، وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم[3].

وهذه غاية الإنصاف والاعتدال والأدب في الجدال -على حد تعبير السيد قطب- :حيث يقول "الرسول صلى الله عليه و سلم للمشركين أن أحدنا لابد أن يكون على هدى و الآخر لابد أن يكون على ضلال، ثم يدع تحديد المهتدي منهما و الضال، ليثير التدبر و التفكر في هدوء لا تغشى عليه العزة بالإثم، و الرغبة في الجدال و المحال، فإنما هو هاد و معلم، يبتغي هداهم و إرشادهم، لا إذلالهم و إفحامهم لمجرد الإذلال و الإفحام و الجدل على هذا النحو المهذب الموحى

1- سورة الأنعام الآية 134-135.
2- سورة سبأ الآية 24-25.
3- ينظر:الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 258

أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه، والمقام، المستكبرين على الإذعان والاستسلام، و أجدر أن يثير التدبر الهادئ و الإقتناع العميق، و هو نموذج من أدب الجدل ينبغي تدبره من قبل المسلمين".[1]

وهذا في الحقيقة يدخل في ما يسمى بالتسليم الجدلي، بإمكانية صواب الخصم كونه على حق كما جاء في الآية الآنفة الذكر، فبعدما سوى القرآن بين المتحاورين في الهداية والضلال، يضيف على الفور في تنازل كبير بغية حمل الطرف الآخر على القبول بالحوار قال الله تعالى :

" قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ "[2]، فيجعل اختياره إجراما على الرغم من أنه هو الصواب، و لا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل، ليقرر في النهاية أنّ الحكم النهائي لله : قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾[3].

و-الانضباط بالقواعد المنطقية و حسن البيان و اجتناب المغالطات:

إن قوة التعبير بفصاحة اللسان، و حسن البيان من أركان المناقشة الجيدة، و الحوار الناجح فإذا تم الالتزام بهذه الأسس، فإنّ الحوار ينطلق معتمدا على قواعد العقل و المنطق، والعلم و الحجة والبرهان، و الحكمة و الموعظة الحسنة، فما أكثر ما يرد في القرآن قوله تعالى:" قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَـٰنَكُمۡ "[4]. و قال تعالى مرشدا إلى اعتماد العلم و الحجة في الحوار :(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾)[5]، و قوله تعالى :(هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾)[6]، و قوله تعالى

1- تفسير في ظلال القرآن سيد قطب ج5 ص2905.
2- سورة سبأ الآية 25.
3- سورة سبأ الآية 26.
4- سورة البقرة الآية 111، سورة الأنبياء الآية 24 سورة النمل الآية 64. سورة القصص الآية 75.
5- سورة الحج الآية 08.
6- سورة آل عمران الآية 66.

:(أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾)[1]، و كذلك لما كلف الله موسى

عليه السلام بالتوجه إلى فرعون كي يدعوه إلى عبادة الله تعالى، سأل ربه أن يحل عقدة من لسانه

و يرزقه الفصاحة و البيان ليفهموا قوله، قال تعالى :(وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾

)[2]. ولذلك كان كلام الله تعالى واضحا لا غموض فيه و لا إبهام، مفهوما عند السامع، كذلك كلام نبيه عليه الصلاة و السلام ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:" كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا، أي بينا ظاهرا يفهمه كل من يسمعه"[3].

ز- ختم الحوار بهدوء و الإشهاد على المبدأ و عدم تتبع الأخطاء:

إذا سار الحوار وفق هذا المنهج ، من قبل جميع الأطراف فلابد أن يصلوا جميعا إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق، وتأييد الصواب فإذا رفض المحاور الحجج العقلية كأن لم يقتنع بها، فإنه بذلك يمارس حقا مسؤولا كفله له رب العزة و سيكون مسؤولا عن ذلك أمام الله تعالى و في هاته الحالة ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ دون حاجة إلى التوتر و الانفعال

قال الله تعالى:(أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾)[4]، وقوله

تعالى:(... وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾)[5]، و في آخر الحوار يتم

يتم إشهادهم على المبدأ والتمسك به، قال عز وجل (..فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

)[6]، و لا حاجة إلى أن يتابع الخصم ما بدر منه من إساءات في الحوار،ويكون العفو والصبر أساسان وخلقان في التعامل مع الجاهلين، (خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾)[7]،

1- سورة الصافات الآية 156-157.
2- سورة طه الآية27-28.
3- رواه أبو داوود ، كتاب الأدب باب الهدي في الكلام دار الكتب العلمية بيروت 1419هـ - 1997م،ج13 ص126.
4- سورة هود الآية 35.
5- سورة القصص الآية 55.
6- سورة آل عمران الآية 64.
7- سورة الأعراف الآية 199.

وقوله سبحانه وتعالى :(فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ)[1]، وقوله تعالى:(وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠)[2].هكذا يرشد المنهج القرآني في الحوار إلى نهاية مفيدة، وأداء الرسالة يبقى أثرها في الضمير، فأسلوبه لا يسيء إلى الخصم بل يؤكد حريته واستقلاليته، و يقوده إلى موقع المسؤولية ليتحرك الجميع في إطارها و ينطلقوا منها و معها في أكثر من مجال.

المبحث الثاني: طريقة الاستدلال في القرآن الكريم:

تكلم رجال البيان عن الينابيع التي يستقي منها الخطيب أدلته وبراهينه ، في بيان مناهج الخطب واستدلالها و مع إقرارنا بأن منهاج القرآن أعلى من الخطابة ، و من الشعر و السجع ، نرى أن نستعير من علماء البلاغة كلاماً في مصادر الاستدلال،ونريد أن نتعرف عل المصادر الذاتية التي بنى القرآن الكريم استدلاله عليها، و إن كان المقام أعلى و أعظم،وهو معجز في ذاته ، وليس ككلام البشر،وإن بني على حروف البشر و ألفاظهم و من جنس كلامهم.

إن الاستدلال الذي يستمد من مصادر ذاتية ، أي تؤخذ من ذات الموضوع ، و هي أشبه بالبرهان المنطقي ، و إن كانت أعلى ، هي ستة مواضع أو ينابيع:

أولها: التعريف أي معرفة الماهية.

ثانيها : التجزئة بذكر أجزاء الموضوع .

ثالثها التعميم ثم التخصيص.

رابعها: العلة والمعلول.

خامسها: المقابلة.

سادسها: التشبيه و ضرب الأمثال [3].

أولها - الاستدلال بالتعريف :

هذا النوع من الإستدلال موجود بكثرة في القرآن الكريم ، و حده "بأن يؤخذ من ماهية موضوع القول دليل الدعوى" [4] ، نذكر على سبيل المثال، ما استخدمه إبراهيم عليه السلام لإثبات أن

1- سورة طه الآية 130

2-. سورة المزمل الآية 10.

3- ينظر الجدل في القرآن ص 181-182.

4- ينظر المعجزة الكبرى القرآن الكريم ، ص.318

أن الأصنام لا تستحق العبادة ، فها هو يقول لأبيه في قوله تعالى:(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾) [1] ،و يقول لأبيه و قومه في سورة الأنبياء **(ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون)** [2].

و قوله في السورة نفسها **(أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً و لا يضركم)**[3] وقوله تعالى:(فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾) [4] ، و قوله تعالى:(فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾)[5] ، و قوله تعالى في سورة الأنبياء لما يُسأل **(أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم)** فيرد عليهم (قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾) [6] .

إن الآيات السابقة ، و ما احتوت عليه من استفهامات إنكارية ، و تعجبات توبيخية ، كان القصد منها ، أن يبين عليه السلام ، أن ما لا يسمع شيئاً من المسموعات ، ولا يبصر شيئاً من المبصرات ولا يجلب نفعاً ، و لا يدفع ضرراً لا يستحق العبادة ، إذ العبادة هي غاية منتهى التعظيم فلا يستحقها ، إلا الخالق الرازق ، الوهاب النافع المضر ، وقد أخرج كلامه عليه السلام عندما قال: فاسألوهم إن كانوا ينطقون" مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الإعتراف بان الجمادات التي عبدوها ليست بآلهة" [7].

2- سورة مريم، الآية 42.
2- سورة الأنبياء، الآية 52.
3- سورة الأنبياء، الآية 66.
4- طه الآية 44.
5- طه الآية 49-55
6- الأنبياء الآية 63.
7- ينظر الشوكاني تفسير الفتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ، دار الوفاء، طبعة1، 1415 هـ / 1994م،ج3، ص413

قال القرطبي في تفسيره "بيّن أن من لا يتكلم و لا يعلم لا يستحق أن يعبد ، و كان قوله من المعاريض" ليقولوا إنهم لا ينطقون، و لا ينفعون، و لا يضرون، فيقول لهم: فلم تعبدونهم؟ فتقوم الحجة عليهم منهم" [1] .

ثانيها- الاستدلال بالتجزئة :

التجزئة هي أن نذكر أجزاء الموضوع المراد بيانه ، و تتبع تلك الأجزاء ، و تحليلها، وتشريحها و تقييمها يكون الحكم عليها بالإثبات أو النفي ، أي إثبات ما يراد إثباته ، وذلك بالتدليل على إبراز مقومات الصحة فيه حتى يقع ترسيخه ، و تدعيمه و نفي ما يعارضه ، و ذلك بإقامة الحجة على بطلانه ،والتنبيه على فساده [2].

و من الاستدلال بالتجزئة قوله تعالى :" ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ " [3].

و نجد هنا في هذه الآية الكريمة تجزئة في الاستدلال ، بحيث يعتبر كل جزء دليلاً قائماً بذاته، ومن مجموعه دليل كلي على أن كل صغير أو كبير من خلق الله تعالى، وأنه دليل على وجوده سبحانه وتعالى [4]. و كذلك في قوله تعالى :(قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾) [5].

إنّ هذه الآية تضمنت أمراً موجهاً لرسول الله بأن يحمد الله، و يثني عليه، و يشكره على ما أعطى من نعم، و على ما وهب من خيرات و أن يسلم على الذين اصطفاهم، لأنهم بينوا آيات الله ، و صدقوها ، و تحملوا ما اقتضته من أتعاب ، و مواجهات حتى نصرهم الله و أهلك أعداءهم

1- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، طبع 1997.1417،ج11 ص 198
2- ينظر الجدل في القرآن الكريم ، ص181.
3- سورة الأنبياء الآية 29-35.
4- ينظر المعجزة الكبرى ص322.
5- النمل الآية 59.

وأعداءه لتكذيبهم آيات الله على الرغم من ظهورها و وضوحها ، و إذا كان الله من أفعاله الحكيمة انه يبعث الرسل ، و يصطفيهم ليبلغوا هداياته ، و يعلموا الناس توجيهاته.

و إذا كان الله من مذّه أن ينصر عباده ، و يؤيدهم و يظهرهم و يهلك من أعرض.وإذا كانت الأصنام لم تستطع أن تدافع عمن والاها و لا يمكن أن تبعد عنه ضرراً فمن أولى بالعبادة، والشكر و الحمد ؟ [1].

قال سيد قطب في قوله تعالى :(آلله خير أمّا يشركون) إن هذا السؤال و كأنه تهكم محض ، وتوبيخ صرف لأنه غير قابل أن يواجه على سبيل الجدّ أو أن يطلب عنه الجواب" [2].

ثالثها- الاستدلال بالتعميم ثم التخصيص:

التعميم أن تذكر قضية عامة ، و تؤدي إلى إثبات الدعوى بإجمالها ، ثم يتعرض المستدل إلى جزئيات القضية ، فيبرهن على أن كل جزء منها يؤدي إلى إثبات الدعوى المطلوب إثباتها ، وأنها في مجموعها تؤدي إلى إثبات الدعوى [3] .

وعرّفه محمد تومي بقوله :" و صورته أن يذكر المجادل ما يريد إثباته من مضمون في شكل قضية عامة يبرهن عليها أولاً بصورة إجمالية ، أو بدليل إجمالي ، ثم يتعرض -ثانياً- إلى بيان جزئياتها ليبرهن عليها بصورة تفصيلية ، إشارة إلى إن كل جزئي منها يؤدي إلى إثباتها، وإشعاراً بان مجمعها يصلح أن يكون دليلاً كلياً عليها " [4] .

ومن ذلك جدال موسى –عليه السلام- فرعون حيث ندرك أنه عليه السلام ، قد سلك جدالاً يتلاءم وما تزود به من توجيه مستمد من قوله تعالى :(**فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا**) [5] و من المعلوم ان من آداب الحوار والدعوى إلى الله تعالى ليونة القول، و إيضاح طرق الإبانة الهادئة التي تخاطب العقل، يقول الله تعالى :(**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ**

1- ينظرالجدل في القرآن ، ص 181-182.
2- ينظر في ظلال القرآن ج5 /2655.
3- ينظر المعجزة الكبرى ص 322.
4- الجدل في القرآن الكريم ص196.
5- طه الآية 44.

مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾) [1]

فذكر سبحانه وتعالى :" كلمة جامعة كاشفة لمعنى الربوبية، و مع الربوبية العبادة، و كمال الألوهية، فقال الله تعالى على لسان موسى "**ربّنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**" فهو سبحانه وتعالى مانح كل شيء في هذا الكون الوجود ، و هو مانح الهداية لمن اهتدى. ثم أخذ القرآن الكريم التعميم جامعا بين جزئيات داخلة في هذا المجال ، و ذكر من بعد هذه الجزئيات ما ينبه فرعون وآهل مصر وهم أهل زرع و ضرع ، و ختم النص الكريم بما يناسبه ، و هو نعمة للجميع **"كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى"** [2]. وخلاصة هذا أن الاستدلال في موضوع الدعوة قد وقع بالتعميم ثم وقع البرهان على ذلك بالتخصيص، و فائدة هذا الاستدلال؛ الإشارة إلى أن كل من الاستدلال بالعموم، والاستدلال بالخصوص يثبت موضوع الدّعوة، و هو أن الله رب العالمين.

رابعها- الاستدلال بالمقابلة :

المقابلة عبارة عن مقارنة بين قضيتين، أو موازنة بين شيئين لمعرفة أيهما المؤثر في الآخر، إذا كان الأمر يتعلق بالمحتاج و المحتاج إليه ، أو أيهما على حق إذا كان الموضوع يرتبط بتحديد موقع كل منهما من حيث قربه، أو بعده من الخطأ و الصواب [3] .

وقد كان ذلك النوع من ينابيع الاستدلال كثيراً في القرآن الكريم ، لأن المشركين كانوا يعبدون أحجاراً يصنعونها أو مخلوقات الله تعالى خلقها ، و كانوا يعتقدون أن لها تأثيراً في الإيجاد، أو في منع الشر،أو جلب الخير ،فكانت المقابلة بين الذات العليا، وبين ما ابتدعوا من عبادة الأوثان ينبوعاً للاستدلال على بطلان ما زعموا [4].

1- طه 49-55
2- المعجزة الكبرى ص 323.
3- ينظر الجدل في القرآن الكريم ص 204.
4- المعجزة الكبرى ص 325.

ومثاله قوله تعالى :(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾)[1]، فالعاقل النبيه ، الذي يدرك أن الأصنام المصنوعة من الحجارة ، غير جديرة لأن تنال شرف أدنى مقدار من الاحترام و التقدير بحكم أنها ، لا تملك السمع و البصر ، ولا تجلب لنفسها خيراً ولا تدفع الشر ، حتى لو كان من المخلوقات الضعيفة كالذباب ، قال الله تعالى(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾)[2]. فتكون المقابلة ضربة قاضية لإسكات المشركين، وتبكيتهم.

ومن المقابلة -أيضاً- ما نجده في سورة لقمان ، فبعد أن تعرض السياق القرآني ، إلى ذكر بعض المخلوقات العجيبة الدالة على عظيم قدرة الله تعالى ، و بديع حكمته ، ختمه بقوله تعالى:(هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾)[3] ، في هذه الآية استدلال على أن الله قادر حكيم ، و أنه لا إله إلا هو ، و لا معبود سواه ، وبالتالي يبطل مبرر عبادة الأوثان قال الرازي " يعني الله خالق ، وغيره ليس بخالق فكيف تتركون عبادة الخالق، وتشتغلون بعبادة المخلوق"[4].

و من الأمثلة كذلك قوله تعالى :"أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ "[5] قال الرازي:

"والمعنى أفمن يخلق هذه الأشياء التي ذكرناها كمن لا يخلق بل لا يقدر البتّة على شيء أفلا تذكرون ، فإن هذا القدر لا يحتاج إلى تدبر، و تفكر و نظر، و يكفي فيه أن تنتبهوا إلى ما في عقولكم من العبادة التي لا تليق بالمنعم الأعظم، وأنتم ترون في الشاهد إنساناً عاقلاً فاهماً ينعم

1- سورة لقمان الآية 25.
2- سورة الحج الآية 73.
3- سورة لقمان الآية 11.
4- فخر الدين الرازي ،التفسير الكبير ، دار الإحياء التراث العربي، بيروت،ط3، (ب.ت.ط)، ج25، ص144.
5- سورة النحل الآية 17.

بالنعمة العظيمة، و مع ذلك فتعلمون أنه يقبح عبادته، فهذه الأصنام جمادات محضة ، و ليس لها فهم ولا قدرة ، ولا اختيار فكيف تَقْدِمون على عبادتها و كيف تجوزون الاشتغال بخدمتها" [1]. هذا قليل من كثير من صور المقابلات التي عرضت في القرآن كطرق استدلالية.

خامسها- الاستدلال بالتشبيه و الأمثال :

من الطرق الاستدلالية التي اتبعها القرآن الكريم، لإثبات الحقائق، و توضيحها، استعمال الأمثال."وضرب الأمثال باب من أبواب التشبيه، وهي تضرب كما ذكرنا في باب التشبيه للغائب لتقريب الحقائق وتشبيه الغائب غير المحسوس بما يقربه من القريب المحسوس، ولتوضيح المعاني الكلية بالمشاهد الجزئية، وللاستدلال بحال الحاضر على الغائب" [2].

ولقد بين القرآن الكريم أهمية هذا الأسلوب لأنه مدعاة لإعمال العقل وتحريك الفكر. قال تعالى: (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) 3، وأنها لا يفهم مغزاها، ولا يدرك كنهها، واستيعابها لكثير من الفوائد إلاّ الراسخون في العلم المتدبرون في عواقب الأمور[4] ، قال تعالى: (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾) [5]. ومن الأمثلة على الاستدلال بالأمثال ما ورد في قوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾)[6] قال الرازي:"اعلم أنّه سبحانه لما بين من قبل، أنهم يعبدون من دون الله ما لا حجة لهم فيه ولا علم، ذكر في الآية ما يدل على إبطال قولهم إن هذا المثل ضرب لإظهار حجتين :

- الأولى: بما أن الأصنام ، و إن اجتمعت ليس في إمكانها خلق ذبابة على ما هي عليه من ضعف فهل من اللائق اتخاذها معبوداً !؟.

1- التفسير الكبير للرازي، ج 20، ص12.
2- المعجزة الكبرى ص328.
3- سورة الحشر الآية 21.
4- الجدل في القرآن ص233
5- سورة العنكبوت الآية 43.
6- سورة الحج الآية 73-74.

- الثانية: و بما أنها أيضاً إن يسلب الذباب منها شيئاً، لا تقوى على انتزاعه منه، و كل من كان كذلك فكيف يليق جعله معبوداً ؟"[1].

فهذا المثل سيق مساق الاستدلال ، و كان دليلاً قوياً ، إن كانوا طلاب حق يلتمسون الدليل عليه، وإن كانوا طلاب باطل ضلوا السبيل ، لا يزيدهم الدليل إلا كفراً[2]. من الواضح أن بناء عقيدة البعث هو المقصد الثاني من مقاصد القرآن لما يتوقف على سلامة بنائه من مهام غائية ، قال تعالى :"أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾"[3] . **فقوله تعالى:"** وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾"[4].

ومن الأمثلة كذلك التي ساقها القرآن الكريم على إمكانية البعث و النشور قوله تعالى :(أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾)[5].

إن هذه القصة رغم كونها سيقت كمثل ، هي واقعية و ليس في سياق القول ما يدل على أنها تصويرية، والأصل أن تكون حقيقية ، فلابد أن أجزاءها قصة واقعة ، وليست مجرد مثل تصويري، و هذه القصة معها دليل واقعي على البعث و النشور ، وأنه في قدرة الله تعالى إعادة الموتى ، فمن أنشأ الكون يحيي الموتى ، وأننا سنموت كما ننام ، ونبعث كما نستيقظ ، فهو مثل واقعي ، لبيان كيف يحيى الله الموتى- فقد مات الرجل مئة عام ى، ثم أحياه الله ، ورأى طعامه لم يتغير ، و رأى حماره حتى حسب أنه نام يوماً أو بعض يوم و الله على كل شيء قدير[6].

1- التفسير الكبير ،ج23 ص67-68
2- المعجزة الكبرى ص 329.
3- سورة القيامة الآية 36
4- سورة الذاريات الآية 56.
5- سورة البقرة الآية 259.
6- ينظر المعجزة الكبرى ص 333.

سادسها- الاستدلال بالعلة والمعلول:

من الطرق البرهانية المشهورة، ما يعرف باستدلال "العلة و المعلول" و هو عند الإمام أبي زهرة " الربط بين القضايا التي تصور أجزاء الحقائق في هذا الوجود بأن يكون وجود بعض الأشياء وعلة لوجود شيء آخر وبمقدار قوة الارتباط تكون قوة الاستدلال، و ذلك بأن يكون أحدهما علة للآخر و إذا وجدت العلة كان المعلول ثمرة لوجودها.." [1].

إن الإنسان في هذه الحياة يعيش على أساس نظام الوسائط و الأسباب و ربط الأمور بمقدماتها الذي يقوم على مبدأ التناسق الموجود بين الحقائق، والذي يعبر عنه بمبدأ العلية أو قانون السببية، وعرّف الإيجي العلة "بأنها ما يحتاج إليه وجود الشيء،وأن المعلول هو ذلك الشيء المحتاج" [2]. والمثال على هذا الاستدلال ما ورد في قوله تعالى "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ " [3].

إن الآيات المذكورة أبانت أن المسوغ من القتال هو الظلم و الإخراج من الديار بغير حق، ثم أشارت إلى أن السكوت يؤدي إلى الفساد المتمثل في تهديم الصوامع و البيع و القضاء على الدين بصفة عامة[4] "فاتخذ من هذه النتائج المترتبة على ترك المشركين يعيثون مبررة لمقاومتهم وموجبة لحربهم ، فكان هذا من قبيل الاستدلال بالنتائج و هي الغايات الواقعية دليلاً على الوجوب، وإن هذه الآيات الكريمات صور سامية لما شنه الإسلام من سنة تتفق مع الطبيعة الإنسانية و هي إزالة الشر بالعقاب الشديد و مقاومته ، لأن الفضيلة في الإسلام ليست سلبية ،

1- المعجزة الكبرى ص323.
2- ينظر عبد الرحمان بن أحمد الإيجي العضد، كتاب المواقف ،التراث العربي – بيروت طبع سنة 1239 هـ شرح السيد الشريف القسطنطينية ص193.
3- سورة الحج الآية 39-40-41.
4- الجدل في القرآن ص 230 .

ولكنها إيجابية ، بين الله سبحانه على السبيل الإيجابي لرد الرذيلة و دفع شرها و مقاومته ، فكان الاعتداء على الفضيلة سبباً موجباً للقتال ، و القتال في سبيلها جهاد مثوب" [1] .

وما ذكرناه هو قليل من كثير، والمهم أن القرآن قد استعمل كل ما يمكن أن تتصوره عقولنا من الطرق البرهانية الشريفة،والوسائل البيانية لإثبات الحق لأنه يعلو و لا يعلى عليه.

المبحث الثالث : مراتب الحوارية ووظائفها ضمن الخطاب الأدبي

1. ماهية الخطاب الأدبي:

إن الخطاب في المفهوم اللغوي يعني مراجعة الكلام، وهو الكلام المبين مكتوبا كان أو ملفوظا، ويعني الإبانة عن القول،وهذا بدليل قوله تعالى:(قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ)[2].

إجابة عن سؤال الملك الذي يمكن تقديره كما يلي" فما خطابكنّ وقولكن في شأن المراودة ؟ ".

لقد اهتمت الدراسات اللسانية الحديثة بماهية الخطاب منذ مطلع القرن العشرين، وخاصة في كتابة" دروس في الألسنية العامة " ،(DESAUSSURE) مع دي سوسير حيث ارتبط مفهوم هذا الأخير في حياتنا المعاصرة بمختلف المجالات الاجتماعية و السياسية والثقافية. ولأجل ذلك تفرعت اهتماماته وتعددت ضروبه فأصبح ثمة ما يسمى بالخطاب السياسي والخطاب الديني وغيرها من التقسيمات. ولكل فرع سماته الخاصة التي تميزه عن غيره لتؤهله في النهاية إلى أن يصير نمطا خطابيا قائما بذاته[3].

لا يختلف الخطاب الأدبي عن الخطاب القرآني، إذ يمارس ـ الخطاب الأدبي ـ عملية الحوار لغرض التبليغ إشراكا للمتلقي في هذه المفاعلة، فالعلاقة في الرواية على سبيل المثال وطيدة بين السارد والمتلقي والمؤلف، فهؤلاء الثلاثة مهيؤون بتبادل الأدوار والمواقع في أي لحظة من لحظات التشكيل السردي[4].

كما نال مفهوم الخطاب الأدبي انشغالات الكثير من النقاد والباحثين حيث اكتسى طابع الجدية بفضل الوعي المتعمق في الفترة الأخيرة رفقة مجموعة من الباحثين في حقول السيميائية والأسلوبية والشعرية وغيرها.

1- المعجزة الكبرى ص 324.
2- سورة يوسف الآية 51
3- نقلا عن دحماني نورالدين، مقومات السرد الإعجازي في الخطاب القصصي القرآني، دراسة تحليلية نموذجية، سورة الكهف. مخطوط ماجيستار في الأدب العربي، جامعة وهران،2002.
4- في نظرية الرواية ـــبحث في تقنيات السرد، ص237.

لقد اعتبر رومان ياكبسون Jakobson الخطاب الأدبي نصا تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام، والتي تكون العنصر المهيمن في النص. أما تودوروف Todorov فقد دعا إلى استعمال مفهوم الخطاب الأدبي عوضا عن الأدب والعمل الأدبي. وذلك يعود إلى أن هناك علاقات بين الخطابات سواء أكانت أدبية أم غير أدبية. يعرفه بأنه خطاب انقطعت الشفافية عنه [1]، بخلاف الأداء اللساني العادي الذي هو خطاب شفاف يستبين معناه أول مرّة، فالخطاب الأدبي يتميز باستعصاء في الرؤية، يستوقفك هو نفسه قبل أن يمكنك من عبوره أو اختراقه.

وقد ركز ميشال ريفاتير Michel riveter على رصد خصوصية الخطاب الشعري، فالخطاب الأدبي عنده يتجاوز حد اللغة اليومية المستخدمة.

وفي النهاية توصلوا هؤلاء وغيرهم من الباحثين في هذا المجال إلى أن الخطاب يقصد به الكلام عامة مكتوبا أو شفويا، وأنه يتمثل جوهر العلاقة التواصلية الحضورية الياكبسونية التي تفترض طرفين مرسل أو بات والثاني متلق مرسل إليه. ويضاف إلى ذلك القصدية أي مدى تأثير المتكلم في السامع بطريقة أو أخرى.

انطلاقا من جهود هؤلاء اللسانيين والأسلوبين، ظهرت دراسات عربية ذات شأن كبير في هذا المضمار، نذكر من بين هذه الدراسات ما نقله نور الدين السد عن أنطوان مقدسي في تعريفه للخطاب بقوله: "هو جملة علائقية إحالية مكتفية بذاتها، حتى لتكاد تكون مغلقة". [2]

ومن تمة يمكن إدراج تصوره في إطار الأسلوبية البنيوية التي ترتكز على الخطاب من داخله بعيدا عن السياق المحيط به.

من خلال ما سبق ذكره يمكننا القول إن مفهوم الخطاب يكون أشمل من النص والرسالة، ذلك يرجع إلى أن حدود الخطاب هي قضية مركبة من فكرتين فأكثر، خلافا للنص والرسالة الذين يمكن الاكتفاء بحصرها في جملة واحدة. لكن على الرغم من ذلك يمكن أن يتحول الخطاب إلى نص إذا فقد بعض مقوماته كالتكامل والحجم، كما يمكن أن يتحول النص إلى خطاب عند محاولة تحليله والوقوف عند مستوياته وأبعاده على أن النص يظل صورة خطية، بينما قد يكون الخطاب مكتوبا أو شفويا، ولا بد أن ينسب إلى صاحبه.

1- ينظر مقومات السرد الإعجازي في الخطاب القصصي القرآني ــ ص162.
2- دحماني نور الدين ،المرجع السابق ص165.

كما يمارس الخطاب الأدبي حوارا ذاتيا بغرض التبليغ الموضوعي ومنه ابن مبارك القائم على المسائلة والمجاوبة:

وَهَلْ أفسَدَ الدِّينَ إلاَّ المُلُوكَ وَ أحْبَار سُوءْ وَرُهْبَانهَا. [1]

أي أن الناس صاروا عالة على العلماء وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس.

وقول شاعر آخر:

أفِي السِّلْمِ أعْيَارًا جُفَاءً وَغِلظَةً وَفي الحَرب أشْبَاهَ النّسَاءِ العَوَارِكِ؟[2]

أي علّة ألسنتهم الكلام الحادّ القوي في الأمن، وفي الحرب أجبن شيء' فمثل هذه الافتتاحيات الاستفهامية وتواترها ليكشف لنا عن المنحى الحواري في سبيل بث رسالة معينة، ذلك أن صيغة الاستفهام تتطلب بالضرورة جوابا.

إن البعد الذي يتخذه المؤلف بالقياس إلى موضوعه وخصوصا بالقياس إلى المتلقي، ثم الاتصال الثابت مع هذا الأخير، كل أولئك أشكال تعبيرية توحي بشيء من المواجهة المحرجة والحساسة، كما تجعل الحديث النثري ذا طابع سماوي، وهي كلها تدعو آخر الأمر إلى اتصال متلق مثالي، إذ يصبح ممثلا للإنسانية كلها إن صحّ التعبير.

فالعلاقة بين الكاتب والمتلقي في الكتابات التقليدية علاقة بسيطة تتشكل من طرفين اثنين أحدهما الكاتب الذي يملي رأيه، ثانيهما القارئ الذي يتلقى النص الروائي جاهزا. فما عليه إلاّ مشاركة الكاتب وإلاّ اعتبر استهلاكيا، أما في الكتابة الروائية غير التقليدية فدور القارئ أصبح مركزيا، وهذا راجع إلى أن النص الذي يقدم إليه ليس كاملا ولا جاهزا [3]، ولكنه نص غير محبوك وينتظر من قارئه أن يبذل فيه جهدا يكمل بناءه، وهو على هذه الحال بنائي لا استهلاكي.

2. المراتب الحوارية:

قبل أن نخوض في الموضوع الخاص بمراتب الحوارية يجدر بنا أن نقف وقفة مختصرة عند مفهوم الحوارية وبيان الفرق بينها وبين الحوار.

وبشيء من الاطلاع والاستقراء يمكننا تعريف الحوارية بأنها فعالية أو آلية خطابية، يسلكها كل من اقتنع أن التخاطب فيه ما ليس في غيره من شعب اللغة. ففيه التبليغ والتدليل

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير ـــ تفسير القرآن العظيم ـــ بيروت، دار التقوى، (ب.ت.ط)، ج2 ص.422

3- أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار الفكر، طبع سنة 1409 ه/1998م، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد، ج3 ، ص 69

3- في نظرية الرواية ـــ ص244

والتوجيه الذي يدفع همم الأفراد إلى لعمل. فهي طريقة مشروعة لإلزام الخصم بأداء ما كلف به، وتكون الحوارية شاملة لثلاث مراتب: الحوار، والمحاورة، والتحاور.ويقع الحوار في أدنى مراتب سلّم الحوارية [1]. فهو نص استدلالي مبناه على البلاغ، كما يعتبر فرعا من فروع الحوارية، وهاته الأخيرة هي التي تشخص لنا الطريقة التي تعمل بها آلية العرض التي يعتمدها الحوار في تصور النظرية العرضية للحوارية وسيتم التفصيل في ذلك.

المرتبة الأولى: الحوار: يعتمد الحوار في تصور النظرية العرضية للحوارية،على الآلية الخطابية التي نطلق عليها اسم العرض.

مفهوم العرض: حد العرض" أن ينفرد العارض ببناء معرفة نظرية، سالكا في هذا البناء طرقا مخصوصة يعتقد أنها ملزمة للمعروض عليه، فالعرض بهذا الإعتبار هو إدعاء"[2] من حيث أن العارض يعتقد صدق ما يعرض ويلزم المعروض عليه بتصديق عرضه. كما يقيم الأدلة على مضامين هذا العرض ويوقن بصدق قضايا دليلة وبصحة تدليله [3].

يستند التصوير العرضي للحوارية إلى نموذجين اثنين: نموذج إعلامي نسميه نموذج البلاغ، ونموذج منطقي نسميه نموذج الصدق.

نموذج البلاغ: يعتمد هذا النموذج على أربعة أركان هي: الناقل،والمنقول، والمنقول إليه. وأداة النقل، ولكل منها ضوابط. فينبغي أن تكون أداة النقل معلومة للناقل والمنقول إليه، وأن تكون مضبوطة وثابتة، كما يجب على الناقل أن ينشئ المنقول بالأداة المعلومة، وعلى المنقول إليه أن يؤول ما نقل إليه بالأداة نفسها، ولا يستقيم لهما نموذج البلاغ إلاّ إذا كانت في قيمة المنقول واحدة لديهما.[4]

نموذج الصدق: يقوم نموذج الصدق على مواضعة معروفة باسم"ص" ومنسوبة إلى تاريسكي، كما تفيد هذه المواضعة أن صدق الجملة قائم في تحصيل شروط صدقها[5] وصورتها: " تصدق جا إذا كان وفقط إذا كان ش" حيث يستبدل بـ " جا " وصف بنيوي للجملة،ويستبدل بـ" ش" جملة تصوغ الشروط التي تصدق فيها الجملة الموصوفة.

1- ينظر د.طه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، دار الخطابي، للطباعة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، ص36، (ب.ت.ط).
2- المرجع نفسه، ص 31.
3- ينظر المرجع نفسه، ص31.
4- ينظر المرجع السابق، ص 32.
5- ينظر المرجع نفسه، ص 33.

وقد اعتمد بعض المناطقة واللسانيين هذه المواضعة في تحديد الدلالة اللغوية، فجعلوا دلالة الجملة هي مجموعة الشروط الضرورية لصدقها [1]. ومثال ذلك هرع الإمام إلى المسجد إذا أسرع فقط إذا أسرع رجلا يمتهن إلقاء الخطب الدينية بالتوجيه إلى المكان الذي اعتاد إلقاء خطبه فيه.

تقوم هذه المرتبة زيادة على النموذجين الصوريين السابقين ــ الإعلامي والمنطقي ــ على المنهج الاستدلالي البرهاني وكما هو معلوم أن هذا الصنف من الاستدلال يتميز بالتجريد والدقة والترتيب،وبسط القواعد وتمايز للمستويات واستقصاء للعناصر،هذه المميزات تجعلنا نتصور آلة تقوم بحساب الاستدلالي البرهاني، آلة مجردة شبيهة بالحاسوب تمتلك ذاكرة تخضع محتوياتها للعمليات،وتقوم بهاته العمليات بخطوات متوالية، كل خطوة لاحقة فيها محددة بهذا البرنامج وبما استوعبته الذاكرة في الخطوة السابقة.

المرتبة الثانية المحاورة:

هذه المرتبة في تصوير النظرية الاعتراضية للحوارية تعتمد على الآلية التي نطلق عليها اسم الاعتراض.

تعريف الاعتراض: حد الاعتراض أن يرتقي المعروض عليه إلى درجة من يتعاون مع العارض في إنشاء معرفة نظرية مشتركة، ملتزما في ذلك أساليب معينة يعتقد بأنها كفيلة بتقويم العرض وتحقيق الإقناع. [2]

يستند التصوير الاعتراضي للحوارية إلى نموذجين هما: نموذج الإبلاغ ونموذج القصد.

نموذج الإبلاغ: يبنى هذا النموذج على افتراض بنية مستثيرة في كل قول أيا كان، يقدر فيها القائل لهذا القول والمقول له[3]، وتأخذ البنية الصورة التالية: أفعل+ ح ك+ أن ج، حيث الرمز"ح" يشير إلى حروف الجر،وقد يكون فارغا.

تحتوي هذه الصيغة على فعل يدل على الطلب، أو الأمر أو السؤال وغيرها من الأغراض الإنشائية مصرفا إلى المضارع في صيغة المتكلم المفرد، كما يحتوي ضمير المخاطب "ك" والجملة المصدرية " ج" التي تصوغ مضمون القول، مثلا البنية المقدرة للقول"أثبت دعواك" هي أطلب منك أن تتبث دعواك.

1- ينظر المرجع نفسه، ص 32ــ33.
2- ينظر المرجع السابق، ص36ـ37.
3- ينظر المرجع نفسه، ص 38.

يتبيّن لنا أن نموذج الإبلاغ يفضل على نموذج البلاغ، كونه يبنى على تصور القائل بجعله قاصدا، لا الخبر وحده كما هو الشأن في نموذج البلاغ، وإنما أيضا توصيله إلى الغير. وكما هو معلوم إن قصد الخبر غير قصد إبلاغه، حيث إن الإبلاغ يقترن بقصد التأثير في اعتقادات الغير،بينما لا يستلزم وجود الخبر وجود إبلاغه للغير.

نموذج القصد: يقتضي هذا النموذج تأسيس الدلالة اللغوية على مقاصد المتكلم ويتخذ الصورة العامة التالية:إن قول القائل لا يمكن أن يفيد شيئا إلاّ إذا قصد القائل الأمور الثلاثة الآتية:

ــ أن يدفع قوله إلى نهوض المقول له بالجواب.

ــ أن يتعرف المقول له على هذا القصد.

ــ أن يكون إنتهاض المقول له بالجواب مستندا إلى تعريفه على قصد القائل. [1]

يلزم عن هذا النموذج أن تعدد المقاصد، وتداخل مستوياتها، كما يظهر ذلك في الشرط الثاني من هذا النموذج، ومرده يعود إلى ثلاثة مقاصد متراكبة هي: القصد، وقصد القصد، وقصد قصد القصد، إذ يقصد القائل أن ينهض المنقول له بالجواب، ولا شيء يمنع من ترتيب قصود أخرى عليها تكاد تفوق الحصر مثل قصد قصد قصد القصد. [2]

تقوم المرتبة على "المنهج الاستدلالي الحجاج"، فكل سبيل استدلالي هو سبيل حجاجي لا برهاني يقيد فيه المقام التراكيب ويرجح فيه العمل على النظر، فالمحاورة تسلك من سبيل الاستدلال ما هو أوسع من بنيات البرهان الضيقة فالمحاورة تعتمد في بناء النص الصور الاستدلالية مجتمعة إلى مضامينها، و كأن يطوي الكثير من المقدمات و النتائج، و يفهم من قوله أموراً غير تلك التي نطق بها [3]. فالمحاورة على ضربين:

2-المحاورة القريبة أو المناظرة:

إنّ المناظرة هي النظر في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها ، فالمناظر هو من كان عارضاً ، أو معترضاً،و كان لاعتراضه أثر هادف في اعتقادات من يحاوره ساعياً وراء الإقناع و الإقتناع برأي سواء ظهر صوابه على يد هذا أو على يد محاوره.[4]

2-المحاورة البعيدة أو التناص :

1- ينظر المرجع نفسه ، ص 39.
2- ينظر المرجع نفسه ، ص38.
3- ينظر المرجع السابق،.ص 39-40.
4- ينظر المرجع نفسه ، ص 41.

نقصد بالتناص الازدحام، يقال تناص القوم أي ازدحموا، و هو تعالق النصوص و تداخل بعضها ببعض[1] .

3-المرتبة الثالثة التحاور:

يرتكز التحاور على الآلية الخطابية التي نطلق عليها اسم التعارض،وهي آخر مرتبة من مراتب الحوارية.

أ-تعريف التعارض:

هو" أن يتقلب المتحاور بين العرض والاعتراض منشئاً بذلك معرفة تناظرية وفق مسالك معينة يعتقد أن خصائصها التقابلية أحث على العمل"[2] ، و يستند هذا التعارض إلى قواعد تخاطبية نذكر منها ما يأتي :

- لا تنص على شيء و أنت لا تقصد تخصيصه.

- لتسلك طرق التقابل في تشقيق الكلام ، و لتستحضر في أقوالك إمكان الاعتراض عليها.

فالمتحاور من خلال هذه القواعد ينشق إلى ذاتين؛ واحدة عارضة، والأخرى معترضة، فهو يتزاوج عند كل قول من أقواله.[3]

- يستند التصور التعارضي للحوارية إلى نموذجين أحدهما تبليغي و الآخر تفاعلي.

ب-نموذج التبليغ :

أصل الأصول في هذا النموذج هو أسبقية العلاقة التخاطبية بين المتكلم و المخاطب، فمجرد أن يتكلم أحد إلاّ و أشرك معه المخاطب في إنشاء كلامه ، كما لو كان يسمع كلامه بأذن غيره وكان الغير ينطق بلسانه. و من ثمة يكون إنشاء الكلام من لدن المتكلم و فهمه من لدن المخاطب، عمليتان قائمتان على مبدأ الحوار لا انفصال بينهما، الغرض منها إيصال الفكرة أو الرسالة إلى المتلقي.[4]

من خلال هذا النموذج تتضح لنا وظيفة الحوار ضمن الخطاب الأدبي، إذ تتجسد في تلك العلاقة المتبادلة بين المتكلم و المخاطب.

ج-نموذج التفاعل:

1- د- سامي سويدان – جدلية الحوار في الثقافة و النقد ، دار الآداب بيروت ط1 1995 ص 41.
2- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ص 43.
3- ينظر المرجع نفسه، ص44.
4- ينظر المرجع السابق ، ص44.

يشترط هذا النموذج ألا يبلغ المتحاور درجة التفاعل حتى يتفرق و يخرج عن نفسه إلى الغير قائماً بكل وظائف غيره.

و يتطلب هذا الشرط أن يكون المتحاور قادراً على أن يجد من يغاير نفسه ، و لا تستقيم له هذه الحال إلا إذا اقتدر على منازعة نفسه كما ينازع الغير غيره ، تتجلى هذه المنازعة عند الغير حين يعترض على المتكلم و تنشأ بينهما علاقات سجالية ، فليس السجال أو النزاع عداء و لا تعدية و إنما هو تعبير عن مبدأ المغايرة و الخروج عن الذات. والاعتراض هنا هو النهوض بمواقف خطابية متفاوتة مع مواقف الذات، والمعارضة هي هذا الاعتراض،وقد ذهب الاعتراض بهذا التفاوت مقيما الذات و الغير طرفين متساويين في المحاور الخطابية و عند هذه الدرجة فحسب يحصل التفاعل[1].

و تقوم هذه المرتبة - التحاور- على المنهج الاستدلالي "التحاج"أو "الاستدلال الحجاجي"، كما سبق أن أشرنا فإن التحاور يرتكز على نموذجين اثنين هما التبليغي و التفاعلي و هذا يستلزم اتساعه لأساليب استدلالية توجب مبدأ المراتب و تجنح إلى التناقض، تندرج ضمن ما نسميه بطرق التحاج، ومنها أن يثبت المتحاور قولاً من أقاويله بدليل ثم يعود إليه ليثبته ثم ينتقل لإثبات نقيضه بدليل آخر أو بالدليل نفسه[2] .

وبالتالي يمكن القول إنَّ مراتب الحوارية ثلاث: الحوار،والمحاورة، و التحاور. يختص كل منها بمنهج استدلالي، وآلية خطابية تتفاوت في قدرتها على تمثيل الحوارية وتأصيلها. فالحوار ينتهي إلى إخلاء آثار المعروض عليه من النص ، يتلوه انسلاخ العارض نفسه من توفية الحق شروط البرهان ، أما المحاورة فإنها لا تبلغ بإشراك الغير المعترض في إنشاء النص درجة التفاعل بين المحاور و نظيره، هذا التفاعل لا يتحقق إلا بأن تتساوى عند المتحاور حقوق نفسه مع حقوق غيره في تكوين النص فيتجه إلى فتح باب الاستدلال على مصراعيه محاجًّاً لنفسه كما يحاجه غيره، وهذا هو ما اختص به التحاور الذي كشف عن أسرار الحوارية ،وارتقى بها إلى أعلى المراتب.

و من خلال نموذج التبليغ اتضح لنا أن ثمة علاقة وطيدة بين المؤلف، أو الكاتب و متلقي الرسالة، فلا غرض لمؤلف سوى إيصال ورسالته تبليغها و الغرض منها إيصال المعنى المطلوب إلى المتلقي.

1- ينظر المرجع نفسه، ص 46.
2 - ينظر المرجع نفسه ص 47.

3-الحوار و الصورة الفنية :

يعتبر التصوير الفني من أهم الوسائل المفضلة في أسلوب القرآن الكريم ، ويتم ذلك من استخدامه للكلمات المعبرة عن اهتمامات الأفراد ، بل يشمل كل ما يحدث في المجتمع الإنساني، ثم يضفي عليها لمسة جمالية خاصة ليجعلها تنبض بالحياة التي تجسد أدوار كل هذه العناصر، وتربطها بعنصر الحوار الذي يكمل عنصر التخييل الذي يدفع القارئ إلى تصور الحوادث على مستوى ذهنه، كأنها مسرح إلى درجة نسيانه أن هذا ما هو إلا كلام يروى من اجل أداء غرض معين ، وإذا أدركنا أن الوسيلة التي تصور المعنى الذهني و الحوادث المحسوسة و تجسد لنا النموذج الإنساني ، لا تعدو أن تكون مجرد ألفاظ جامدة لا غير ، تيسر لنا إدراك بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن. [1]

إن التصوير ليس تلاعباً بالأسلوب،إنما هو مذهب مقرر،وخطة موحدة ليتخذ فيها مذاهب شتى لاستخدامها دون الخروج عن نطاق التصوير الذي يرتكز على عدة مقومات مختلفة كاللون والحركة والتخيل، مع إمكانية تدخل عناصر أخرى كالوصف والحوار في إظهار صورة معينة تتملاها العين والأذن والفكر و حتى الوجدان، مما يجعل الحياة التي تنتزع من الواقع واضحة [2] . ولأجل ذلك لا بد للمعاني أن تُرسم انطلاقاً من تفاعلها في النفوس البشرية الحية ، أو في مشاهد معينة ، و محاولة تقريبها إلى ذهن متلقي الرسالة حتى يصل في النهاية إلى إدراك سر إعجاز القرآن انطلاقا من استخدامه لهذا اللون من التعبير.

و خلاصة القول إن التصوير الفني المرتبط بأسلوب الحوار يعتبر من أهم الوسائل للتعبير عن كل ما يدور في ذهن الإنسان ، و إخراجه في قالب جميل ، و هذا راجع إلى استخدام أسلوب الحوار و وضع الألفاظ في مقامها المناسب حتى تكون الصورة جلية واضحة أمام المشاهد، أو بالأحرى للمستمع لهذا النص المقدس ، وهذا ما يتطلب ظهور نمط آخر من الفنيات الجمالية لتسهيل قراءته و هو الفاصلة القرآنية ، التي تعتمد على الفصل في الكلام بهدف الاستراحة واكتساب نفس أطول لمتابعة القراءة.

4-الحوار و الفاصلة القرآنية:

إن الفاصلة القرآنية هي كل آخر آية كقافية الشعر،إلا أن السيوطي يذكر عن الجعبري خلاف ذلك حيث يقول "وهو خلاف المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ (يوم يأتي)،وما (كنا نبغ)

1- التصور الفني في القرآن الكريم – سيد قطب ص36.
2- المرجع نفسه ص 37.

وهما ليستا رأس آية لأن مراده هنا هو الفواصل اللغوية لا الصناعية "[1]، و الفاصلة هي كل كلام منفصل عما يأتي بعده ، و قد يكون رأس آية و غير رأس آية هو الفاصلة، وهذا لا يعني بالضرورة كل فاصلة هي رأس آية.

و غالباً ما تأتي الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب بهدف تحسين الكلام بها،وتعتبر الميزة الوحيدة التي تميز القرآن الكريم عن سائر الكلام ، و يوجد طريقان أساسيان لمعرفة الفواصل، توقيفه وقياسيه .

أما التوقيفه هو ما ثبت أن الرسول عليه الصلاة و السلام قد وقف عليه إثناء قراءته للقرآن الكريم،و من هنا فهو فاصلة،وأما يتبعه أثناء تلاوته ، فليس بفاصلة ، أما المواضع التي يحدث فيها الفصل مرة و الوصل مرة أخرى فيقع فيه احتمال الترجيح،إما أنه فاصلة و إما أنه فعل ذلك بهدف الإستراحة[2] .

و أما القياسية فهي الذي يقع فيه إلحاق محتمل غير المنصوص بما هو منصوص، دون تغيير في ذلك سواء بالزيادة أو النقصان ، و إنما هدفه من ذلك أنه محل فصل أو وصل ، فيجوز عندئذ الوقوف على كل كلمة في القرآن الكريم كما يجوز أيضاً وصله كله[3]. و قد لجأ العلماء إلى ربط الفواصل بالقرآن الكريم بغية تنزيهه عن غيره من الكلام ، و المروي عن الكهنة (سجع الكهان)، ومن ثمة يتضح لنا الفرق الشاسع بين الفاصلة و السجع الذي ينبغي لنا إدراكه و استيعابه و هو أن الفاصلة هي التي تكون خاصة بالقرآن الكريم بحيث تتبع المعاني،ولا تكون مقصودة في نفسها، وأما السجع فهو خاص بالشعر و هو الذي يكون مقصوداً في نفسه ثم يحال المعنى عليه، لذلك كانت الفواصل لدى العلماء بلاغة والسجع عيباً [4] .

1 الإتقان ، ج2 ص96
2 - المصدر نفسه، ص96.
3- المصدر نفسه، ص97.
4- المصدر السابق، ص 97.

مدخل إلى أسلوب الحوار القرآني:

من المسائل الأدبية المعروفة أنّ الحوار محرك للأحداث في النص القصصي، و هو روح تسري في كيانه، تصور شخصياته، و كذا بالحوار يتصعد الصراع ليؤدي الهدف المقصود من العمل الأدبي، هذا الأمر لا يقتضي بالضرورة أن يتوافر الحوار في كل قصة، فقد تخلوا منه، فيتجه النص مصورا الأشخاص و الأحداث حتى نهايتها.[1]

و قد ثبت فيما يحدثنا به القرآن الكريم أنّ هناك طريقتين للحوار الفكري أو للصراع في جميع مجالاته، فهناك طريقة العنف التي تعتمد مواجهة الخصم بأشد الأساليب و الكلمات القاسية،الغرض منها اهانة كرامة الخصم فلا مجال لمراعاة مشاعره و أحاسيسه، و تكون هاته الطريقة سببا في إنتاج مزيد من الحقد و الكراهية، و بالتالي غلق مجال للحوار؛ و مثال ذلك عندما يتخاصم شخصان من أجل بلوغ غاية معينة فقد يلجأ أحدهما إلى طريقة العنف، و هذا الأسلوب يكون سببا في إنتاج الحقد اتجاه الخصم، و طريقة العنف هاته لا نجد لها حضورا في القرآن الكريم.

أم الطريقة الثانية فتختلف عن الطريقة الأولى من حيث كونها تعتمد اللين و المحبة أساسا للصراع، و هي طريقة لاعنف أو ما تسمى بالطريقة السلمية، إذ تعتبر هاته الأخيرة وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف. و قد ركزّ الإسلام على هاته الطريقة في كل أساليب الحوار و الجدال من أجل الوصول إلى المعرفة من جهة، أو إلى الموقف الحق من جهة أخرى، كما نلاحظ أن القرآن الكريم باختياره أسلوب اللاعنف و طريقة اللين يشير إلى النتائج العملية التي تجنيها الرسالة من خلال هذا الأسلوب، و الغرض من ذلك أن تحول أعدائك إلى أصدقاء، و قد جاءت الإشارة إلى ذلك في آيتين تتعلقان بالدعوة و الحوار بشكل مباشر[2]، يقول الله تعالى :(ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾)[3] . ويقول الله تعالى :(وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا

1 - ينظر د.الزوبعي طالب محمد اسماعيل، من أساليب التعبير القرآني دار النهضة العربية إصدارات الجوهرة 1996 ص207.
2 - الحوار في القرآن ج1، ص 52-53.
3 -سورة النحل الآية 125.

فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾)[1]. و إذا تأملنا قصص

القرآن الكريم أول ما نلمحه هو أن الحوار يأتي على صورة متنوعة و فنون يقصر دونها الوصف، ولكننا نرى من المفيد أن نشير – هنا – إلى بعض الملاحظات التي تتصل بأسلوب الحوار القرآني.[2]

الملاحظة الأولى:

يعتمد الحوار القرآني في الغالب على الحكاية، حكاية مقولات القائلين على ألسنتهم نقلا تلقائيا لا مبالغة فيه و لا افتعال فتصاغ المعاني على ما يقتضيه أسلوب إعجازه.

الملاحظة الثانية:

يتجه الأسلوب الحواري في القرآن الكريم اتجاها بليغا فيشيع ألوانا و فنونا تتنوع حسب مقتضى الحال و داعية المقام، فهو قد يختصر الأحداث و يعرضها عرضا سريعا، فتطوى فيه التفاصيل وتعني فيه الإشارة اللمّاحة، و أحيانا يفصل الأمر تفصيلا حيث لا يكون لغير الكلمة ما يغني مكانته و يسد مسّدها، و فيما بين الأمرين درجات متفاوتة في الإيجاز و التفصيل.

الملاحظة الثالثة:

يكشف السياق القرآني عن حديث المرء لنفسه في صورة حوار، أو مناجاته لله سبحانه وتعالى.

صور الحوار القرآني: انطلاقا من الملاحظة الثالثة تتضح لنا صور الحوار القرآني:

- حديث المرء لنفسه في صورة مناجاة و مثال ذلك ما جاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام و هو يحاور قومه :(وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾)[3]، ففي

هذه الآية أقسم الخليل قسما ليكيدن أصنامهم أي قومه، و ليحرضن على آذاهم و تكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين[4].

---

[1]- سورة العنكبوت الآية 46.
[2] - من أساليب التعبير القرآني ص207.
[3] - سورة الأنبياء الآية 57.
[4] - محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير ج1 ص512 شركة الشهاب الجزائري 1410هـ/1990م.

- مناجاته لله سبحانه و تعالى و مثال ذلك ما جاء على لسان موسى عليه السلام في مدين و قد تولى إلى الظل بعد أن سقى لابنتي شعيب عليه السلام، فانصرف موسى و استظل بشجرة[1]، وقال :(فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾)[2]، نجد في هذه الآية الكريمة مناجاة موسى عليه السلام لله سبحانه و تعالى و شكره له على النعمة التي رزقه إيّاها، و أنّه فقير بما أتاه الله.

و قد يكون الحوار بين شخصين كما في حوار سيدنا إبراهيم مع أبيه آزر لقوله تعالى :(وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾)[3]، يقول تعالى في هذه الآيات لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يتلوا على قومه الذين يعبدون الأصنام خبر إبراهيم خليل الرحمن وقد كان صديقا نبيا مع أبيه وكيف نهاه عن عبادة الأصنام، حيث قال لأبيه : يا أبت لما تعبد ما لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررا و إن كنت من صلبك و تراني أصغر منك، لأني ولدك فاعلم أني قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت، و لا اطلعت عليه ولا جاءك فاتبعني أهدك صراطا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب.[4]

كما نجد أيضا في القصص القرآني حوارا بين الله و الإنسان عامة لقوله تعالى :(وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾)[5]، ففي هذه الآية يقول تعالى

---

[1] - إسماعيل ابن كثير، قصص الأنبياء، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ط1 1403-1983، ص 481.
[2] - سورة القصص الآية 24.
[3] - سورة مريم الآية 41-42-43.
[4] - مختصر تفسير ابن كثير ص453.
[5] - سورة الأعراف الآية 10-11.

ممتنا على عباده فيما مكن لهم من أنه جعل الأرض قرارا و جعل فيها رواسي و أنهارا، وأباح لهم منافعها و سّخر لهم السحاب لإخراج أرزاقهم منها، و أكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك.

- و هناك أيضا نوع من الحوار الذي يجري بين الله تعالى و إبليس لعنه الله، لقوله تعالى :(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾)[1]، بـ يّن تعالى للبني آدم في هذا المقام شرف أبيهم آدم و عداوة عدوهم إبليس ما هو منطوي عليه من الحسد لهم و لأبيهم.[2]

و من صور الحوار ذلك الذي يكون بين الإنسان و الإنسان كقوله تعالى :(وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾)[3]، لقد بدأ صاحب الجنتين الحوار مع صاحبه في هاته الآية من موقع إحساسه بالقوة بسبب ما يملك من كثرة المال.

- و أخيرا يمكن لنا رصد صورة حوارية أخرى، و هي تلك التي يجري فيها الحديث بين الإنسان والحيوان لقوله تعالى :(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾)[4]، ففي هذه الآية يبرز لنا حوار بين سيدنا سليمان عليه السلام و الهدهد، إذ غاب الهدهد زمانا يسيرا ثم جاء فقال لسليمان : اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت و لا جنودك و جئتك بخبر صدق فيه حق و يقين، ووجدت امرأة تملكهم و قد أوتيت من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن و لها سرير عظيم تجلس عليه، ووجدت قومها لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله تعالى وحده دون ما خلق من الكواكب و غيرها.[5]

---

[1] - سورة الأعراف الآية 12.
[2] - مختصر تفسير ابن كثير ص 7-9.
[3] - سورة الكهف الآية 34.
[4] - سورة النمل الآية 22-23.
[5] - تفسير ابن كثير ج3 ص428-429.

المبحث الأول: الحوار القصصي في القرآن

من أجل الوصول إلى عقل الإنسان وشعوره، سلك القرآن الكريم أكثر من أسلوب في سبيل بثّ رسالته، و من بين هاته الطرق التي اعتمدها القرآن الكريم في هذا المجال نذكر القصة، سواءا أكانت قصة تاريخية تتحدث عن تاريخ الأنبياء السابقين، أو القصة التي تتجه اتجاه المكان من خلال عرضها لبعض الصور الاجتماعية السائدة في الحياة العملية، أو القصة القصيرة التي تشير إلى موقف ما، أو نموذج بشري معين.

لا يختلف القرآن الكريم في قصصه عن سائر الكلام[1]، إذ أنه – القرآن – يتعرض لكل الأشخاص الذين يشكلون محور الأفكار و المعاني في القصة، كما يتعرض للحوار القائم بينهم و كذا الحدث الذي تدور حوله الشخصية.

1- مفهوم القصص لغة:

قصّ: قصّا: أي قطع بمقص، قصّ قطعة خشب بمعنى قطع الأطراف الزائدة و حررها، قصّا وقصصاً أي نقل قصة، أو حدثّ، وروى أو أسرد خبرا.

قصّ قصّة: أي قصّ ما حدث و قصّ وقائع بمعنى اقتفى و تتبّع.

قصص: ويقصد بها رواية الخبر، أو خبر مقصوص[2]، والقصة: جمع قصص و هي حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال، أو الواقع أو منهما معا، و تبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي.

والقصص في القرآن يعتبر إحدى وسائله لتبليغ الدعوة إلى كافة البشر وتثبيت هذه الدعوة في عقولهم[3]،إذ يخضع القصص لمختلف الأغراض الدينية باعتبار القرآن كتاب دعوة قبل كل شيء.

ليست القصة القرآنية خاطرة في ذهن الله[4]، أو هي بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فكانت غايته التعبير عنها بكلام ليحدث هذا الأخير أثر في نفوس القارئين أو من يسمعها.

2- وظيفة الحوار في القصص القرآني:

---

[1] - عبد الحافظ عبد ربه ، بحوث في قصص القرآن ،دار الكتاب اللبناني بيروت ط1 1972 ص51.

[2] - ابن منظور، لسان العرب ج5 ص 270.

[3] - سيد قطب ،التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ص 143.

[4] - د. خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية ، دار الشهاب للطباعة و النشر باتنة ص127.

للحوار وظيفة بنائية تضيء الحدث و توصله بمساره القصصي وتحشد فعالية السرد من أجل اختراق وقائع جديدة، و قد اشتمل الحوار القرآني على أنواع من المطارحة الحوارية الاضائية، وفواعل الموقف الخطابي تربط بينهما علاقة تفاعلية و هي كالآتي[1]:

المخاطِب و المخاطب: قد يكون المخاطب هو الأنا نفسه، و ذلك في موقف المناجاة نحو قوله تعالى على لسان هذا المؤمن الفاعل :(قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢)[2]، و قد يكون المطلق أي الله ومثال ذلك قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام :(۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ)[3].

المخاطِب و المخاطبين اثنين: مثل قوله تعالى:(ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠)[4]، فهنا الحديث موجه إلى امرأة لوط و امرأة نوح من قبل الله سبحانه و تعالى.

المخاطِب و المخاطبين جماعة:[5] و يبدو ذلك جليا في قوله تعالى :(ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ٥٢)[6] ، فالخطاب – هنا – موجه إلى الضالين المكذبين وهم جماعة والمخاطِب واحد وهو الله سبحانه وتعالى . يمكن أن تصدر من مخاطِبين إلى مخاطب، ومن ذلك قوله تعالى في حديث ضيف إبراهيم مع جماعة من رفاقه:(إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ

[1] - الخطاب القرآني ، ص 186.
[2] - سورة الجن الآية 20-22.
[3] - سورة يوسف الآية 101.
[4] - سورة التحريم الآية 10.
[5] - الخطاب القرآني ص187.
[6] - سورة الواقعة الآية 51-52

قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾)[1]، إنّ الحوار هو الذي يبني المواقف والأحداث ويقرر التوجيهات ويقوم بعرض خفايا النفس والوقائع.

يأتي السياق القصصي حواريا في جملة أحيانا، مثلما هو الحال في حوار موسى عليه السلام مع قومه، لقوله تعالى:(يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾)[2] ، فالخطاب موجه من موسى عليه السلام إلى قومه.

لقد ساهم الحوار في إنشاء الخطاب القصصي، و لهذا لابد من تحديد مواضعه في النص ليتيسر لنا تتبع حركته و ضروب تفاعله مع أدوات الخطاب المختلفة، على أنّ افتتاح قصة بمشهد حوار مثلا أسلوب فني للإيحاء ببعض سيمات طرفيه.

إنّ جمالية القصص القرآني تكمن في تلك الفجوات التي تتركها بين المشهد و المشهد الآخر، فهاته الفجوات يملأها الخيال باعتبار أنّ القصة تمثل الحكمة الكبرى و هذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلاّ بمقدار، و من ثمة يمكننا القول إنّ الحوار ساهم بشكل مباشر في الرفع من قيمة القصة فنيا وجماليا.

المبحث الثاني: الحوار و المثل القرآني

يعتبر المثل وسيلة أساسية في بناء ثقافة الأفراد باستعمال الحقيقة، أو المجاز و ينبع دائما من خلال تجارب مرّ بها شخص حكيم في زمن معين، و منذ ذلك الحين يصبح له مورد و مضرب، مشترك بين مختلف الأفراد و المجتمعات مع بعض التغيرات في الصياغة، و لم يقتصر هذا النوع من الأسلوب على عامة الناس، بل نجد له حضورا أيضا في القرآن الكريم في أكثر من موضع، إما باستخدام الاستعارة، أو التشبيه الصريح مع انعدام المولد لأنه قول الله تعالى.

1- مفهوم المثل:

[1] - سورة الذاريات الآية 25.
[2] - سورة المائدة الآية 21-22

المَثَلُ بفتحتين، و المِثْل بالكسر، والمَثِيل كالشِبْهْ، والشَبِيهْ والشِّبهْ، وزنا ومعنى في الجملة، وهو من مَثَل الشيء مَثُولًا إذا انتصب بارزا فهو مَاثِل، ومَثَّل الشيء بالتحريك صفته التي توضحه وتكشف عن حقيقته، أي وصفه والكشف عن حقيقته إما عن طريق المجاز أو الحقيقة[1].
وعرّفه الراغب الأصفهاني بقوله:" والمَثَّل يقال على وجهين أحدهما: بمعنى المثل نحو شِبْه وشَبَه، ونقض ونقض، قال بعضهم: وقد يعبر بهما عن وصف الشيء نحو قوله: "مَثَلُ الجَنَّةِ التِي وُعِدَ المُتَّقُونْ"، والثاني: عبارة عن المشابهة بغيره في معنى من المعاني أي معنى كان، وهو اعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة"[2] فالمَثَلُ هو قول مأثور سائر بين الناس لإيضاح فكرة معينة.

و المَثَّلُ في الأدب قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله بمعنى يشبه مضربه بمورده، مثل :" رُبَّ رُمْيَة مِنْ غَيْرْ رَامٍ "، أي رُبَ رمية مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ[3]، و يضرب هذا المثل للمخطئ الذي يصيب أحيانا، و لأجل ذلك لابد له من مورد يشبه مضربه.

و لو تمعنا في أمثال القرآن الكريم التي يذكرها المؤلفون، وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بأمر آخر، سواء أورد هذا التمثيل بطريقة الاستعارة، أو بطريق التشبيه الصريح، أو الآيات الدالة على معني رائع بإيجاز، أو التي يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه فإن الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل. إن هاته الأمثال لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه و النظير، كما لا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا في الأمثال، إنّ أمثال القرآن هي إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها الخاص في النفس، سواءا أكانت تشبيها أو قولا مرسلا[4].

2- **الاستدلال بالأمثال**: تعتبر الأمثال من الطرق الاستدلالية المتبعة في القرآن الكريم[5] من أجل إثبات الحقائق. و التمثيل يساهم في إبراز المعاني بصورة حية تستقر في الأذهان، و ذلك بتشبيه الغائب بالحاضر و قياس النظير، و كم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة و جمالا،

---

[1] - لسان العرب ، ج6 ص14 .
[2] - الراغب الأصبهاني ، المفردات في غريب القرآن، الناشر البابي الحلبي، مصر (ب ت ط) ج2، ص 462.
[3] - مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع الرياض ط3 1422هـ -2000م ص 291.
[4] - المرجع نفسه، ص292.
[5] - الجدل في القرآن الكريم ، ص232

فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، و اقتناع العقل به، و هو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه.[1]

و من العلماء من أفرد الأمثال في القرآن بالتأليف، و منهم من عقد لها بابا في كتاب من كتبه، فأفردها بالتصنيف الإمام أبو الحسن الماوردي[2]، قال تعالى :(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾)[3].

3- المثل القصصي في القرآن الكريم:

لقد ورد في القرآن الكريم أمثال عديدة ذات طابع حواري[4]، ففي سورة الكهف مثلا نجد هذا المثل القصصي في قوله تعالى :(۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ

---

[1] - مباحث في علوم القرآن ص 290

[2] - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، دار الفكر ، ب ت ط ، ج2 ص131.

[3] - سورة الزمر الآية 27.

[4] - الجانب الفني في القصة القرآنية، ص79.

ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾)[1]، لقد بدأ صاحب الجنتين

الحوار مع صاحبه من موقع الإحساس بالقوة و الامتياز بسبب ما يملك من كثرة المال فكان خطابه محاولة لإخضاعه نفسيا، و ذلك بمواجهته بمدى الفارق الكبير بينهما. ثم نلاحظ استسلامه لحالة النعيم الذي يتمتع به مع اعتقاده استمرار ذلك كله، و قد غاب عن باله أنّ هذا المال ما هو إلاّ عرض زائل، إذا شاء الله أفناه بحسبان، أو أرسل عليه كسفا من السماء.

أما العبد المؤمن الفقير تتجسد لنا صورته الوديعة القوية في موقف الساخر بذلك كله، فهو لا يعتبر الثراء جمع مال أو ذا قيمة كبيرة ترتفع بصاحبها إلى أعلى المراتب إذ يقف في حواره – المؤمن الفقير – مع صاحبه موقع الإنسان الرسالي الذي يستنكر على هذا المغنى و يبدأ حواره بتذكيره بنعم الله و حاجته إليه في كل شيء.

من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا الفارق الكبير بين الاتجاهين، في فهم الحياة انطلاقا من أسلوب الحوار الذي أداره القرآن الكريم بين الرجلين لنستوحي منه الفكرة التي تحكم الموقف على حساب القيم والمعاني الكبيرة في الإسلام.

عن طريق أسلوب الحوار استطاع المؤمن الفقير أن يبلغ رسالته صاحبه، على أنّ كثرة المال لديه التي تقابلها قلة المال عنده ليست شيئا مادام الله هو الذي يقدّم الرزق لمن يشاء، وينزعه عمن يشاء، فما المانع من أن يرزقه الله خيرا من جنته مادام المؤمن يشعر بالارتباط به، و ما الذي يمنح الغني الأمان بأن لا يرسل الله على هذا حسبانا من السماء فتصبح الأرض هشيما تذروه الرياح.

قد يستخدم المثل كدليل على أنّ البعث حق، و من أمثلة ذلك ما جاء في سورة البقرة لإثبات البعث، كقوله تعالى :(أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ

[1] - سورة الكهف، 32 - 44.

نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾)[1]، إن هذه القصة

لم يذكر فيها اسم القرية و مكانها، و هذا الرجل الذي مرّ عليها محاورا نفسه متعجبا من حال تلك القرية و ما هي عليه من خراب و استعظاما لقدرة الله تعالى فقد علم الله حواره مع نفسه فأماته مائة عام ثم بعثه ليستأنف الحوار من جديد قائلا له :" كم مكثت في هذه الحال قال يوما أو بعض يوم"، فخاطبه الله تعالى بقوله بل مكثت ميتا مائة عام فإن لم تؤمن فانظر إلى طعامك لم يتغير بمرور الزمن ثم دعاه إلى التأمل في حماره كيف تفرقت عظامه وصار هيكلا باليا[2]، فلما الرجل الآيات الدالة على قدرة الله، قال أيقنت بأنّ الله على كل شيء قدير.

ومن ثمة يمكننا القول إن ما يبدو مستحيلا في المنطق الإنساني يعد جائزا و ممكنا في علم الله، فالمائة سنة التي بقيها الرجل فاقدا للشعور و الإحساس دون أن تغادر روحه بدنه كانت بمثابة يوما، أو بعض يوم و أن الطعام لم يعتره أي تغيير على الرغم من بقائه تلك المدة الطويلة، و لم يصبه أي تعفن و هذا دليل واقعي على أنّ ما هو جائز في علم الله هو خارق للعادة بالنسبة إلى الإنسان.

تعتبر الأمثال القرآنية أسلوبا بلاغيا و عقليا، بليغ الأثر و عظيم النتائج، فهو وسيلة من وسائل تهذيب النفس البشرية لاقترانه بأسلوب الحوار القائم على إقامة الحجة البالغة لإيضاح فكرة معينة و تعزيزها.

فالمثل القرآني المقترن بأسلوب الحوار له وقع كبير في النفس البشرية إذ يضفي الحوار صبغة جمالية على الأمثال القرآنية و يتخذها من وسائل الإقناع و الإيضاح لإيصال فكرة معينة فاعلة في ذهن المتلقي.

المبحث الثالث: الحوار ووظيفته التبليغية التعليمية و التربوية

لقد درس الكثير من المحدثين القصة القرآنية باعتبارها أسلوبا في سبيل بث الرسالة المحمدية ووسيلة من أجل الوصول إلى عقل الإنسان و خوالجه الكاملة في صدره و قد اختلفت دراساتهم لها، فمنهم من تعامل معها من زاوية العظة الخالصة، ومنهم من اهتم بدراسة الجانب البياني الفني فيها، و هناك من ركزّ على الجانب التربوي الإصلاحي، هدفه من ذلك تقويم

1 - سورة البقرة، الآية259

2 - محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير، دار الجيل بيروت لبنان ط8 1415 هـ - 1995 م ج1، ص 165-166.

الأخلاق و إقامة القيم النبيلة و تثبيتها في النفوس الناشئة. ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق أسلوب الحوار البعيد عن التعقيد الذي يجنح للوضوح و السهولة في العبارة، بغية التأثير في متلقي الرسالة، أو الخطاب أو إيصال فكرة مهيأة إلى ذهنه.

يساهم الحوار في تلقين الفضائل لمختلف الأفراد، و يظهر ذلك جليا في دور الأنبياء و أهم مواقفهم في مواجهة المشاق و الصعوبات التي أعدتها لهم أقوامهم في ذلك الوقت للتخلص منهم.

لقد واجه النبي صلى الله عليه و سلم قضية الشرك بالله في بداية دعوته ففي ذلك الوقت كان الناس يعبدون الأصنام حتى أصبحت شيئا مقدسا في نفوسهم، فابتعدوا شيئا فشيئا عن طاعة الله، ورفضوا كل ما ينافي معتقداتهم دون أيّ مناقشة، أو تأمل و من ذلك هاته الآية الكريمة التي صدورت حالتهم النفسية أثناء مواجهتهم لعقيدة التوحيد[1] :(أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝)[2].

من أجل تبليغ عقيدة التوحيد اعتمد النبي صلى الله عليه و سلم أسلوب الحوار على الرغم من أنّ قضية الشرك عند المشركين لم تكن أمرا يتطلب الرد و المناقشة بأسلوب اللّين و الرفق بل هو مما يبعث على العجب ليس إلاّ، و لأجل ذلك كان الموقف الذي أصابهم يشبه الذعر المفاجئ الذي يقتضي منهم الصبر و الصمود أمام ذلك الذي لم يسمعوا به في الملة الآخرة.

و خلاصة القول أنّ النبي صلى الله عليه و سلم أثناء تبليغ دعوته لم يعتمد إلاّ على أسلوب الحوار، فوظيفته تبليغية غرضها إثبات بطلان ما يعبدون من الأصنام.

هذا عن قضية الشرك، أمّا قصة الإلحاد فقد واجهها الإسلام مواجهة أقل انتشارا من موضوع الشرك، و لأجل ذلك نلاحظ أنّ الحملة التي واجه الإسلام فيها فكرة الإلحاد كـانت تتسم بالهدوء أكثر من حملته التي واجه فيها فكرة الشرك بالله و هذا راجع إلى طبيعة المواجهة فالمواجهة في الشرك تقتضي فكرة تقابل فكرة وواقع يمتد من خلال هذه الأخيرة، أمّا في قصة الإلحاد فنجد فكرة تواجه فكرة دون أن يكون لها أي امتداد في المجتمع الذي ولدت فيه الرسالة.

---

[1]- الحوار في القرآن الكريم ج1 ص 69.
[2]- سورة ص الآية 5-6-7

قد ركز الإسلام على مواجهة الأفكار المضادة التي لم تؤمن بالبعث و اليوم الآخر ، فلم يكن لأصحاب هذه الأفكار أي حجة على ما يزعمونه غير الظن و من ثمة الابتعاد عن كل ما هو صالح لعقولهم و تنظيم حياتهم . فكيف يمكن لهذه الذرات الترابية التي تحول الإنسان إليها بعد موته أن تتحول من جديد إلى إنسان ينبض بالحياة [1] . و من ثمة أخذ أسلوب الحوار القرآني منحى جديداً وهو تقريب الفكرة إلى العقول ليرفع عنها الاستعباد و سوء الظن و يجعل لهاته الفكرة قاعدة أساسية قائمة بذاتها.

تعتبر النبوات حدثاً غير عادي في حياة البشر كافة و لأجل ذلك كانت موضع جدل و نقاش في مجتمعها الذي ولدت فيه. و لمواجهة هؤلاء المنكرين للنبوة سلك النبي صلى الله عليه و سلم أسلوب الجوار الهادئ الذي ينطلق من ثقته العميقة بنفسه ثم برسالته من خلال ذلك كله بدأ الحوار مع المنكرين بالنبوة لغاية تعليمهم و تصحيح المفهوم الخاطئ الذي يؤمنون به اتجاه شخصية النبي صلى الله عليه و سلم و مقدرته من جهة ، و ما يحملونه عن النبوة و دورها في تغيير مسار الحياة من جهة أخرى ، لهذا جعل الله تعالى آيات تستلزم ثبوت النبوة ، و في هذا الشأن قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" آيات الأنبياء كما قد عرف هي مستلزمة لثبوت النبوة ، وصدق المخبر به والشاهد بها فيلزم من وجودها وجود النبوة و صدق المخبر بها ، و يمتنع أن تكون مع التكذيب بها و كذب المخبر بها"[2].

ولم يلتق النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب في موقف صراع في مكة، فقد كان المجتمع المكي وثنياً مشركاً إلا بعض الأفراد القلائل ، ولذا لم نجد في الآيات المكية ما يشير إلى أي جدال، أو حوار بينه و بينهم لأنه كان مشغولاً بمحاربة تيار الشرك والوثنية من جهة ولأنهم لا يعتبرون مشكلة إسلامية من جهة أخرى ، نلمح من خلال مشروع هجرة المسلمين إلى الحبشة أثناء فرارهم بدينهم تعاطفاً بين النبي و بين المجتمع النصراني، حيث أصغى ملك الحبشة إلى ما جاء به المسلمون فانسجم الملك و جماعته مع الأجواء التي أفاضها القرآن الكريم مما جعل أعينهم تفيض من الدمع خشوعا لله :(۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ

[1] - الحوار في القرآن ج1 ص8.
[2] - ابن تيمية، النبوات ، دار الكتاب العربي بيروت ط2 1411 هـ - 1991م، ص404.

لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾)[1].

ومن ثمة يكون الحوار في مواقع الاختلاف منطلقا يهيئ المجال للتفاهم المشترك كما حدث بين الرسول صلى الله عليه و سلم و ملك الحبشة، بعيدا عن النزاعات و كل ما يثير العصبيات بين الطرفين.

إنّ الحوار يؤدي وظيفة تبليغية إذ لم تعد القضية التي يرفضها القرآن في مواقف أهل الكتاب مختصة بهم، بل تمتد في معانيها الواسعة لتشمل كل النماذج البشرية الذين تتمثل فيهم هاته الصفات السيئة، باعتبار أن القرآن الكريم لا يرفض الأشخاص في إطارهم الذاتي بل الرفض يتم على إطارهم الفكري يساهم أسلوب الترغيب في إثارة الإنفعالات المناسبة للمعنى ، بالإضافة إلى أسلوب الترهيب الذي يربي العواطف الربانية ، و لتحقيق هذه الغاية من الأسلوبين لابد من الحوار الذي يقوم بين الأشخاص ، و مثال ذلك الحوار الخاص بمشاهد يوم القيامة :(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾).[2]

إن هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة مكتمل السمات و الحركات هذه جموع خارجة من الأجداث كأنها جراد منتشر، حيث تسرع هذه الجموع في سيرها نحو الداعي دون أن تعرف لما يدعوها، و في أثناء هذا التجمع و الخشوع يقول الكافرون هذا يوم عسر دلالة على خوفهم من هول يوم القيامة.[3]

إن وجود الأفراد في كل زمان و مكان يحتاج إلى وسيلة تفاهم و تعاون و تكامل، و يأتي الحوار ليكون الوسيط في ذلك، إذ نشأ هذا الأخير مع الإنسان و المجتمع بصفة عامة و هو تاليا تلك العملية التبادلية التي يضمنها الفكر و المعرفة معرفة الذات و معرفة الآخر.

---

[1] - سورة المائدة الآية 82-83
[2] - سورة القمر الآية 6-8.
[3] - التصوير الفني في القرآن ، ص 59.

تكمن روح الثقافة الإنسانية في الحوار المتبادل الفعّال بين الناس، فلا يمنعنا أيّ حاجز من الاستمرار في حركة التواصل مع الآخرين، و إن لم يكن ثمة تواصل بين الأفراد فحتما ستركن هذه الثقافة إلى الانغلاق و تتوقف عن الحركة و النّمو.

ومن ثمة يمكننا القول إنّ للأمثال القرآنية غايات نفسية تربوية[1]، حققتها نتيجة لنبل المعنى وسمو الغرض الذي تسعى لتحقيقه، بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي و تأثير الأداء، كما تستخدم الأمثال أدلة لإثبات الحقائق عن طريق بيان الأشياء و استخراج خصوصياتها إلى درجة تكون أداة هداية بالنسبة لمن رزقه الله قلبا نيرا، و عقلا ثاقبا، و أداة ضلال بالنسبة لمن ثبت على العناد، لقوله تعالى :(... يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾)[2].

لقد سبق وأن أشرنا إلى قصة صاحب الجنتين التي جسدت لنا نموذجين من الناس يختلفان في مكاسبهما المادية، فعن طريق أسلوب الحوار استطاع المؤمن الفقير أن يقوم بوظيفة تبليغية حيث بلّغ رسالته لصاحبه على أنّ المكاسب المادية سواءا أكانت أموالا أو أولادا، كثيرا ما تكون دواعي اغترار الإنسان و انحرافه عن الطريق السوي، و كثيرا ما تحول المحظوظ إلى طاغية جبّار يفتري على من أضعف منه، متناسيا ضعفه و متنكرا لكل ما توافرت له من مسخرات فيصاب حينئذ بالغرور و يفاخر بهذه النعمة من هم أقل منه شأنا ، كما بين لصاحبه أن هاته المكاسب المادية لا يجب التعالى بها على الناس لاحتمال أن يتحول الغنى إلى فقر، و الفقر إلى غنى، فلا يدرى الفقير متى يغنيه الله، كما لا يدري الغني متى يعيل، و إنما الذي يمكن أن يكون مقياسا للتفاخر و التفاضل هو تقوى الله و طاعته بإخلاص العبادة له.

كما أن للقصص القرآني وظيفة تربوية باعتباره يتميز بميزات جعلت له آثارا نفسية وتربوية بليغة، بعيدة المدى على مر الزمن، فلا يخلو هذا الأخير – القصص القرآني – من محاورات فكرية تساهم في انتصار الحق و إزهاق الباطل و ذلك بعرض الحوادث و النتائج المنتظرة من عرضه لهذه الأحداث و يتم ذلك عن طريق أسلوب الحوار إذ يحقق القصص القرآني بفضله غايات كثيرة، أهمها تربية العواطف الربانية[3]، و ذلك من خلال إثارة الانفعالات كالخوف والارتياح و الحب و الكراهية و غيرها من العواطف المرتبطة بسلوك الإنسان، فقصة

[1] - عبد الرحمن النحلاوي ،أصول التربية الإسلامية و أساليبها ص 249.
[2] - سورة البقرة الآية 26.
[3] - أصول التربية الإسلامية و أساليبها ص 234.

يوسف مثلا تربي عاطفة الارتياح و كذا الصبر و الثقة بالله و الأمل في نصره، بعد إثارة انفعال الخوف على يوسف ثم الارتياح بعد استلامه منصب الوزارة.

و خلاصة القول إنّ للحوار وظيفة تبليغية، الغرض منها تربية العواطف و السلوكات و كذا تعليم الأفراد ما ينفعهم، و لأجل ذلك لابد لنا من العمل على تحقيق هذا الجانب باستعمال أسلوب الحوار لما لهذا الأخير من خصائص و دور كبير في تقوية الإرادة و توجيه السلوك بما تقتضيه أمثال القرآن الكريم و تعاليمه ووقفاته القصصية و ما انطوت عليه من نفحات و إيحاءات.

المبحث الرابع: خصائص الخطاب الحواري في القرآن

1- الخطاب القرآني و لغة الحوار:

مما يوحي بعظمة الخالق وعظيم نعمه على الإنسان هو تمكينه من ابتكار الكلمة المعبرة عن المعنى، حيث تكون صور وأحاسيس مخزنة في نفسه – الإنسان –و لأجل ذلك لابد له من التعبير عن تلك الصور بألفاظ مناسبة لأداء الغرض المقصود[1]، إنه لفتح إنساني فريد من نوعه منح الإنسان أبرز معالم إنسانيته، هيأ له أجواء العيش الاجتماعي والتكافل مع غيره وكذا التكامل المعرفي.

عن طريق الكلمة يتفاهم الناس ويعبر كل منهم عمّا يريد إيصاله إلى الآخرين لاسيما اكتساب المعرفة، و لذا نجد القرآن يذكّر الإنسان بهذه النعمة التي لا يدرك الكثيرون قيمتها، و هي نعمة البيان و الإفصاح عمّا يريد بكلمات يفهمها الآخرون :(ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤)[2]، فعن طريق العقل و الكلمة خاطب الله سبحانه و تعالى الإنسان و حاوره، و ثبت منهج الخطاب و التفاهم على أسس عقلية علمية.

أمّا لغة الحوار فينبغي ألاّ تكون رفيعة عالية المستوى، و لا سوقية عامية سخيفة، ذلك أنّ الكتاب الروائيين العرب المستعملين للعامية كثيرا ما يكتبون العامية كما تنطق، و هذا أمر غير صائب لأنه يسيء إلى اللغة العربية الفصحى[3]، و قد يكون أسلوب الحوار سلسا مسهبا، متدرجا

---

[1] - مفاهيم حضارية - الخطاب و لغة الحوار، جريدة الوطن 2003، http/WWW.ANNAHAR.COM.IB

[2] - سورة الرحمن الآية 1-2-3-4.

[3] - في نظرية الرواية ، 135-136.

تدرجا منطقيا و هذا ما يساهم في توطيد فكرة التواصل بين الأشخاص الذين يديرون عملية الحوار، ولكنه قد يكون حوارا مقتضبا، أو ممزقا، فيكون معبرا عن قلق الشخصية و تمزقها من جهة، و عن صعوبة تواصلها مع الشخصية المخاطبة من جهة أخرى.

لأجل ذلك عرف القرآن بهذا المنهج الحواري حتى عندما تحدث عن أكبر مستكبر في الأرض هو فرعون ليوحي من خلال عرض هذه المفردة بتطبيقات المنهج، و ليكون منهجا علميا في التعامل مع الرأي الآخر، و مع من يختلف معهم في الفكر و العقيدة، قال الله تعالى مصورا ذلك من خلال مخاطبته لموسى و أخيه هارون عليهما السلام:(ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ)[1].

إنّ الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحقيقة واكتشاف الحق وليس الهدف هو التغلب على الطرف الآخر، أو تدميره و إظهاره بمظهر العاجز المهزوم فإنّك إذا أكرهت إنسانا على المبدأ تسلل إليه النفاق، و فعل ما يفعل من شر لهذا المبدأ[2]، و لذلك يقول الحق :(لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ)[3].

كما يفسح أسلوب الحوار المجال أمام العقل و المنطق لينطلق في البحث و التحرّي والاقتناع الراسخ، فإنّه يهيئ الأجواء النفسية و يزيل الحواجز المسبّقة بين الطرفين.

لقد دعا القرآن الكريم الإنسان إلى استعمال العقل و التفكر لقوله تعالى:(أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ١٨٤)[4].

وهكذا يثبت القرآن الكريم منهجا للحوار على أساس البرهان العقل، والتدبر والمسلمات الثابتة لدى الطرفين بعيدا عن العصبية والتحجر الإنمائي الذي لا يملك دليلا[1]، كما ينطلق منهج

---

[1] - سورة النحل الآية 125.
[2] - أسئلة حرجة و أجوبة صريحة ، ص 131.
[3] - سورة البقرة الآية 256.
[4] - سورة الأعراف الآية 184.

الحوار القرآني من العقل ومراعاة الجاذب النفسي والعاطفي عند الإنسان، فإنه يراعي مستوى التلقي و التقبل عند الإنسان المخاطب ليوفر الأجواء اللازمة للتدبر و التعقل.

2- الحض على التأمل:

من خصائص الحوار الخطاب الحواري في القرآن الكريم المحض التأمل من أجل تربية العقل على التفكير الصحيح و القياس المنطقي السليم، حيث تذكر مقدمات و يطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة التي لا يصرح القرآن بها في كثير من الأحيان، بل يشير إليها و يترك للعقل معرفتها.

عن طريق التأمل يصل الإنسان إلى حقائق كان يجهلها، فمخلوقات الله تدفعه إلى محاورة نفسه، أو غيره بتأمل عميق يؤدي به في النهاية إلى تقوية إيمانه و إخلاصه لله.

3- عدول الحوار عن فحوى الحديث الآني:

ثمة خاصية أخرى تميز الحوار القرآني تتمثل في نزوعه إلى الاستطراد و الخروج عن نطاق هويته الحوارية، إلى نطاق هوية أخرى تعبيرية إضفائية[2]، من ذلك قوله تعالى:(قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾)[3].

إنّ الحوار بهذا العدول الاستطرادي تتأصل وظيفته التعبيرية المرتبطة بالوجدان، فالخطاب بها يأخذ مسلكا عاطفيا،"يعكس العقيدة التي تسكن أعماق الفرد، و تجرده الخالص من أجل تمثلها، وقد يترادف القول أحيانا في سياق واحد دون أن يفرق ذلك السياق عارض كلامي، أو سردي"[4]، من ذلك ما جاء في سورة النمل على لسان الملكة بلقيس :(قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ

---

[1] - مفاهيم حضارية - الخطاب و لغة الحوار، جريدة الوطن، سنة 2003، http/WWW.ANNAHAR.COM.IB

[2] - الخطاب القرآني ص 189.

[3] - سورة طه الآية 52-56.

[4] - المرجع نفسه ص190.

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾)[1].

فالمقول الأول يفيد الإخبار بوصول كتاب ملكة سبأ، و بيان محتواه، الأمر الذي منح هاته الإفادة وظيفة سردية فاصلة بين سياقي المقولين، فالسردية إذن تعتمد أحيانا على الخبر، وأحيانا تنفتح على الحوار، فتعرض الأحداث عرضا تصريحيا، بحيث لا تكاد تصريحات المتحاورين تنقطع، أو يتخللها عارض سردي خبري إلاّ نادرا[2].

إنّ السرد يمضي بالوقائع و يعرضها، و الحوار السردي يقتصر على سرد الأحداث والوقائع، وتكاد تكون في سياق موجز لا تفصيلي.

إنّ الفاعلية الحوارية توطدت في الخطاب القرآني على الصعيد السردي و اضطلعت بوظيفة إيعازية تأثيرية التي تؤدي في النهاية إلى تغير أساسي في مستوى مواقف الشخصيات أو أفكارها. و من خصائص هذا الحوار أن يوعز إلى طرفيه أو إلى أحدهما بأمر ما على نحو غير مباشر، وقد يتصل الإيعاز بسامع يسمعه فيدفعه إلى فعل شيء، أو يصرفه عنه.

قد جاء الخطاب الحواري مركزا موصولا بالمقصد التربوي الذي اتبعته الدعوة القرآنية تبليغا لمبادئها، و لم تقتصر الأدبية فاعليتها الحوارية على المستويات القصصية القرآنية، بل لقد فاعل الخطاب القرآني العقل بواسطة المداخلات الحوارية، بصورة مطردة، الأمر الذي يجعل من النص القرآني في جوهره ايطارا حواريا مفتوحا على الوجود، و على صرامة نظمه الإلهية التي لا تفتأ تعصف بالكينونات البشرية كلما زاغ الاجتماع الإنساني عن ثوابتها[3].

فالخطاب القرآني ذو منحى خطابي توصيلي واضح، فقد جاء ملقنا عن طريق الصيغة التعليمية المباشرة: (قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾)[4] (قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾)[5] ، أو بواسطة السياقات غير المباشرة،و هذا من خلال الخطاب المحيل على الذات الإلهية في مواطن موصولة بحمده و

[1] - سورة النمل الآية 29-32.
[2] - الخطاب القرآني ص 191.
[3] - المرجع نفسه ص 192.
[4] - سورة الفلق الآية 01.
[5] - سورة الإخلاص الآية 01.

تنزيهه، (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١)[1] (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١)[2] أو جاء مخاطبا متلقيه بأوامر و نواه و بإحالات أخلاقية تقوم عليها أفعاله و مساعيه :(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١)[3]أو بالإخبار عن الغيبيات، والتذكير بأفضال الله على العباد :(أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١)[4].

إنّ هذه الصيغة الاستهلاكية التي يفتتح بها الخطاب القرآني رسالته تعد السمة الجوهرية للأدبية التوصيلية المتصلة اتصالا وطيدا بالمتلقي "[5]؛ إذ أنه تشركه في مفهمة الحدث القولي، بالتأويل وتراعي قابليته في رسم الحدود الشرعية، و في صنع التصورات الغيبية و تدعوه لأن يغدو طرفا في المفاعلة الكلامية التي يعقدها الخطاب القرآني مع المتلقي و هذا بدعوته إلى استخدام عقله، ومن هنا كان السرد القرآني فعلا قوليا مباشرا مفتوحا على الإخبار والتقريرات والتصورات وعلى المطارحات أيضا"[6].

فهي بذلك تحاول إدخال القارئ ضمن سيرورة الفهم مع مراعات قابلياته في رسم الحدود الشرعية، فيصبح بذلك طرفا مشاركا في هاته المفاعلة الكلامية التي يعقدها الخطاب القرآني ومن ثمة يمكننا القول أن السرد القرآني فعلا قوليا مباشرا.

4- الإيجاز و الإطناب:

زيادة على هاته الخصائص ثمة خاصية أخرى تميز الحوار القرآني تتمثل في الإيجاز والإطناب إذ يمكن أن يكون الحوار القائم بين الأشخاص موجزا، أو يكون فيه نوع من الإطناب إذا كان المعنى يتطلب مزيدا من التوضيح.

---

[1] - سورة الفاتحة الآية 01.
[2] - سورة الإسراء الآية 01.
[3] - سورة العلق الآية 01.
[4] - سورة الانشراح الآية 01.
[5] - الخطاب القرآني ص 197.
[6] - المرجع نفسه ص 197.

إنّ الإيجاز هو التعبير عن المراد بلفظ غير زائد، فهو أداء المقصود بأقل من عبارة أما الإطناب فيكون التعبير عن المراد بلفظ أزيد فهو أداء المقصود بأكثر لكون المقام خليقا بالبسط[1].

و ينقسم الإيجاز إلى قسمين، أولهما إيجاز القصر، و هو تكثيف المعنى بتقليل اللفظ، و ثانيهما ما يسمى بإيجاز الحذف، و هو أن يكون الكلام القليل بعضا من كلام أطول منه[2].

إنّ غاية الحوار تكمن في توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتلقي و عدم الاقتصار على عرض الأفكار القديمة، لأجل يلجأ المحاور أثناء تبليغ رسالته إلى الإيجاز في قوله إذا اقتضى المعنى المقصود من ذلك " أو يلجأ إلى الإطناب إذا كانت ثمة صعوبة في فهم المعنى فنجده يكثر من الشرح إلى حد الإسهاب في حوار مع الطرف الآخر.

من المواضع التي ورد فيها الإطناب نذكر قوله تعالى : (۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ ...)[3].

خاطب الله تعالى في هاته الآية رسوله، وهذا الخطاب فيه نوع من التشريف و التعظيم وتأديب المؤمنين و تعليمهم أن يخاطبوه بوصفه كما كان يفعل بعض أصحابه بقولهم :" يا رسول الله، فلا يحزنك اللذين يسارعون في الكفر من المنافقين الذين يدعون الإيمان".

في هذه الآية إسهاب كبير في وصف هؤلاء المنافقين لأن طبيعتهم تقتدي ذلك و حتى يكون المعنى شاملا بكل تصرفاته.

---

[1] - الإتقان في علوم القرآن ج2 ص 53.
2 - ينظر المصدر نفسه ج2 ص54
[3] - سورة المائدة الآية 41.

أما الإيجاز فقد جاء في مواضع عديدة نذكر منها قوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾)[1].

هذا أيضا مما يخاطب الله به رسوله عيسى بن مريم عليه السلام، محاورا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه و أمه إلهين من دون الله، عن طريق السؤال و الجواب كما هو واضح في الآية وقد كان أسلوب موجزا لأن المسألة تقتضي ردّا سريع على هذا السؤال.

هذه أهم الخصائص التي يتميز بها الخطاب الحواري في القرآن الكريم حتى يؤدي الغرض المقصود على أتم وجه و بالتالي حصول الفائدة على أننا سنحاول أن نتبين خصائص أخرى من خلال ما سنقف عليه في الفصل التطبيقي.

و خلاصة ما سبق ذكره أن الحوار ساهم بشكل مباشر في الرفع من قيمة القصة فنيا وجماليا ذلك أن افتتاح قصة بمشهد حوار – مثلا – أسلوب الإيحاء الفني لبعض سمات طرفيه.

كما يضفي الحوار صبغة جمالية على الأمثال القرآنية و يتخذها وسيلة من وسائل الإقناع لإيصال فكرة معينة إلى ذهن المتلقي. و من ثمة فإن الحوار يمارس وظيفة تبليغية الغرض منها تربية العواطف و سلوكات الأفراد و لأجل ذلك لابد لنا من العمل لتحقيق هذا الجانب باستعمال أسلوب الحوار لما لهذا الأخير من خصائص تميزه عن غيره حتى يؤدي الغرض المقصود في تقوية الإرادة و توجيه السلوك.

المبحث الخامس: بعض نماذج أساليب الإقناع في القرآن الكريم

إنّ الدارس ما في طيّات القرآن الكريم من المحاورات و المجادلات، و تشخيص ما حوته من إعجاز أدبي، و طرق الاستدلال ذات المنابع الإقناعية كوسيلة أملت على الإنسان العربي لحمل لواء الرقي و الحضارة، في شتى الميادين، كون النص القرآني، "جار على اللسان العربي، في أجلى تمظهراته البيانية و هو من جملة ثانية نص لا يمكن أن يتماهى في مرجعية ذهنية، أو إبداعية بشرية محددة"[2]، فكان بذلك أنّ القرآن الكريم حوى أساليب شتى في التعامل مع الآخرين

[1] - سورة المائدة الآية 116.
[2] - الخطاب القرآني مقاربة وصفية لجمالية السرد الإعجازي، ص03

على اختلاف اتجاهاتهم العقائدية، من خلال الحوار الإقناعي، الواضح الحجة و البراهين كون هذا الأخير نبّه على طرق الحجاج العقلية، ردّ على فرق الأمم ببراهين قوّية و أدلة بيّنة، لاستمالتهم إلى قبول الحق و ترك ما عليه من باطل"، و من أجل ذلك ينصب اهتمام القائمين بالإقناع والتأثير على أفضل السبل وأقلها كلفة ووقتا و جهدا في الوصول إلى تغيير اتجاهات الرأي العام، أو بناء اتجاهات جديدة، أو تعديلها أو لفت انتباه الجمهور نحو قضية معيّنة"[1].

والمتن القرآني يحفل بهذا الأسلوب الذي تبنى به المواقف والوقائع ويزيل الظنون والشكوك والمجهولات في حياة هذا الإنسان الذي يسعى إلى البحث عن الاطمئنان والاستقرار والسعادة في الدنيا والآخرة.

1- مفهوم الإقناع لغة:

ورد عن الخليل بن أحمد الفراهدي قوله:" قنع يقنع قناعة، أي رضي بالقسم و هو قنع و هم مقنعون، و قوله تعالى:" القانع و المعتر"، فالقانع: السائل و المعتر، المعترض له من غير طلب، قال: و منهم شقيّ بالمعصية قانع"[2].

و ذكر الجرجاني أن:" القناعة في اللغة: الرضا بالقسمة[3]".

و جاء في لسان العرب قوله:" قنع بالفتح يقنع قنوعا إذا سأل ...قنع يقنع قناعة بكسر النون رضي... والإقناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع ... والقناعة بالفتح: الرضا بالقسم . [4]

نستنتج أن مادة الاقناع تأتي على سبيل طلب الجواب أو الحق مع التذلل، بخلاف القناعة التي تعني الرضى بهذا الجواب أو الحق من غير مناقشة .

اصطلاحا:

" والاقتناع بالشيء هو الرضا به، و يطلق على اعتراف الخصم بالشيء عند إقامة الحجة عليه، وهو على العموم إذعان نفسي لما يجد المرء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان والاحتمال كاف لتوجيه عمله، إلاّ أنّه دون اليقين في دفنه"[5].

---

[1] - د. عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية و آليته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر2005، ص09.
[2] - الخليل ابن أحمد الفراهدي ،كتاب العين، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
[3] - التعريفات دار الكتاب العربي ، ص 146.
[4] - لسان العرب ، ج5، ص 329.
[5] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1403 هـ - 1982م، ج1، ص111.

وثمة فرق بين الإقناع و الاقتناع، ذكره الشيخ السبعاوي في قوله:" و الاقتناع مقابل للإقناع، لأنّ الإقناع إذعان نفسي مبني على أدلة عقلية، على حين أنّ الإقناع يتضمن السماح للمتكلم باستعمال الخيال و العاطفة في حمل الخصم على التسليم بالشيء.. "[1].

ويرى محمد عبد الرحمن عيسوي أنّ الإقناع عبارة عن حالة ميل الشخص المتأثر بالمؤثر من خلال ما يمليه من خطابات و إيحاءات مع ما عليه من رتبة مرموقة في المجتمع فهو يقول:" إنّ الفرد يميل إلى الإقناع بالإيحاءات التي يعتقد أنّها تصدر من الأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية البراقة".[2]

وجاء في تعريف آخر أنه:" عملية إيصال الأفكار و الاتجاهات و القيم و المعلومات إمّا إيحاءا أو تصريحا عبر مراحل معيّنة، و في ظل حضور شروط موضوعية و ذاتية مساعدة وعن طريق عملية الاتصال"[3].

من خلال هاته التعاريف تبيّن أنّ الإقناع عبارة عن ميل نفسي للشيء و الرضى به، بعد سماع الشخص البراهين و الحجج و مشاهدته لها، و بالتالي ينقاد و يذعن، لما اقتنع به لكن مادة قنع لم ترد في القرآن الكريم و لكن ورد ما يدل على معانيها و هي كلمة الرضى ومن تلك المواضيع قوله تعالى:" فلنولينّك قبلة ترضاها"، فالإقناع يعنى الحب و الميل إلى الحب، جاء في تفسير هاته الآية "عن ابن عباس رضي الله عنه: كان أول ما نسخ من القرآن الكريم القبلة و ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم لمّا هاجر إلى المدينة ، و كان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها الرسول صلى الله عليه و سلم "[4].

بضعة عشر شهرا، و كان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعوا إلى الله و ينظر إلى السماء فأنزل الله قوله تعالى:" فولوا وجوهكم شطره"[5]، و الإقناع يأتي بمعنى الاطمئنان للشيء و الرضى به إذا علم حاله، قال تعالى:(.... وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ...)[6]، أي " من تعرفوا عدالتهن و يطمئن القلب إليهن"[7].

---

[1] - الشيخ طه عبد الرحمن السبعاوي، أساليب الإقناع الاجتماعي في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426 هـ - 2005 م، ص15.
[2] - عبد الرحمن عيسوي ، دراسات في علم النفس الاجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية، 1974م، ص 19.
[3] - الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية و آليته العملية، ص 17.
[4] - تفسير القرآن العظيم ج1 ص183.
5 - ينظر المصدر نفسه ج1 ،ص223.
6 - سورة البقرة ، الآية 282.
7 - عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ج1 ص140.

ويأتي بمعنى الاتفاق على الشيء و الرضا به بعد التشاور، قال تعالى:(.... فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا....)[1]، جاء في تفسير ابن كثير:" أي فإن اتفق والد الطفل على فطامه قبل الحولين، و رأيا في ذلك مصلحة له، و تشاورا في ذلك و أجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك.. "[2].

2- أقسام الإقناع: ينقسم الإقناع بحسب وسائله إلى قسمين:

أ/ الإقناع الجدلي، ب/ الإقناع غير الجدلي، و هذان القسمان ذكرهما الشيخ محمد السبعاوي في قوله:" فأما الإقناع الجدلي فآلته غالبا هي: اللسان، و هو ما نراه في المناقشات و المجادلات والحوار وما إلى ذلك...و قد تكون بغير لسان كما في التجربة العلمية و كما هو الأمر مع الوسائل الحديثة من شريط الفيديو والتصوير السينمائي وعرض الحقائق التي تخاطب العقول بالبصر لا باللسان.

بقي الإقناع غير الجدلي هذا القسم غالبا ما تكون آلته الإقناعية غير اللسان، فقد تكون عبر الصحف و المجلات و إعلانات الدعاية في وسائل الإعلام، وقد تكون بالهدية أحيانا وأحيانا بالصحبة و المرافقة، أو اللفت الحسن، وكل ذلك لا يعتمد اعتمادا كليا على اللسان، إلاّ أن ذلك لا يعنى درجة الإهمال لأهم آلة في البشرية و أخطرها وأعمها وهي اللسان إذ عن طريقه يكون التفاهم بين الأفراد و المجتمعات... "[3].

والقسم الأول هو الذي استعمله الأنبياء والرسل مع أقوامهم، في سبيل إظهار الحق و استمالة الناس إليه، بصورة جدلية إقناعية، تتبنى الحوار ألتأثيري الصادر من الذات الإلهية العالم بمكنوناته هذا المخلوق المعاند و الجاحد لما جاءت به الرسل عليهم السلام.

و لكن متى يكون للجدل الإقناعي أثر و قابلية، كان لزاما في أيّ خطاب من هذا النوع أن يرتكز على أسس علمية و موضوعية وواقعية.

3- أسس الخطاب الإقناعي:

هناك مجموعة من الأسس التي تقوم عليها عملية الإقناع، نوردها كما يلي:

---

1 - سورة البقرة، الآية 233.
2 - تفسير القرآن العظيم ،ج1،ص328.
3 - أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ص19.

1- صياغة الرسالة الواضحة: أي وضوح الهدف من الرسالة، و عدم الغموض في المضمون، مع مراعاة قابلية المستمع للاستيعاب.

2- التفاعل مع الآخرين و إقامة الصلات معهم: و هذا ما يسمى بعملية الإدماج الاجتماعي المبنية على التفاعل مع الآخر، و محاورته بالحجة و البرهان و إقامة روابط التواصل، حتى يكون امتداد للمنهج الدعوي، و هذا ما نتلمسه في سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم.

3- الموضوعية: أي يجب على المبلغ أن يتجنب التحيّز و الأحكام المسبقة المنبعثة من التحيزات القبلية أو المذهبية أو العرفية...الخ.

4- التخطيط الجيّد لعملية الإقناع: و يكون من خلال وضع الشيء في موضعه المناسب له كاختيار الزمان و المكان و حال الشخص المخاطب.

5- حساسية إرجاع الأثر: بحيث يكون المخاطب على حذر من ردة الفعل سلبية تهدم كل ما بناه كونه لم يراع حساسية المخاطب و انخفاض الحساسية لإرجاع الأثر يحوّل التأثير و التواصل الاجتماعي إلى حوار فردي لا تفاعل فيه.

6- حسن استجابة المستمع للرسالة الإقناعية.

7- ابتعاد المستمع عن الأحكام المسبّقة و الخلفية التصويرية حول المرسل.

8- مكان المرسل الاجتماعية.

9- مصداقية المرسل العملية.[1]

4- مادة الإقناع:

إنّ الخطاب الإسلامي ذو الصيغة الإقناعية، أبلغ مادة جمعت بين الأسس التي ينبني عليها الخطاب الإقناعي ألتأثيري و مادته التي يستمد منها هاته الصفة المميزة عن باقي الخطابات الأخرى، وإليك هذه المادة باختصار:

أ/ **القرآن الكريم**: و هو الدستور و المعجزة الخالدة، الذي أبهر العلماء و المصلحون، كونه وحي منزل من ربّ العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، كتاب علم و قراءة.

"لقد كانت القراءة أبدا مشروعا حواريا ، يواصل جدليته في سبيل امتلاك القناعات التي ستأطر الحياة وتوجه صيرورتها على ضوء العقل والحقيقة"[2]

---

[1] - ينظر د مصطفى حجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية و الإدارة بيروت المركز العربي للتطوير الإداري، ط 1982 ، ص 164.

[2] - الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ص182.

ب/السنة النبوية المطهرة: إن الاعتراف بالقرآن يستلزم الاعتراف بالحديث النبوي الشريف، كون هذا الأخير جاء بيانا، وتفسيرا لهذا الوحي المبين، قال تعالى:(وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ إِلَّا هُوَ وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤)[1] ، وجاء في الحديث الشريف أ ن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو الذي كان يكتب كل شيء يقوله النبي صلى الله عليه و سلم: " اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق "[2].

ج/ سيرة السلف الصالح : ونعني بها ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم الذين أكرموا بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن الذين اتبعوه بإحسان ، الذين تميزوا بخصائص لم تجتمع في غيرهم :

1 – عاصروا التشريع وعايشوه، فعلموا مواقع التنزيل و ورود الأدلة على الوقائع والأحوال.

2- و لأن خطاب الشارع متوجه إليهم في الأصل ، وهم المرادون به قبل غيرهم.

3- إن النصوص من الكتاب و السنة الدالة على فضلهم وعلو قدرهم قد تواترت.

4- ولأن الله عز و جل قد جعل لهم الإمامة في الدين لمن بعدهم، وأثنى عليهم و على من تبعهم وسلك سبيلهم.

5- و لأنهم ناجون من الضلال ، بعيدون عن مواطن الزلل و التهلكة ، فقد شهد رب البرية بعدالتهم من فوق سبع سماوات

6- ولأنهم خير القرون كما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم .

د/التجارب: ويقصد بها ، ذلك العلم الحاصل بالتجربة الشخصية ، كمن علم بنفع السواك لفمه أكثر من غيره ، أو بمضرة التلفاز والنظر إليه لما نهاه طبيب العيون من النظر إليه ، أو كأن يتجنب الشخص استعمال مادة كيماوية لأن أخاه أصيب بمرض جلدي ، والقرآن الكريم حث الإنسان في كثير من مواضعه على الاعتبار والاستفادة من تجارب الآخرين ، مثل قوله تعالى :(

[1] - سورة النجم الآية 3،4

[2] - ينظر تفسير القرآن العظيم ج4، ص282.

لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ

وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١)[1]

ه/الحقائق العلمية: هي تلك المادة التي تثبت بالمادة العلمية القطعية ، وصار من المسلم بها، والمنكر ذو جهل مركب، خاصة ما وافق منها نصوص القرآن الكريم وإشارته الاعجازية العلمية كإثبات أن الإنسان يخلق من ماء الرجل والمرآة ويمر بأطوار عديدة حتى تكتمل أعضاءه في رحم أمه .

و/ الأعراف والعادات و التقاليد التي لا تعارض وحيا و لا عقلا: ويراعى في ذلك حكم الغالب والأكثر على المغلوب والأقل من حيث الزمن والعدد والظرف ذلك أن لكل قوم عاداتهم وأعرافهم يخالفون فيها غيرهم ، شريطة أن لا يخالف النصوص القرآنية و النبوية والعقول الصحيحة والأذواق السليمة.[2]

5- أساليب الإقناع العملية:

لم يقتصر أسلوب القرآن الكريم في مخاطبته ومحاورته على الأساليب التي تخاطب العقل فقط، بل استعمل مع هذا الإنسان الأساليب الإقناعية العملية، ومنها: خوارق العادات، المعجزة، الاستدراج، الترغيب والترهيب، والقصة، وهذا لما لها من تأثير كبير، في إقناع هذا الإنسان وإلزامه الحجة الواضحة، ودفع كبريائه وعناده، وغرس فيه الطمأنينة والاستقرار.

أ/خوارق العادات : الأمر الخارق في **اللغة** ، مأخوذ من مادة خرق وهي من انخرق من الشيء وبان منه ، يقال شاة خرقاء ، أي مثقوبة الأذن ، وتأتي مادة خرق بمعنى الدهش، يقال أصابه خرق وبرق [3]، وجاء في المصباح المنير:"ومنه قيل خرق الرجل خرقا من باب تعب أيضا اذا دهش من حياء أو خوف فهو خرق."[4]

في الاصطلاح: يعرفها الشيخ علاء الدين بقوله:"تعني تلك الظواهر الجارية خارج حدود الإمكان البشري عقلا، أو هي تلك الأمور التي تجري خلاف السنن الكونية المعهودة"[5].

---

[1] - سورة يوسف الآية 111 .
[2] - ينظر أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ص21 .
[3] - ينظر لسان العرب ج 11، ص360.
[4] - المصباح المنير للفيومي،ج1،ص167.
[5] -الشيخ علاء الدين ، كتاب ماهو التصوف ، دار العربية بغداد 1409ه/1988م،ص 159.

ولما كانت المعجزة داخلة في هذا التعريف ارتأينا التركيز عليها كونها أداة قوية في إقناع المخاطبين إلا من أبى الجحود ،وفضل الكفر على الإيمان.

1- المعجزة: في **اللغة** تأتي بمعنى الضعف، تقول عجز عن الأمر، إذا قصر عنه، المعجزة مأخوذة من العجز المقابل للقدرة[1]، وجاء في المصباح المنير :"عجز عن الشيء عجزا من باب ضرب ومعجزة بالهاء وحذفها مع كل وجه وفتح الجيم وكسرها ضعف عنه،وعجز عجزا من باب تعب..." [2]

وفي **الاصطلاح** عرفها الجرجاني بقوله:"المعجزة أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة ، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله".[3]

2- أثر المعجزة في النفس البشرية :

أردنا أن نمثل في هذا العنصر ، بالمعجزة الخالدة ، التي لا تزول و لا تنقطع مادامت الدنيا، والحركة الحياتية، فهو معجزة روحية صالحة لكل زمان ومكان ، ثابتة في أصولها لا تتغير، لا تندثر، كما وقع لمعجزات الأنبياء ، الذين سبقوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر الدعوة، فقد ثبت في القرآن أن معجزات هؤلاء الأنبياء حسية تشاهد، لها أثر في نفوس من حضرها، فعلى سبيل المثال معجزة موسى عليه السلام في تحديه لسحرة فرعون، فقد كان لمعجزته عليه السلام والمتمثلة في اليد و العصا أثر عظيم في دخول الكثير من بني إسرائيل في الإسلام، فانبهروا بما جاء به موسى ، وعلموا أنه مرسل من ربه بالحق فقد جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى:

(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾) [4] أن موسى عليه السلام"أوحى إليه الله في الساعة الراهنة

أن ألق ما في يمينك يعني عصاك ، فإذا هي تلقف ما صنعوا و ذلك أنها صارت تنينا عظيما هائلا ذا قوائم و عنق و رأس و أضراس ، فجعلت تتبع تلك الحبال و العصي حتى لم تبق منها شيئا إلا تلقفته وابتلعته، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جهرة نهارا صحوة، فقامت المعجزة واتضح البرهان ، وقع الحق وبطل السحر، ولهذا قال الله تعالى:(وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ

[1] - لسان العرب ج5، ص369 مادة (عجز)
[2] - المصباح المنير، ج2، ص393
[3] - كتاب التعريفات، ص 176.
[4] - سورة طه الآية 67.

مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾)[1]"[2]، فظهر بذلك الحق وزهق

الباطل وأتباعه، "وبزوال هاته الطريقة يتاح للمقهورين من المؤمنين أن يرثوا الأرض، وأن يتبوءوا منها المكان الذي اختاره الله لهم، على النحو الذي شاء" [3] ،وقس على ذلك باقي المعجزات الحسية مثل ناقة صالح عليه السلام وإنزال مائدة من السماء لنبينا عيسى عليه السلام ، وجعل النار بردا وسلاما على سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وانشقاق البحر لسيدنا موسى عليه السلام ...الخ.

"إذا كانت خوارق العادات من المعجزات لها ذلك الأثر الفعال في إقناع الناس فان خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم قد أعطي من المعجزات الكثير التي آمن بها ولا زال يؤمن بها أفواج وأفواج ، إلا أن أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم ...."[4]

3- تأثير القرآن وإعجازه:

من المعلوم أن القرآن الكريم هو المعجزة الدالة على صدق خاتم الأنبياء و المرسلين صلى الله عليه وسلم قد تميزت كما ذكرنا آنفا عن غيرها من المعجزات كونها باقية ثابتة حتى يرث الله الأرض ومن عليها أما باقي المعجزات فقد انقضت بانقضاء وقتها فمعجزة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تدرك بالحس بل بالدراسة والفحص و النظر فقد جاء في صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام :"ما من نبي إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما الذي أوتيته وحيا إلي فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا"[5].

وقد ذكر السيوطي سبب مجيء المعجزات للأقوام السابقين خاصة بني إسرائيل حسية، وكون معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم عقلية فقال:"وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم،وأكثر معجزات هاته الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ، لأن هاته الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر...."[6]

---

[1] - سورة طه الآية 69.
[2] - تفسير ابن كثير ج3 ص 190 .
[3] - الخطاب القرآني ، ص 168.
4 - أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ص 98-99.
5 - أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان،باب وجوب الإيمان برسالة محمد ج2 ص160،دار الكتب العلمية، بيروت 1415ه/1995م، ط1.
6 - الإتقان في علوم القرآن ،ج1 ص116.

وقد اختلفت أنظار أهل البلاغة و اللغة الذين درسوا أسلوب الإعجاز سر الإعجاز ، فقد ذكرها السيوطي في الإتقان بالتفصيل و ذهب في الأخير إلى ما اختاره هو فقال:"وقد قلت في إعجاز القرآن وجها ذهب الناس وهو صنيعه في القلوب و تأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما و لا منشورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة ،والحلاوة في حال ذوي الروعة و المهابة حال آخر ما يخلص منه إليه قال تعالى:(لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾)[1]

وقال:(ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ...)[2] "[3].

لقد أثر القرآن الكريم تأثرا خارقا سواء في نفوس أعدائه أو في نفوس أوليائه، لكونه تميز بخصائص وأساليب تخالف المعهود من كلام العرب وأشعارهم و بلاغتهم ، مما ترك ذلك الأثر الفعال في إقناع الكثير منهم ، حتى تصدوا له ليدل دلالة واضحة على نجاحه، وأنه تنزيل من رب العالمين ، وفي هذا الصدد قال عبد العظيم الزر قاني:"و معنى هذا أن القرآن بلغ في تأثيره ونجاحه مبلغا خرق به العادة في كل ما عرف من كتب الله و الناس ، و خرج عن المعهود في سنن الله من التأثير النافع بالكلام وغير الكلام وبيان ذلك أن الإصلاح العام الذي جاء به القرآن والانقلاب العالمي الذي تركه هذا الكتاب ما حدث و ما لم يكن ليحدث في أي عهد من عهود التاريخ قديمه و حديثه إلا على أساس من الإيمان العميق القائم على وجدان قوي، بحيث يكون له من السلطان القاهر على النفوس ، والحكم النافذ على العواطف والميول ما يصد الناس عن نهجهم الأول في عقائدهم التي توارثوها، وعبادتهم التي ألفوها، وأخلاقهم التي نشأوا عليها، وعاداتهم التي امتزجت بدمائهم...[4].

وبعد هذا، لابد لنا من التنبيه على أن ما أسلفناه من ذكره في خاصية التأثير والإعجاز القرآني، إنّما كان على سبيل الاختصار والاقتصار بدلالة الإشارة، فهو من باب تحصيل حاصل، فالقرآن الكريم وما حواه من أسلوب مميّز وخارق لازال ولا يزال يكشف في كل عصر عن سر

1 - سورة الحشر الآية 21.
2 - سورة الزمر الآية 23.
3 - الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 121.
4 - الشيخ محمد عبد العظيم الزر قاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث القاهرة،1422ه/2001م،ج2،ص342.

من أسراره؛ لأنّ مصدرية هذا النص مصدرية لا إنسية "فالنص القرآني بحكم طابعه الإلهي يتأتى إلى حد كبير عن أن يضاء بعدة إجراءات وضعية فهو منزول تنتظمه هيئة خطابية امتازت بتساوق استثنائي بين النظمية والأدائية"[1]، فكان القرآن بذلك الأسلوب المعجز الرفيع، سبب ازدهار وإظهار خير أمة أخرجت للناس بما امتازت به من قوّة البيان وفصاحة اللسان، وغزارة المعرفة المستقاة من هذا القرآن العظيم الذي أثر في هذه الأمة نفسيا ومعرفيا بسبب ما ملكه من سر الفصاحة، يقول مصطفى صادق الرافعي: "ولولا أنّ القرآن الكريم ملك سرّ الفصاحة وجاءهم منها بما لا قيل لهم برده، ولا حيلة لهم معه، مما يشبه على التمام أساليب الاستهواء في علم النفس، فاستبد بإرادتهم، وغلب على طابعهم، وحال بينهم وبين ما نزعوا إليه من خلافه، حتى انقلبت قلوبهم عليه وهم يجهدون في نقضها واستقاموا لدعوته وهم يبالغون في رفضها..." [2].

ب- الاستدراج:

لغة: جاء في المصباح المنير: "... ودرّجته إلى الأمر تدريجا فتدرّج واستدرجته أخذته قليلا قليلا"[3]. يدل هذا التعريف على أن حصول المطلوب يكون بالانتقال الجزئي للخصم من رتبة أو طبقة على أخرى والمعنى اللغوي هنا لا يختلف عن المعنى في التعريف الاصطلاحي.

اصطلاحا: عرّفه الجرجاني بقوله: "هو أن تكون بعيدا عن رحمة الله تعالى وقريبا إلى العقاب تدريجا وأن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتا مؤقتا إلى أقصى عمره للابتذال بالبلاء والعذاب". وقيل الإهانة بالنظر إلى المال والدنو إلى عذاب الله بالإمهار قليلا قليلا، وأن يرفه الشيطان درجة إلى مكان عالٍ ثم يسقط من ذلك المكان حتى يهلك هلاكا، وأن يقرب الله العبد إلى العذاب والشدّة بالبلاء في يوم الحساب"[4].

وعرّفه الشيخ محمد السبعاوي: "إذ هو الأمر الخارق الصادر عن شخص غير مقارن لدعوى النبوة ولا يتصف بالإيمان أو العمل الصالح"[5].

1/التدرج في التشريع: لقد انتهج القرآن الكريم طريقة عجيبة، في إصلاح الفرد والمجتمع، على صفة حكيمة توصل الخلق إلى اتباع الحق والركون إليه والاطمئنان به، وهذا الإصلاح كان شاملا لمناحي الحياة مما يدل دلالة واضحة على أنه تنزيل من حكيم حميد.

---

1 - الخطاب القرآني ،ص5.

2- مصطفى الصادق الرافعي ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة التاسعة، طبع 1973.1393. ص 159، ص 160.

3 – المصباح المنير، ج1، ص .191

4 – كتاب التعريفات للجرجاني، ص 23.

5 – أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص 104، ص 105.

وقد ذكر الشيخ عبد العظيم الزرقاني السر في ذلك حين قال: "ولا ريب أن وضع التشريع على هذا الوجه، فيه متسع للجميع وفيه إغراء للنفوس الضعيفة، أن تتشرف باعتناق الإسلام ولو في أدنى درجة من درجاته، حتى إذا أنست به وذاقت حلاوته تدرجت في مدارج الرقي، فمن إيمان إلى إسلام إلى أداء ركن إلى أداء فرض إلى أداء مندوب مؤكد إلى أداء مندوب غير مؤكد، ومن ترك نفاق إلى ترك شرك وكفر إلى ترك كبيرة، إلى ترك صغيرة..." [1].

ومن أبرز الملاحظات التي تدل على التدرج في الأحكام هو التقسيم الذي أنزل به القرآن من الناحية الزمنية والمكانية، فلقد قسم القرآن إلى مكي ومدني، ولكل مرحلة مميزاتها، فالمكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة والميزة الثانية أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة فمثال الأول قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ.....)[2]، ومثال الثاني: "يا أيها الذين آمنوا"، لأن الكفر كان غالبا على مكة فخوطبوا بـ "يا أيها الناس"، بعكس أهل المدينة الذي كان الغالب عليهم الإيمان فخوطبوا بـ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ.....)[3].

لقد تميزت السور المكية باستهدافها للدعوة إلى هذا الدين الجديد وإبراز حقائقه، والتذكير بطاعة الله ورسوله، وتمهيد لها سيفصل في المدينة من الفرائض والواجبات والدعوة إلى الإحسان والعمل الصالح للفوز بالجنة والنجاة من النار، وتوضيح شؤون الغيب بينما تميزت السور المدنية وهي المرحلة التالية للمرحلة المكية بتركيزها على الأحكام والتشريعات التي تنظم المجتمع الإسلامي.

وهذه بعض النتائج تبيّن الحكمة في تشريع الأحكام بالتدرج:

إن الدارس لأسباب النزول وسير التشريع الإسلامي يرى من مظاهر هذا التدرج الكثير، وحسبك أن يبتدئ الأمر في بداية الدعوة، تقرير عقيدة التوحيد مدّة زمنية قدرت بعشر سنوات ثم جاء بعدها فرض الصلوات الخمس بعد البعثة، ثم تعاقبت باقي العبادات بعضها تلو بعض، ثم جاء تشريع المعاملات بعد الهجرة.

2/بعض النماذج على الاستدراج:

[1]– مناهل العرفان، ج2، ص 305، ص 306.
2-البقرة، الآية21
3 - البقرة الآية 153

أ)- **التدرج في التحدي**: لقد سلك القرآن الكريم في تحديه للمعارضين، طريقة مقصورة على طلب المعارضة بمثل القرآن، ثم بعشر سور ثم بسورة وفي الأخير بالاستحالة المؤبدة، وإليك هاته الآيات: "قال الله تعالى: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"[1].

وجاء في كتاب الإتقان للسيوطي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[2]، قوله: "فهذا وهم الفصحاء، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعا للحجة ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدّث نفسه بشيء من ذلك ولأرائه بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء تارة أخرى، فتارة قالوا سحر وتارة قالوا شعر وتارة قالوا أساطير الأولين كل ذلك من التحير والانقطاع ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبي ذراريهم وحرمهم واستباحة أموالهم، وقد كانوا آنف شيء وأشده حمية، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم"[3].

ثم ذكر قصة الوليد بن المغيرة لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتي محمد التعرض لما قاله، قال: علمت قريش أني من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له قال وماذا أقول فو الله ما يشبه الذي تقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه، معذق أسفله وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته، قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره[4].

1 - الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 8-9، ومناهل العرفان، ص 165، وص 166.
2 - الإسراء الآية 88
3 - الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 117.
4- المصدر نفسه، ج2، ص 117.

ثم تحد لهم بعشر سور منه جوابا على قولهم: قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾)[1]. ثم تنزل معهم في التحدي على أن يأتوا بسورة مثله، قال تعالى:(وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾)[2]، ثم حكم عليهم باستحالة الإتيان بمثل القرآن في قوله تعالى: (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾)[3]، فقطع لهم أنهم لن يفعلوا، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من الله، ولا يقولها عربي في العرب أبدا، وقد سمعوها واستقرت فيهم ودارت على الألسنة وعرفوا أنها تتنافى عنهم الدهر نفيا وتعجزهم آخر الأبد فما فعلوا ولا طمعوا قط أن يفعلوا"[4].

ب- **التدرج في تحريم الخمر**:لقد كان من نتائج تأثير القرآن في النفوس أن خضعت هذه الأخيرة لأحكامه، أوامر كانت أو مناهي، تتعلق بشؤون دنياهم وأخراهم فتشبثوا بالعمل بها وتنفيذها، وتركوا ما يخالف تعاليم القرآن وهداياته، وبالتالي اتصفوا باستقامة العقيدة والعبادة والأخلاق، وهذا النموذج يبين هذه الحقيقة. جاء في تفسير ابن كثير عند قوله تعالى:

(۞ يَسْـَٔلُونَكَ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ...)[5].

قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا إسرائيل عن إسحاق عن أبي ميسرة، عن عمر أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت هذه الآية التي في

1- سورة هود الآية 13
2- سورة البقرة الآية 23
3 - سورة البقرة الآية 24
4- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 170.
5- سورة البقرة الآية 219.

البقرة (﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ)[1] فدعي عمر، فقرئت عليه فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت الآية التي في النساء (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ)[2] فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربنّ الصلاة سكران، فدعي عمر، فقرئت عليه فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت الآية التي في سورة المائدة، فدعي عمر، فقرئت عليه فلما بلغ "فهل أنتم منتهون؟" قال عمر: انتهينا انتهينا[3].

فالناظر في القرآن الكريم، أنه يقدر الطبيعة الإنسانية من جانب استعداداتها وقدراتها وإدراكاتها، لأن من العسير تغيير المألوف الذي تداوله العرب من أب إلى جد، والذي في نفس الوقت يحتاج إلى تقنيات صحيحة مناسبة، فلقد روي كما هو ملاحظ في النموذج الجاذب النفسي الاجتماعي، فهذا من الإعجاز الذي يحمل رسالة جديدة لحياة جديدة، فهو لم يأت بطريقة مفاجئة، حتى يصطدم برد فعل المدعوين الذي ربما يكون عنيفا، يروي الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من مفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا"[4].

ج- التدرج في تشريع القتال:

من الواضح أن قريشا قد اضطهدت المؤمنين الموجودين، حتى فتنوهم عن دينهم، وأخرجوهم من بلادهم، فمنهم من عذّب، ومنهم من قتل، ومنهم من غرّب، ومنهم من فرّ إلى البلاد المجاورة كالحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، فكان المسلمون في حال من الضعف، مما يعني أنهم لا يستطيعون إقامة شريعة الله وتحقيق الأهداف الملقاة على عاتقهم، إلا أن الله تعالى أنزل آيات قرآنية منجمة بحسب الأزمنة والحوادث الطارئة، تناسب المقام، تتمثل في تشريع القتال، ولكن مر بمراحل لحكم تشريعية، وفي هذا الصدد يقول محمد عبد العظيم الزرقاني:"لم يشرع الجهاد دفاعا في صدر الإسلام على الرغم من أن الأذى كان يصب على المسلمين من أعدائهم صبا، بل كان الله يأمر بالعفو والصفح، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

---

[1] - سورة البقرة، الآية 219.
[2] - سورة النساء،الآية 43.
3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج1، ص 295.
4- أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم 4707 ، المكتبة الثقافية، بيروت (ب ت ط) ج8، ص 318، ص 319.

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾[1]. فكانت أمرا صريحا لهم بالعفو والصفح حتى يأتي الله بأمره فيهم من القتال، ويتضمن ذلك النهي عن القتال حتى يأتي أمر الله، ثم شرع القتال دفاعا في السنة الثانية من الهجرة، بقوله تعالى في سورة الحج:"أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناسَ بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور"[2] ثم حض الله عليه حضا شديدا في آخر الأمر، فنزلت سورة براءة وهي من آخر ما نزل من القرآن. وفيها قوله سبحانه: "وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة"[2]"[3]. وفي تشريع الجهاد بالتدريج حكمة بالغة الأهمية على العدل والإحسان وحسن التصرف في دعوة الناس إلى هذا الدين قال الشاطبي: "وفي هذه المدة كان الإنذار يترادف، والصراط يستوي بالنسبة إلى كل وجهة وإلى كل محتاج إليه، وحين أبى من أبى من الدخول في الإسلام بعد عشر سنين أو أكثر بدؤوا بالتغليظ بالدعاء، فشرع الجهاد لكن على تدريج أيضا، حكمة بالغة وترتيبا يقتضيه العدل والإحسان حتى إذا كمل الدين، ودخل الناس فيه أفواجا ولم يبق لقائل ما يقول قبض الله نبيّه إليه وقد باذت الحجة، ووضحت المحجة، واشتد أس الدين، وقوي عضده بأنصار الله، فلله الحمد كثيرا على ذلك"[4].

والخلاصة أن القرآن الكريم استعمل أسلوب التدرج مع العرب لأجل أن ينقلهم من حياة الفوضى والتلف إلى حياة النظام والتقيد بالمعايير التي لابد منها في المجتمع الصالح، ولا يخفى كذلك الحكمة في نزوله منجما، وهذا لاعتبارات تربوية حقيقية، ذلك لأنه يهدف إلى ميلاد دين وظهور حضارة، وفي هذا الصدد قال مصطفى الصادق الرافعي: "أنزل القرآن منجما في بضع وعشرين سنة، فربما نزلت الآية المفردة، وربما نزلت آيات عدة إلى عشر، كما صح عن أهل الحديث فيما انتهى إليهم من طرق الرواية، وذلك بحسب الحاجة التي تكون سببا في النزول،

---

[1]- سورة البقرة، الآية 109.
[2] - سورة التوبة ، الآية 36.
[3] - مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1 ، ص 90.
[4] - الموافقات في أصول الشريعة، ج3، ص .283

وليثبت به فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، فإن آياته كالزلازل الروحية، ثم ليكون ذلك أشد على العرب وأبلغ الحجة عليهم وأظهر لوجهه إعجازه وأدعى لأن يجري أمره في مناقلاتهم ويثبت في ألسنتهم ويتسلسل به القول"[1].

3/ أسلوب الترغيب والترهيب:

تطلعنا الدراسات والبحوث المعاصرة أن الأساليب التحفيزية من الطرق الأكثر استعمالا، ليس في ميدان التعاليم فقط، وإنما في حياتنا اليومية وهذا ما جعل الأمم تسن تشريعات وقوانين وقواعد لمحاولة وضع نظام اجتماعي تربوي معين، يساعد على تهذيب سلوك الناس.

وفي نصوص القرآن نجد هذا الأسلوب[2] بارزا بشكل كبير نجده يعرض الجزاء والعقاب بكيفية تهز النفس البشرية، وتضعها أمام خيارين، الهداية التي تكون نهايتها الفلاح والفوز بالجنة، أو الكفر وعاقبته جهنم، لهذا نلاحظ في القرآن الكريم المزج بين الأسلوبين حتى تكون النفس البشرية في اعتدال. وفي هذا الشأن قال الشاطبي: "ومن هنا يتصور للعباد أن يكونوا دائرين بين الخوف والرجاء، لأن حقيقة الإيمان دائرة بينهما. وقد دل على ذلك الكتاب العزيز على الخصوص فقال: "إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون"-إلى قوله تعالى: "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون" (المؤمنون 57-60)، وقال: "إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله" (البقرة 218) وقال: "أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه"(الإسراء 57) [3].

1. **أسلوب الترغيب:**

أ- التعريف اللغوي بكلمة الترغيب: جاء في كتاب العين: "أنه لوهوب لكل رغيبة أي مرغوب فيها، وجمعها رَغَائب..." [4] وجاء في المصباح المنير: "رغبت في الشيء و(رغبته) يتعدى بنفسه أيضا إذا أردته (رَغَبا) بفتح الغين وسكونها و(رَغْبَى) بفتح الراء وضمها(رَغْبَاء) بالفتح والمد و(رَغِبْتُ)عنه اذا لم تردده و (الرَّغِيبَة) العطاء الكثير"[5]، وقد وردت كلمة الترغيب في مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى:(وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ

---

[1]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 39.

[2]- ينظر د إدريس أوهنا، أسلوب الحوار في القرآن الكريم الموضوعات و المناهج و الخصائص،ط 1، 1426ه/2005 م، دار أبي رقراق، المملكة المغربية، ص 132 و ما بعدها.

[3]- الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص 273.

[4]– كتاب العين ، ج2، ص 133.

[5]- المصباح المنير ، ج1 ، ص 231

إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ...)[1] وقوله تعالى على لسان آزر :(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ ...)[2]، وقوله تعالى:(فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨)[3].

ب- أقسام الترغيب: والترغيب ينقسم إلى قسمين: [4]

1- الترغيب المادي: يشمل ما تشتهيه النفس البشرية من محسوسات مرغوبا فيها، كالأموال والنساء، والأولاد، والذهب والفضة، وهذه من الوسائل المحفزة للإنسان لإقامة الحق والخير والعدل، ولقد وردت الكثير من نصوص الكتاب والسنة تحوي هذا النوع من الترغيب، فعلى سبيل المثال، لا الحصر:

أ) القرآن الكريم:

الترغيب المادي الدنيوي والأخروي:

1) قوله تعالى: (مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٧)[5].

2) قوله تعالى: (وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ۝٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ لَّا ۝٣٢ مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ۝٣٤)[6].

ب) السنّة المطهّرة: ومن أمثلة الترغيب المادي الدنيوي والأخروي في السنة ما يلي:

1/ قوله عليه الصلاة والسلام: "يا عبد الله بن قيس، أو يا أبا موسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قال: بلى. قال: "لا حول ولا قوة إلاّ بالله"[7].

---

[1] – سورة البقرة الآية 130.
[2] – سورة مريم الآية 46.
[3] – سورة الانشراح الآية 7، 8.
[4] – ينظر أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص 111، وما بعدها.
[5] – سورة النحل الآية 97.
[6] – سورة الواقعة الآية 27-34.
[7] – أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم 3883، ج8، ص 156، ص 157.

2/ و قوله صلى الله عليه و سلم:" إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها و سيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها."[1]

[2]- **الترغيب المعنوي:**

هو تلك الأهداف التي تستخدم الوسائل المادية و المحسوسة وسيلة للوصول إليها كالسعادة والراحة، و محبة الآخرين و كسب ثقتهم، و هي لدى المؤمنين غايات نبيلة، سامية تتجلى في رؤية الله يوم القيامة و مرافقة النبي صلى الله عليه و سلم في الجنة، و إليك أمثلة على الترغيب المعنوي الدنيوي و الأخروي:

1- **القرآن:** قال تعالى:(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥).[2]

و قوله تعالى:(۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ .....)[3].

2- السنة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: قال: الله عزّ وجلّ:" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر"، و قرأوا إن شئتم: (فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧)"[4][5].

2/ أسلوب الترهيب:

---

[1] - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها،رقم 3710 ، دار الجيل جبل بيروت، 1412هـ - 1992م، (ب.ت.ط) مج4، ص262.

[2] - سورة النور، 55.

[3] - سورة يونس، 26.

[4] - السجدة،17.

[5] - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم 3005،ج 9، ص184 – 185،.

أ- تعريف الترهيب: جاء في لسان العرب و أما الترهيب فهو:" من رَهِبَ – بالكسر – يَرهَبُ رَهبَةً، و رَهُبًا – بالضم –

و رَهَباً بالتحريك أي: خَافَ، و رَهبَ الشيء رَهبًا و رُهبَةً خَافَهُ..."[1]

و جاء في المصباح المنير:" رَهَبَ: رَهَبًا مِنْ باب نعت خاف و الإسم الرَّهْبُ فهو راهب من الله والله مَرْهُوبْ، و الأصل مَرْهُوبْ عقابه"[2]، و جاء في كتاب العين:" رَهَبَتْ الشيء أرْهَبَهُ رَهَبًا ورُهْبَة أي خفته".[3]

ب- أقسام الترهيب: وهذا القسم على نوعين[4]: لا يختلف الترهيب عن صنوه، الترغيب من حيث أنّه يشمل: الترهيب المادي و الترهيب المعنوي، و إليك أمثلة النوع الأول:

1- الترهيب المادي: و من أمثلة الترهيب المادي الدنيوي في الكتاب الكريم مايلي:

قوله تعالى:(ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢)[5]. و قوله تعالى:(وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨)[6].

- و من أمثلة الترهيب المادي والأخروي:

ما ذكرته سورة الواقعة من حال أصحاب الشمال و ما أعد لهم من عذاب قال تعالى:(وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ٤٦)[7].

و من أمثلة الترهيب المادي المعنوي في الدنيا و الآخرة:

---

[1] - لسان العرب ، مادة (رهب) ج1، ص436.
[2] - المصباح المنير، ج1، ص 241.
[3] - كتاب العين، ص 1.
[4] - أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص119 وما بعدها.
[5] - سورة النور، الآية2.
6 - سورة المائدة، الآية 38.
7 - سورة الواقعة، الآية 41 – 46.

قوله تعالى:(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾)[1].

- أمثلة الترهيب المادي المعنوي:

قصة ما عز الغامدية في حد الزنا، و حد القذف و السكر و الردة.كقوله صلى الله عليه و سلم:" من
بدل دينه فاقتلوه"[2]، هذا في إقامة حد الردّة، أما حد شرب الخمر فقد جاء عن عليّ رضي الله عنه لما جلد الوليد بن عقبة أربعين، ثم قال:" جلد رسول الله صلى الله عليه و سلم أربعين و أبو بكر أربعين، و عمر ثمانين و كل سنة و هذا أحب إليّ"[3].

2- الترهيب المعنوي:

و من أمثلة الترهيب المعنوي في الدنيا و الآخرة:

أ/ في القرآن الكريم:

1/ قوله تعالى:(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾).[4]

فهذه الآية فيها وعيد لمن خالف أوامر ربه، وما أنزل على الرسل فأعرض عنه وتناساه ، فلا طمأنينة له في الدنيا ولا انشراح إضافة إلى أنه يحشر في جهنم أعمى البصر والبصيرة.[5]

2/ و قوله تعالى:(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾)[6]. ففي الآية

1 - سورة النساء، الآية 93.
2 - أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم 2794، ج9، ص26.
3 - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود ، باب حد الخمر، رقم 3219، ج11، ص 179 – 182.
4- سورة طه، الآية 124.
5 - تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 202، 203.
6 - سورة البقرة، الآية 114.

وعيد للمشركين الذين منعوا يوم الحديبية دخول الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى مكة.[1] فاستحقوا بذلك الخزي في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة و بئس المصير.

ب/ في السنة:

1- عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:" الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله و ماله"[2].

2- و عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله و من قطعني قطعه الله"[3].

وهكذا نجد أنّ كتاب الله عندما يذكر صفات السطوة و الانتقام إلاّ و يذكر الإنسان بجانبها بصفات الرحمة و الغفران، و ما يذكر و عيد أهل النار و إلاّ و يذكر في مقابله ما وعد به أهل الجنة، وهذا لأجل أن يحافظ الأمر على توازنه، فلا يميل إلى الانحلال و لا إلى التشدد بل بهذا الأسلوب القرآني الرائع يبقى هذا الإنسان و سطا بينهما، يقول الشاطبي:" و هذا عن الجملة، فإن غلب عليه طرف الانحلال و مخالفة فجانب الخوف أقرب و إن غلب عليه طرف التجديد والاحتياط فجانب الرجاء إليه أقرب..."[4].

د/أسلوب القصص:

تمثل القصة بصفة عامة و القصة التاريخية على الخصوص من الأساليب التربوية المشوقة في العملية التعليمية، فالدرس و العبرة يمكن أن تأخذ طريقها للمتعلم بطريقة سهلة ومباشرة عن طريق استرداد القصص، المناسبة و التي تكون لها الوقع النافذ في أذهان وقلوب المتلقي لها والقرآن الكريم نجده قد استخدم في كثير من صوره قصصا، هذه القصص التاريخية الواقعية الحسنة و التي عاشتها أقوام سبقت الوحي..

و قد ذكره السيوطي من بين العلوم التي استنبطت من القرآن الكريم حيث قال:" و تلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة و الأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا و أول الأشياء و سموا ذلك بالتاريخ و القصص..."[5].

---

1 - ينظر تفسير القرآن العظيم ص181.
2 - صحيح المسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، رقم 991، ج5، ص 106.
3 - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم 4635، ج16، ص 92.
4 - الموافقات في أصول الشريعة، ج3، ص 273.
5 - الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 273.

1- مفهوم القصص:

لغة: جاء في كتاب المصباح المنير للفيومي أنّ القصص من:" قَصَصْتُهْ (قَصًا)، من باب قتل قطعته و (قَصَيْتُهْ)، بالتثقيل مبالغة و الأصل (قَصَصْتُهْ) فاجتمع ثلاثة أمثال فأبدل من إحداها ياءا للتخفيف و قيل (قَصَيْتُ)، الظفر و نحوه و هو القلم، و(قَصَصْتُ)، الخبر (قَصًا)، من باب قتل أيضا، حدثت به على وجهه و الإسم (القِصَصْ)"[1].

و في الاصطلاح عرّفه الدكتور عشراتي:" القصّ فعل إنساني تعبيري يمسح حدثا واقعيا أو متخيلا، يجسم من خلاله و بواسطة القول (الملفوظ أو المكتوب)، عيّنة لواقعة من وقائع الحياة بأسلوب تصريحي أو تلميحي (رمزي)، بفنية بسيطة خطية في محيط واقعي، أو بطرح تجنيحي يخرج عن منطق العليّة و يتمسرح في جدلية مكانية زمنية أسطورية"[2].

2- أغراض القصة القرآنية:

القصص القرآني لم يكن سردا تاريخيا فقط، و إنّما جاء سبكه و عظا و إرشادا و تبشيرا وإنذارا، ثم هو في سياق إيراد القصص عبر للتذكير و التنديد، و التسلية و التطمين و الموعظة وحكاية مواقف الكفّار، و عنادهم و حجاجهم، و يمكن تحديد أغراض القصة في مايلي:

أ/ إثبات الوحي و الرسالة، فمن المعروف أنّ النبي صلى الله عليه و سلم لم يكن كاتبا و لا مؤرخا و قارئا، فجاءت هاته القصص في القرآن تعالج قصص الأنبياء و المرسلين بدقّة وإسهاب.

ب/ بيان أنّ الدين كله موحد من عند الله من عهد نوح إلى عهد محمد عليهما الصلاة و السلام والله واحد ربّ الجميع.

ج/ أنّ الدين كلّه موحد فضلا على أنّه كلّه من عند إله واحد: وتبعا لهذا كانت القصص ترد مجتمعة كذلك.

د/ أنّ وسائل الأنبياء في دعوة موحدة، و أنّ استقبال قومهم لهم متشابه، و تبعا لهذا كانت ترد قصص لكثير من الأنبياء مجتمعة أيضا، مكررة فيها طريقة الدعوة، على نحو ما جاء في سورة هود.

هـ/ بيان الأصل المشترك بين دين محمد و دين إبراهيم بصفة خاصة،ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة، و إبراز هذا الإتصال أشدّ من الإتصال العام بين جميع الأديان، و تكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم و موسى و عيسى.

---

1 - المصباح المنير، ج2، ص 505.

2 - الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 65.

ر/ بيان أنّ الله ينصر أنبياءه في النهاية و يهلك المكذبين.

ز/ و من أغراضها كذلك الإيمان بالتبشير و التحذير أي الوعد و الوعيد.

س/ بيان نعمة الله على أنبياءه و رسله و أصفياءه.

ك/ تحذير بني آدم من غواية الشيطان لهم و بيان عداوته لهم، إلى يوم القيامة[1].

3- المنهج القصصي في القرآن الكريم:

لقد بيّن الدكتور رمضان البوطي المنهج الدقيق الذي يرتكز عليه القصص القرآني، حيث قال: "للقرآن منهج دقيق في ذلك يمكن أن يلخص في مايلي:

أولا: لا يسوق القرآن من القصة إلا ما يتعلق بالغرض الذي سيقت القصة من أجله، كي تظل الصلة متينة بينهما و بين المناسبة الداعية إلى ذكرها، بحيث تبعث القصة فيها الأهمية وتمدها بالحركة و الحياة من أجل هذا لا تكاد تجد القرآن يسرد حوادث القصة سردا تاريخيا، تبعا لسلسلة الوقائع و الأحداث إذ من أنّ ذلك أن تبتعد القصة بالقارئ عن المناسبة و الغرض الأصلي الذين ذكرت بصدديهما.

ثانيا: إقحام النصائح و العضات في ثنايا القصة: و يهدف المنهج التربوي من ذلك إلى أن لا يندمج القارئ مع القصة، و ينصرف إليها بكل تفكيره، فيطول به العهد و ينسى المساق الأصلي للقصة، و تلك هي آفة الاستعانة بالقصة في التربية و التهذيب..."[2]

كما أنّ المنهج القصصي في القرآن الكريم يضفي عليه خاصية أخرى تتمثل في فكر التصوير الفني ذي الألوان المتلفة، و هذا عليه رأي السيد قطب فقد قال:" إنّ هذا التصوير في مشاهد القصة ألوان: لون يبدو في قوة العرض و الإحياء، و لون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، و لون يبدو في رسم الشخصيات، و ليست هذه الألوان منفصلة، و لكن أحدها يبرز في بعض المواقف ويظهر على اللونين الآخرين، فيسمى باسمه، أمّا الحق فإنّ هذه اللمسات الفنية كلّها تبدوا في مشاهد القصص جميعا"[3].

هذا المنهج المستعمل في الدعوة يستمد قواعده من ضرورة و حقيقة ارتباط الإنسان بتاريخه الطويل، قال تعالى:(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن

1 - ينظر التصوير الفني في القرآن الكريم، من صفحة 145 – 154.

2 - د. رمضان البوطي، منهج تربوي فريد، دار الشهاب للطباعة و النشر، باتنة، الجزائر، ص 51 – 52، (ب.ت.ط).

3 - التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص 190.

كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾)[1]، و قال تعالى:(كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾)[2].

4- هدف القصة القرآنية التربوي و الاعتباري:

لقد استهدف القرآن الكريم في حديثه عن قصص الأمم السالفة و رجالها من أنبياء ومصلحين وجبابرة و مفسدين و في ذلك كله إتعاض و اعتبار و تذكير بالضوابط الأخلاقية والاجتماعية، قال سليمان عشراتي في هذا المجال:" و لما كانت القصة القرآنية معطى تربوي، تحسيسي، جاهز مرنا لها قبلية الحضور، أو الاستدعاء في كلّ حين، و قابلية التبلور على العديد من الصور، و السياقات، كانت تخريجاتها السياقية القرآنية تتنوع بتنوع المواقف و المسافات فهي قد تأتي مفصلة أو مختزلة، مسترسلة، أو موقعة، مشهدية، أو روائية مفردة أو مدرجة ضمن سلسلة قصصية مسوقة لاستعراض أحداث رسل، و مصائر غابرة،أو مؤجلة لغاية اعتبارية، تنسجم مع أدبية التبليغ القرآن"[3].

والمنهج القرآني بعمومه و شموله لجميع الأساليب يقوم على أسس تربوية نابعة عن تربية الله لعباده و توجيههم إلى صراطهم المستقيم، قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ....)[4].

قال محمد الغزالي:" و قد قصّ القرآن الكريم علينا أهم أحداث الماضين، و سواء كانت القصص مفردة أو مكررة، فهي في السياق القرآني أداة تربوية، و مصدر توجيه و وعظ، يدعم الفرد والجماعة"[5]، و قال في موضع قال:" و التربية الصحيحة تقوم على وعي عام بغايات الوجود، ثم على وعي مفصل بمعالم الكمال التي أسهب الدين في شرحها، و استفاضت أنباؤها في الكتاب والسنة..."[6].

إلاّ أنّ هذا المنهج التربوي يقوم على أسس كما ذكرنا آنفا، ذكرها الدكتور البوطي قال:" إنّ الأسس التربوية التي يقوم عليها المنهج القرآني لا يتجاوز الأسس التالية:

1 - سورة يوسف، الآية 3.
2 - سورة طه، الآية 99.
3- الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 69.
4- سورة الإسراء، الآية 09.
5 - محمد الغزالي ، المحاور الخمسة في القرآن الكريم، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، ص 108.
6 - المرجع نفسه، ص 194.

1 – المحاكمة العقلية.

2 – العبرة و التاريخ.

3 – الإثارة الوجدانية.

وجميع ما قد تراه في القرآن الكريم من الأساليب التربوية – على اختلافها – إنّما ينبثق عن واحد من هذه الأسس الثلاثة و يدور على محوره، و يسر وفق مقتضياته".[1]

و**الخلاصة** أنّ العملية الإقناعية بأساليبها المختلفة تعد وسيلة ناجحة في التعامل مع الآخرين خاصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ممّا يستلزم الحرص الشديد على إتقان هاته الأساليب بطريقة صحيحة مبنية على المنهج الذي رسمّه كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم حتى لا يزيغ مستعملها و يقع في الخطأ هذا من جهة، و من جهة أخرى أنّه يحرص على دراسة أحوال ونفسيات الأشخاص المدعويين، و ظروف حياتهم، ومستوى ثقافتهم، و طاقة استيعابهم، حتى ينجح في دخول الناس إلى الإسلام أفواجا.

1 - منهج تربوي فريد، ص19.

لقد كان البحث في دلالة الألفاظ من أهم ما لفت أنظار الباحثين واللغويين العرب،وأثار اهتمامهم في المراحل المبكرة ،غير أن بحثهم في الدلالة كان على نحو متداخل في العلوم الدينية كعلم التفسير والقراءات، وغريب القرآن، وغريب الحديث ،ولغات القرآن، والوجوه والنظائر وغيرها من العلوم الدينية ،اوكان ضمن اهتمامات لغوية أخرى،صنيعهم في معاجم المعاني، ومعاجم الألفاظ،فكان بحثهم في معاني المفردات والتراكيب ودلالاتها وسيلة لا غاية، ولذلك لم يكن لعلم الدلالة استقلاله الخاص بالتسمية والمصطلح والمفهوم، والمعيار والمؤلفات والباحثين[1] وعلى الرغم من دلك مازال البحث مستمرا في هدا العلم و لم تستقر بعد أصوله، ومناهجه، لتعدد الآراء حوله،واختلاف الباحثين في مضمونه وموضوعه،و علم الدلالة أو دراسة المعنى موضوع أساسي من موضوعات علم اللغة،ويبقى البحث اللغوي من خلال المختصين فيه يسعى إلى الولوج في ماهية المعنى لحل ألغازه واستحضار مفهومه الذي يعتبر من المنظور اللغوي وسيلة إنتاج الكلام من خلال الأصوات،وعلم الصرف، ومرورا بالدراسة التركيبية للكلمة أو الجملة وفهم السياق دون التخلي عن الإمداد الاصطلاحي والمعجمي لايشك أحد في أن من أهم ما يميز الدلالة هو اهتمامها بتدليل الظواهر،وتحليل مستوياتها المتعددة في محاولة لإيراد الروابط المتحكمة بها،وهدا ما يجعل من الدلالة طريقا ليس سهل الولوج "لكونها إدراكا يدور حول نفسه"[2] ولكن على الرغم من ذلك كله،فإن بذور الدراسات الدلالية تناثرت في تراثنا العربي الإسلامي بكثرة،كما أن أفكار علم الدلالة قد أشير إليها في طوايا البحث اللغوي عند العرب المسلمين في مرحلة مبكرة إبان قيام الحركة العلمية الناشطة حول القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب المثالية،فارتبطت به ارتباطا وثيقا،ولما كان القرآن كتاب العرب المسلمين الأول الذي يفصل لهم أمور دينهم ودنياهم، تعين عليهم قرآته وفهمه،وحين عرضوا لذلك استوقفهم بعض الألفاظ الغامضة،فمست الحاجة إلى تفسيره تفسيرا يزيل غامضه.

فكثرت الحاجة إلى معرفة المفردات ومعانيها، فزادت عناية العلماء بها تلبية لتلك الحاجة، فالتفوا إلى أثارهم الأدبية التي تحمل في طياتها ألفاظ العربية، وتراكيبها وطرائقها في التعبير بعدما جمعوها، وراحوا يستنبطون منها ما يحتاجون إليه في فهم كتابهم العزيز، وهكذا قامت حلقات العلم التي غرست في تربتها بذور الدرس اللغوي [3] .ويجد الناظر في

---

[1] - د. فايز الداية ، علم الدلالة العربي ، دار الفكر دمشق 1985 ص21-22.
[2] - مازن الوعر، دارسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، ط1 ، سنة 1989 م، ص 154 .
[3] - سعد محمد الكردي، علم الدلالة و تراثنا العربي، ، مجلة الفيصل عدد 274 سنة 1999 ص 60.

الجهود الدلالية لعلماءنا أنّهم قدموا تعريفا لهدا العلم وبيّنوا مضمونه ،وموضوعه،وعدّدوا أنواع الدلالات للكلمة، وتحدّثوا عن الوحدات الدلالية وعن أقسامها الأساسية وأنواع المعنى،يقول إبراهيم السمرّائي "اهتم الأقدمون بمسألة اللفظ والمعنى وتضافر على هدا الموضوع جهات كثيرة من المعينين بعلوم شتّى، وبهذا اختلف نظرهم في هده المسألة و مردّ دلك أنّ كلّ طائفة من هؤلاء تنظر إلى المسألة نظرا خاصا يميله عليها الاختصاص العلمي"[1].

وقبل خوض غمار الأثر الدلالي في الحوار القرآني كنماذج تطبيقية لابد أنّ نوطئ لمفهوم الدلالة في المعجم والاصطلاح العربي.

المبحث الأول: مفهوم الدلالة واتجاهاتها:

1- مفهوم الدلالة:

أورد فيروز آبادى لفظة "دلّ" في قاموسه و التي تعني في منظوره التسديد يقول:"...الدالة ما تدل به على حميمك ، و دله عليه دلالة ، و دلولة فاندل : سدده إليه و قد دلت تدل و الدال كالهدي" [2] و أورد ابن المنظور في معجمه لسان العرب لفظة دلل و قال:" الدليل ما يستدل به والدليل الدال، و قد دله على الطريق يدله دلالة (بفتح الدال أو كسرها أو ضمها...) وأنشد أبو عبيد " إني امرئ بالطرق ذو الدلالات" و الدليلُ و الدليل الذي يدلك"[3].

وأعقب كلامه بقول سيبويه و قول علي كرم الله وجهه اللذين تضمنا مادة دل "(قال سيبويه: و الدليل علمه بالدلالة و رسوخه فيها)، و حديث (عليّ كرم الله وجهه :" و يخرجون من عنده أدلة)، أي الصحابة و هو جمع دليل أي بما قد علموا فيدلون عليه الناس، يعني يخرجون من عنده فقهاء فجعلوا أنفسهم أدلة"[4] و أكد الزبيدي في معجمه ما ذهب إليه ابن منظور و فيروز آبادي بقوله :" و امرأة ذات دل أي شكل تدل به"[5]، و ينقل عن الأزهري في كتابه " التهذيب"، قوله:" دللت بهذا الطريق دلالة عرفته، دللت به أدل دلالة، ثم إنّ المراد بالتسديد إرادة الطريق دل عليه و دلولة، فإن دل على الطريق سدد إليه، أنشد ابن الأعرابي :

" مَا لَكَ يَا أعورَ لاَ تَندَلِ * وَ كَيفَ يَندَلِ امرُؤُ وَعُثُولُ"[6]

والدلالة في اصطلاح أهل الميزان و الأصول والعربية والمناظرة "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر...و الشيء الأول يسمى دالا و الشيء الآخر يسمى مدلولا"[1].

---

[1] - إبراهيم السمرائي، التطور اللغوي ، دار الأندلس ط3 سنة 1983 بيروت ص41

[2] - فيروز آبادي ، قاموس المحيط، دار العلم بيروت (ب ت ط) ج3 ص377.

[3] - ابن منظور، ج2 ص 407.

[4] - المصدر نفسه ج2 ص 407-408

[5] - زبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة بيروت ج 7 ص 324-325.

[6] - المصدر نفسه،ج7، ص 325.

و خلاصة القول إن الدلالة لدى هؤلاء الدارسين تأتي على معان ، منها التسديد ، و تأتي تارة بمعنى الإرشاد على الطريق ، كما تأتي كذلك على سبيل العلم بالمعنى والتمكن فيه وكل هذه التعاريف تصب في قالب واحد و هو الكشف عن دلالة اللفظ.

2- الاتجاهات الدلالية:

لقد كان للدارسين العرب أثر في بروز اتجاهات دلالية ناتجة عن غلبة التخصص عليهم فظهر ذلك على مستوى أبحاثهم و كتاباتهم، فكان من يغلب عليه الطابع البلاغي و الآخر اللغوي أو الأصولي.

أ – **الاتجاه البلاغي:** لما كان لعلم البلاغة أثر في إيجاد المعنى و ترسيخه " واستبراء غايته وامتلاخ الشبهة منه و أخذ الوجوه و المذاهب عن النفس من أجزائه التي يتألف منها بعد أن تستوفي على جهتها في الكلام استيفاء يقابل ما يمكن أن تشعر به النفس من هذه الأجزاء، حتى لا تصدف عنه و لا تجد لها مذهبا و لا وجها غير القصد إليه فيكون من ذلك الإلزام البياني الذي توحيه طبيعة المعنى البليغ و كان حتما مقضيا" [2] .و رأينا أن نمثل لهذا الاتجاه ببعض أعلام الذين برزوا فيه و كانوا في طليعة الذين استحضروا الفكر الدلالي عند العرب القدامى مثل الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني.

الجاحظ: و لد 159هـ و توفي 255 هـ لقد تعرض الجاحظ لعلم الدلالة بالدراسة البيانية، و بين أنه هناك أشياء يدرك حكمها و عاقبتها و هناك ما لا يدرك ماهيته و عاقبته بسبب الدليل من جهة الإستدلال به و عدم الاستدلال به و في هذا يقول:" و وجدنا كون العالم بما فيه حكمة، ووجدنا الحكمة على ضربين: شيء جعل حكمة و هو لا يعقل الحكمة و لا عاقبة الحكمة و شيء جعل حكمة و هو يعقل الحكمة و عاقبة الحكمة فاستوى بذاك الشيء العاقل في جهة الدلالة على أنه حكمة و اختلف من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل و الآخر دليل يستدل فكل مستدل دليل وليس كل دليل مستدل فشارك كل حيوان سوى الانسان جميع الجماد فى الدلالة وفى عدم الاستدلال واجتمع الانسان أن كان دليلا مستدلا ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله ووجوه ما نتج له الاستدلال وسموا ذالك بيانا"[3] .نستنتج مما سبق إيماءة عارضة إلى الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي و المعبر عنها بالبيان الذي عرفه في كتابه الموسوم بالبيان والتبيين على أنه " اسم جامع على كل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك

---

[1] - التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، المكتبة الإسلامية خياط سنة 1966م بيروت ج2 ص486.
[2] - مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ أدب العرب، دار الكتاب العربي، سنة 2001 م، بيروت، ج2، ص 267.
[3] - الجاحظ، الحيوان، دار الكتاب العربي ط3 1388 هـ - 1966م بيروت ج1 ص 33.

الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان و من أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1].

كما ميز الجاحظ بين اللفظ و المعنى فقال" اعلم – حفظك الله – أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية و ممتدة إلى غير نهاية و أسماء المعاني مقصورة معدودة و محصلة محدودة"[2].

لقد أولى الجاحظ اهتماما بالغا بقضايا اللفظ، مما جعله صاحب موروث معرفي دلالي يرجع إليه في الجودة و التحصيل.

عبد القاهر الجرجاني: لقد ارتسم في ذهن عبد القاهر الجرجاني رؤى مختلفة كرفض الفصل بين اللفظ و المعنى لما بينهما من شدة التحام و بالتالي تبنى نظرية معاكسة تماما لاتجاه القديم سالكا مذهبا لغويا صار ينعت بنظرية النظم التي يبين فيها أن المزية في الكلام ترجع إلى المعنى يقول عبد القاهر:" لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن نعرف معناه و لا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظا ترتيبا و نظما و أنك تتوخى الترتيب في المعاني و تعمل الفكر هناك فإن تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ و قفوت بها آثارا ، و إنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني و تابعة لها و لاحقة بها"[3] ، فهو يرى أن الطريق التركيبية للألفاظ تعتبر آلية ضمنية لا يمكن إقصائها من الحقل الدلالي فهذه الروافض الدلالية المعرفية التي تبرز من خلال الرمز الدال وفق أنساق ذهنية متخصصة جعلت من الدلالة " إثارة اللفظ للمعنى الذهني أي إلى مدلوله المترابط بين اللفظ و المعنى في كل لغة و إن هذه الدلالة لا يمكن أن تكون مرادفة للمعاني، لأن اللفظ يثير في ذهن السامع صورة الشيء و مفهومه لا الشيء ذاته و يكون الانتقال إلى الأشياء الحسية عن طريق هاته الصورة الذهنية إلى المفاهيم القائمة في صدور الناس و أذهانهم و أن هذه المعاني المتكونة في أذهان الناس هي الجسر الموصل بين عالم الأسماء و عالم الأذهان"[4].

---

[1] - الجاحظ ، البيان و التبيين ، دار الجيل، بيروت، ج1 ، ص 76.
[2] - المصدر نفسه، ص 75.
[3] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، ص 44.
[4] - وليد محمد مراد، نظرية النظم و قيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر ، ط 1 سنة 1403 هـ - 1983 م، دمشق، ص 144

نستنتج أنّ الحقل الدلالي عند الجرجاني يرتكز على تعامل اللفظ و المعنى معا فلا يمكن تصور لفظ بدون معانى و لا العكس لأنّ هذا محال في اللغة على مبدأ التأثير و التأثر.

ب- الاتجاه اللغوي:

إنّ الكثير من المتوسمين باللغة من الدارسين العرب قد جودوا الكلام في جزء من جزئيات علم اللغة الحديث المتمثل في علم الدلالة بالتطرق إلى مضامينه التركيبية في شتى المجالات المعرفية و من أبرزهم ابن الجني في كتابه الخصائص فاستطرق في جملة منه إلى الألفاظ التي تعنى العرب بتصليحها و تهذيبها و ليست المهمة قاصرة على هذا الجانب بل خدمة منهم للمعاني و تنويه بها و تشريف منها [1] ، و مما ألفيناه في مصنفه هذا مما يتعلق بالدلالة بصفة عامة و بنظام الألفاظ بالمعاني بصفة خاصة ثمانية أمور:

1- تصوير اللفظ على هيئة المعنى و قد أشار إلى هذا الخليل و سيبويه، قال الخليل:" كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة و مدا فقالوا صر و توهموا في صوت البازي تقطيعا قالوا صر صر، و قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان إنها تأتي في الاضطراب والحركة نحو النقزان والغليان و الغثيان، فقالوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال"[2].

2- مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث كقولهم: "قضم في اليابس و خضم في الرطب، و ذلك لقوة القاف و ضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى و الصوت الأضعف للفعل الأضعف"[3].

3- بالإضافة إلى اختيار الحروف و تشبيه أصواتها بالأحداث المعبرة بها عنها أضافوا ترتيبها بتقديم ما يضاهي أول الحدث و تأثير ما يضاهي آخره و توسيط ما يضاهي أوسطه، سوقا منهم للحروف على سمة المعنى المقصود و الغرض المطلوب[4] ، كقولهم بحث فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض و الحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد و براثن الذئب و نحوها إذا غارت في الأرض و الثاء للنفث و البث للتراب و هذا أمر تراه محسوسا محصلا"[5].

---

[1] - عبد القادر الجرجاني ، نظرية النظم و قيمتها العلمية في الدراسات اللغوية ،ج2، ص 152.
[2] - المصدر نفسه ج1 ص 65.
[3] - ابن الجني، الخصائص، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص 65
[4] - المصدر نفسه ج2 ص 157.
[5] - المصدر نفسه ج2 ص 163.

4- تقارب حروف الألفاظ لتقارب المعاني كقولهم:" العسف و الأسف و العين أخت الهمزة كما أنّ الأسف يعسف النفس و ينال منها و الهمزة أقوى من العين كما أنّ أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف فقد ترى تصاقب اللفظين لتصقب المعنيين"[1].

5- تقارب حروف الألفاظ لتقارب المعاني في الموضع الواحد " استعملوا تركيب (ج ب ل) و (ج ب ن) و (ج ب ر) ، لتقاربها في موضع واحد و هو الالتئام و التماسك منه الجبل لشدته و قوته و جبن إذا استمسك و توقف و تجمع و منه جبرت العظم أو نحوه أي قوّيته"[2].

6- الزيادة في اللفظ تحيل إلى الزيادة في المعنى " و من ذلك قولهم رجل جميل و وضيء فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا وضاء و جمّال فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه"، قال الشاعر: و المرء يلحقه بفتيان الندى * خلق الكريم و ليس بالوضّاء"[3].

7- وقوع المقاربة في الأصل الواحد بالحرفين في المضارعة نحو قولهم " جلف و جرم و هذا للقشر و هذا للقطع و هما متقاربان معنا، متقاربان لفظا لأن ذلك من (ج ل ف) و هذا من (ج ر م) و قالوا :" صال يصول " كما قالوا:" سار يسور"[4].

8- وقوع المقاربة بالأصول الثلاثة الفاء العين و اللام، في المضارعة قالوا:" الغدر"، كما قالوا:" الختل"، والمعنيان متقاربان واللفظان متراسلان فذاك من (غ د ر) وهذا من (خ ت ل) فالغين أخت الخاء و الدال أخت التاء و الراء أخت اللام "[5]، فكلام ابن الجني يوحي إلى العلاقة الترابطية بين اللفظ و المعنى و الصوت إذ لا يمكن أن ينفك أحدها عن الآخر و هذا ما يميز المستوى في العلاقة الوطيدة بين علم الأصوات و علم الدلالة.

ج- الاتجاه الأصولي:

لقد اهتم علماء أصول الفقه بالدلالة مثلما اهتم بها غيرهم من البلاغيين و اللغويين إذ صارت شغلهم الشاغل كونها أداة لفهم النصوص الشرعية و استنباط الأحكام الشرعية منها التي لولا اهتمامهم بها و تخصيص أبواب لها في كتب أصول الفقه لعاش المسلمون في تخبط و عدم وضوح رؤية و لما أمكنهم معرفة كثير من الأمور الضرورية اللازمة لتطبيق الفرائض وإقامتها و من الذين اهتموا بموضوع الدلالة وعلاقتها بالألفاظ ابن القيم الجوزية على مستوى النص الديني في كتابه الموسوم ببدائع الفوائد حيث جمع فيه بين الطابع اللغوي و الأصولي

---

[1] - المصدر السابق، ج2 ص 149.
[2] - المصدر نفسه، ج3 ص 264-266.
[3] - الخصائص ج2 ص 149.
[4] - المصدر نفسه ج2 ص 149.
[5] - المصدر نفسه ج2 ص150.

مما يدل على اهتمام علماء أصول الفقه بمثل هذه التخصصات في مجال الحقل المعرفي، بارتكاز على صياغة ممنهجة ذات طابع إقناعي في الاستدلال التي جاءت معرفة في كتبه تدرس الحيثيات الدلالية التي أشار إليها وهي دلالة الاسم على المسمى،ودلالة السياق،وأخيرا دلالة التقديم والتأخير.

1- دلالة الاسم على المسمى: يشير ابن القيم الجوزية إلى التمثيل البياني لإيضاح الفكرة جاعلا من اللفظ المؤلف دالا على اللفظ الذي يدل بدوره على مسماه و في هذا الشأن يقول ابن القيم:" اللفظ المؤلف من الزاي و الياء و الدال مثلا له حقيقة متميزة متحصلة، فاستحق أن يوضع له لفظ يدل عليه لأنه شيء موجود في اللسان المسموع بالآذان، فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين و الميم عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي و الياء و الدال مثلا، و اللفظ المؤلف من الزاي و الياء و الدال عبارة عن الشخص الموجود في الأعيان و الأذهان، " المسمى " والمعنى واللفظ الدال عليه والذي هو الزاي والياء والدال هو الاسم و هذا اللفظ أيضا قد صار مسمى من حيث كان لفظ همزة، و السين و الميم عبارة عنه، فقد بان لك أنّ الاسم في أصل الوضع ليس هو المسمى"[1].

فالعلاقة بين الاسم و المسمى علاقة قصدية كما أشار إلى ذلك ابن تيمية بقوله :" دلالة الاسم على مسماه دلالة قصدية، فإنّ المسمى يسمى بالاسم ليعرف به المسمى و ليدل عليه تارة يقصد به الدلالة على مجرد نفسه كأسماء الأعلام للأشخاص و تارة يقصد به الدلالة على ما في اللفظ من المعنى كالأسماء المشتقة مثل العالم و الحي و القادر"[2].

2- دلالة السياق:

هذا النوع من الدلالة شيء قديم في التراث العربي، فلقد أشار إليه علماء الإسلام من الأصوليين و أهل التفسير و الفقه منهم ابن القيم الجوزية حيث يقول السياق يرشد إلى تبيين المجمل والتعيين المحتمل و القطع بعدم احتمال غير مراد و تخصيص العام و تقييد المطلق وتنوع الدلالة، و هذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره

[1] - ابن القيم الجوزية ، بدائع الفوائد دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت 1414 هـ - 1994م ، ج1 ، ص 14.
[2] - النبوات، ص 303.

وغالط في مناظرته فالنظر إلى قوله تعالى :(ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾)[1]، كيف تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحقير"[2].

3- دلالة التقديم و التأخير: إن ما يميز التقديم و التأخير عند الأصوليين شيئان:

1- أنه عبارة عن إيماءات عارضة لما تتبلور أو تتجسد كمبدأ مثل غيرها من المبادئ الأخرى كالعام و الخاص رغم أهميته و اختلاف الناس في إدراك بعده الدلالي.

2- أنه شيء يحيل إلى دلالة خاصة كتبيين اختلاف يدرك فهماً، وفق خلفية معرفية سابقة، ومثال ذلك أنّ الأمر المطلق و الجرح المطلق و العلم المطلق و الترتيب المطلق والبيع المطلق والملك والفرق بينهما من وجوه:[3]

والماء المطلق و الملك المطلق، غير مطلق الأمر و الجرح و العلم و الترتيب والبيع والماء.

- أحدهما أنّ الأمر لا ينقسم إلى أمر ندب و غيره فلا يكون موردا للتقسيم ومطلق الأمر ينقسم إلى أمر إيجاب و أمر ندب، و مطلق الأمر ينقسم و الأمر المطلق غير منقسم.

- الثاني: أن الأمر المطلق فرد من أفراد مطلق الأمر و لا ينعكس.

- الثالث: إنّ نفي مطلق الأمر يستلزم نفي الأمر المطلق دون العكس.

- الرابع: إنّ ثبوت مطلق الأمر لا يستلزم ثبوت الأمر المطلق دون العكس.

- الخامس: إنّ الأمر المطلق نوع لمطلق الأمر، و مطلق الأمر جنس لأمر المطلق.

- السادس: إنّ الأمر المطلق مقيد بالإطلاق لفظا مجرد عن التقييد معنى ، و مطلق الأمر مجرد عن التقييد لفظا مستعمل في المقيد و غيره معنى.

- السابع: إنّ الأمر المطلق لا يصلح للمقيد، و مطلق الأمر يصلح للمطلق و المقيد.

- الثامن: إنّ الأمر المطلق هو المقيد قيد الإطلاق، فهو متضمن للإطلاق و التقييد و مطلق الأمر غير مقيد و إن كان بعض أفراده مقيدا.

- التاسع: من بعض أمثلة هاته القاعدة: الإيمان المطلق و مطلق الإيمان، فالإيمان المطلق لا يطلق إلاّ على كامن الإيمان و مطلق الإيمان يطلق على الناقص و الكامل.

---

[1] - سورة الدخان الآية 49.
[2] - بدائع الفوائد ج4 ص 222.
[3] - بدائع الفوائد، ص 227-229.

- العاشر: إنّك إذا قلت الأمر المطلق فقد أدخلت اللام على الأمر و هي تفيد العموم و الشمول ثم وصفته بعد ذلك بالإطلاق بمعنى أنّه لم يقيد بقيد يوجب تخصيصه من شرط أو صفة أو غيرهما فهو عام في كل فرد من الأفراد التي هذا شأنها و أمّا مطلق الأمر فالإضافة فيه ليس للعموم بل للتمييز فهو قدر مشترك مطلق لا عام، فيصدق بفرد من أفراده و على هذا فمطلق البيع جائز والبيع المطلق ينقسم إلى جائز و غيره[1].

يجد الناظر في الأخير هذه الجهود الدلالية لهؤلاء العلماء اللذين قدموا تعريفا لهذا العلم وبينوا مضمونه و موضوعه و عددوا أنواع الدلالات للكلمة و تحدثوا عن الوحدات الدلالية وعن أقسامها الأساسية و أنواع المعنى من جهة العرض و الأسلوب و الإيجاز و هذا إن كان يدل على شيء فهو يدل على أصالة البحث الدلالي سواءا في الجانب البلاغي أو اللغوي أو الأصولي.

4- دلالة الاقتضاء:

هي "ما يكون شرطاً للمعنى المدلول عليه بالمطابقة "[2].

وعرفها الغزالي بأنها "الدلالة التي يدل عليها اللفظ و لا يكون منطوقاً بها ، و لكن تكون من ضرورة اللفظ من حيث لا يمكن كون المتكلم صادقاً إلا به –أعني اللفظ- أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعاً إلا به أو من حيث يمتنع ثبوتها عقلاً إلا به "[3] . و يعرفها بن حاجب بأنها "ما يتوقف عليه صدق الكلام أو صحته العقلية أو الشرعية"[4]. و عرفها الشنقيطي بقوله :"دلالة الاقتضاء هي أن يدل اللفظ دلالة التزام على محذوف لا يستقل الكلام دونه لتوقف صدقه عليه أو توقفه عليه عقلاً أو شرعاً "[5] إذن دلالة الاقتضاء هي دلالة اللفظ على معنى غير مذكور، ولكن لازم لذلك اللفظ ، كونه يتوقف صحة ذلك الكلام و صدقه عليه ، و لدلالة الاقتضاء من جانب النص الديني ثلاثة أقسام :

أ- المقتضي الذي يجب تقديره في الذهن لإثبات صدق المتكلم كقوله عليه الصلاة و السلام لذي اليدين لما قال له:" أقصرت الصلاة أم نسيت "كل ذلك لم يكن ..."[6] ، يعني في ظني ، لأن عند عدم تقدير هذا المدلول عليه بالإفتضاء لكان الكلام كذباً ، لعلة التسليم من الركعتين وهو عليه الصلاة و السلام يستحيل في حقه الكذب.

---

[1] - المصدر السابق ص 227-228-229.
[2] - فخر الدين الرازي، المحصول في علم أصول الفقه مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط1 سنة1981 ج1 ص319.
[3] - أبي حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ، دار الكتاب العلمية، بيروت، (ب.ت.ط). ج2، ص 186.
[4] - ابن الحاجب، مختصر المنتهى ، طبعة مكتبات الكليات الأزهرية، (ب ت ط) ج2 ص172.
[5] - الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ، دار المنارة، جدة، السعودية، ط3، طبع 1423.2002،ج1 ص99.
[6] - أخرجه البخاري، كتاب الآذان ، باب هل يأخذ الامام إذا شك بقول الناس، رقم 673، ج2، ص151.

ب- الثابت اقتضاء لتصور المنطوق به شرعاً: كالأمر بالصلاة فإنه يدل بالاقتضاء على الأمر بالطهارة، لأنها لا تصح شرعاً دونها.

ج- الثابت اقتضاء لتصور المنطوق به عقلاً: كقوله تعالى:(وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾)[1] ، فظاهر الآية سؤال القرية ، والقرية التي هي عبارة عن أبنية محسوسة لا تسأل ، فلا بد من تقدير لفظ يسلم به الكلام و يصح عقلاً ، و اللفظ المقدر هو كلمة (أهل) . و إليك الجدول الذي يبين أقسام دلالة الاقتضاء:

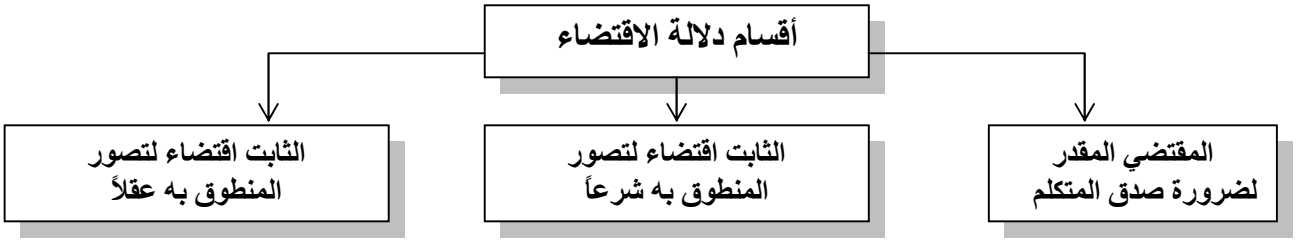

المبحث الثاني: دلالات اللفظ من حيث الصيغة و النظم:

لقد كانت من عادة اللسان العربي المرتبط بالفكر القائم على القصدية ، التوسع في الخطاب فقد يستعمل المتحدث كلام عام الظاهر و إما الخصوص كما أنه " قد يتكلم بشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة به"[2] و للاستجلاء بنية النظام الدلالي سنتحدث في هذا المبحث عن دلالات اللفظ من حيث الصيغة و المنظوم مكتفين بإيماءات على سبيل الاختصار وأما عن دلالات اللفظ من حيث الفحوى و المفهوم و الاقتضاء و الحقيقة والمجاز فهو موضوع البحث اللاحق.

1- مفهوم مصطلح العام:

العام من الصفات الألفاظ الحقيقية[3] بمعنى أنّ العرب وضعت للعموم صيغ تخصه، وأمّا فلا يوصف بذلك، بل يقال فيه أعم و أخص[4] و العام لغة اسم فاعل من عمّ أي شمل، يقال عم المطر و غيره عموما فهو عام[5] أمّا في الاصطلاح فقد ذكر له تعريفان الأوّل:

---

[1] - سورة يوسف الآية 82.
[2] - الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، دار النشر أنجاد (ب ت ط) ص 175.
[3] - أبي حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج2، ص 32.
[4] - بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية الكويت ط2 سنة 1992م ج3 ص14-15
[5] - قاموس المحيط، ج3، ص 316.

"العام هو اللفظ الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعدا"[1] مثل الرجال المشركين ونظائرهم، أي أنه شامل للأفراد و الأعداد وبذلك ينطلق من الصدق و النظرة الشمولية ويتخذ السمة الاسمية طابعا، وقد صرح بذلك الغزالي في مجمل حديثه عن لفظ الرجل الذي له في نظره "وجود في الأعيان وفي اللسان أمّا وجوده في الأعيان فلا عموم له فيه إذ ليس في الوجود رجل مطلق بل إمّا زيد وإما عمرو وليس يشملهما شيء واحد هو الرجولية، و أمّا وجوده في اللسان فلفظ الرجل قد وضع للدلالة ونسبته في الدلالة إلى زيد و عمرو واحدة يسمى عاما باعتبار نسبة الدلالة إلى المدلولات الكثيرة و أمّا ما في الأذهان من معنى الرجل فيسمى كليا من حيث أنّ العقل يأخذ من مشاهدة زيد حقيقية الإنسان و حقيقة الرجل"[2].

الثاني: العام هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له و هو تعريف جيد في نظر بعض الأصوليين المتأخرين إذا ما أضيفت إليه عبارة "بحسب و ضع واحد دفعة بلا حصر"[3].

2- الصيغ الدالة على العموم:[4]

1- أسماء الجموع المعرفة إذا لم تكن عهدا وهي ثلاث أنواع:

أ- ألفاظ الجموع كمسلمين و مشركين و رجال.

بـ-اسم الجنس و هو مالا واحد له من لفظه كالناس و الحيوان و الماء و الدرهم.

ج- اللفظ الواحد كالسارق و السارقة، و الزاني و الزانية و مثاله قوله تعالى:(إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾)[5].

2- أسماء الشرط:[6]

- من في من يعقل، كقوله تعالى:(... مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ....)[7].
- ما فيما لا يعقل كقوله تعالى:(مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ...)[8].
- أي في العاقل و غير العاقل أمّا العاقل فكقوله عليه الصلاة و السلام:" أيما امرأة أنكحت

---

[1] - المستصفى من علم الأصول ج2 ص 32.
[2] - المصدر نفسه ج2 ص 35.
[3] - محمد أمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر دار اليقين ط1 1419هـ - 1999م مصر ص 359.
[4] - المستصفى ج2 ص 35
[5] - سورة العصر الآية 2.
[6] - المستصفى ج2 ص 35-36.
[7] - سورة النساء الآية 123.
[8] - سورة فاطر الآية 2.

بغير إذن وليها فنكاحها باطل"[1].

- و في غير العاقل كقوله تعالى:(... أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ...)[2].

- أين في المكان كقوله تعالى :(... فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ...)[3].

- أيّان في الزمان نحو أيّان تسافر سافر.
- متى (أيّان) في الزمان و هي أشهر من أيام.

الثالث:

ما أضيف إلى معرفة كعبيد زيد، و من أمثلة قوله تعالى: (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ)[4].

رابعا: كل و جميع و سائر: و مثاله قوله تعالى :(وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾)[5]،

ومثال جميع مثل قوله تعالى:(وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾)[6]، ومثال سائر فقولك أخذت من الكتاب ورقة و تركت سائره فهي بهذا تقيد العموم.

خامسا:النكرة في سياق النفي و النهي و الشرط و الامتنان:

- مثال النكرة في سياق النفي قوله تعالى:(وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ)[7]،

- مثال النكرة في سياق النهي كقوله تعالى :(فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا)[8]،

---

[1] - رواه أبو داوود في سننه، كتاب النكاح، باب في الولي، رقم 1784، مج2، ص236.
[2] - سورة القصص الآية 28.
[3] - سورة البقرة الآية 115.
[4] - سورة إبراهيم الآية 34.
[5] - سورة مريم الآية 95.
[6] - سورة يس الآية 22.
[7] - سورة الأنعام الآية 101.
[8] - سورة الجن الآية 18.

- مثال النكرة في سياق الشرط نحو قوله تعالى :(وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ)[1].

- مثال النكرة في سياق الامتنان: نحو قوله تعالى: (...وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾)[2].

***مخطط بياني للصيغ الدالة على العموم:**

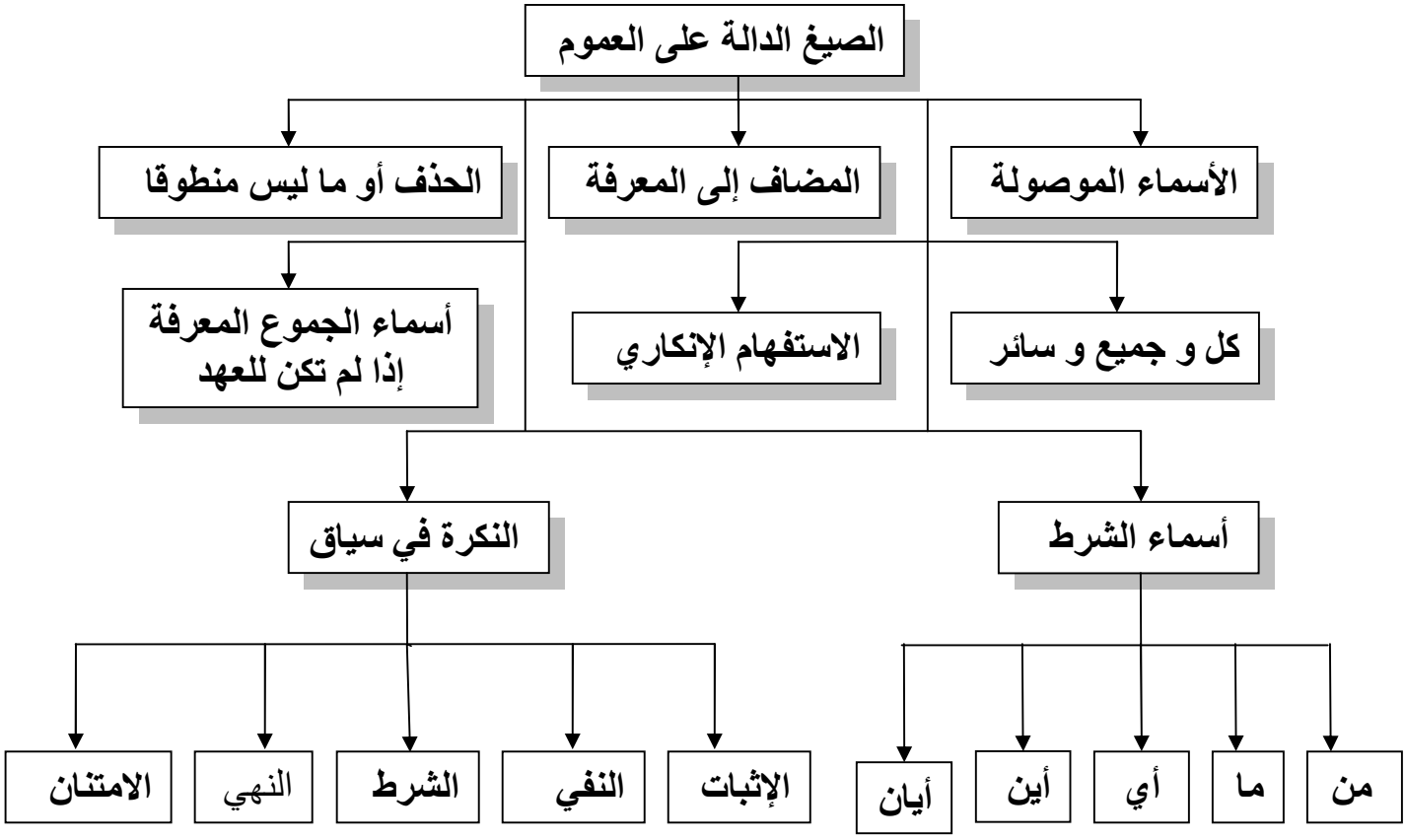

3- الدال الخاص:

الخاص من عوارض الألفاظ[3] و يراد به: لغة: غير الشامل تقول: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد[4] فهو بذاك يوجب الإنفراد و يقطع الشركة.، أمّا في الاصطلاح الأصولي فقد عرفه الأمدي باعتبارين:[5]

1- أنّ الخاص هو اللفظ الواحد الذي لا يصلح مدلوله لاشتراك كثيرين فيه كأسماء الأعلاممن زيد وعمرو ونحوه.

---

[1] - سورة التوبة الآية 06.
[2] - سورة الفرقان الآية 48.
[3] - المستصفى ج2 ص 32.
[4] - لسان العرب، ج2 ص 263.
[5] - الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ، المكتب الإسلامي، بيروت، طبع 1402. تعليق عبد الرزاق عفيفيج2 ص 197.

2- ما خصوصيته بالنسبة إلى ما هو أعم منه، و حدّه أنّه اللفظ الذي يقال على مدلوله وعلى غير مدلوله لفظ آخر من جهة واحدة، كلفظ الإنسان فإنّه خاص ،ويقال على مدلوله وعلى غيره كالفرس و الحمار لفظ الحيوان من جهة واحدة.

و أمّا الخاص باعتبار الدلالة فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- الدال بالجنس: هو كل لفظ وضع لمعنى واحد على الإنفراد، أريد به خصوص الجنس نحو إنسان خاص من بين سائر الأجناس.

ب- الدال بالنوع: هو كل لفظ وضع لمعنى واحد على الإنفراد أريد به خصوص بالنوع نحو رجل.

ج- الدال بالعين: كل لفظ وضع لمعنى واحد على الإنفراد أريد به خصوص العين نحو زيد عمروا.و يستند هذا التقسيم إلى الماصدق الذي هو كل ما ينطبق عليه المفهوم و تاليا هو الفرد أو مجموعة الأفراد، أو الجزئيات، التي يصدق عليها المفهوم (اللفظ) مثال:" ماصدق لفظ معدن هو: الفضة الذهب الحديد النحاس[1].

و المثال الخاص في القرآن الكريم قوله تعالى :(لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ...)[2]، فلفظ عشرة مساكين يراد بها عشرة بدون زيادة و لا نقصان فدلالتها إذ ذاك قطعية غير محتاجة إلى تأويل.

و الخاص باعتبار صيغته التي ورد بها، قد يجيء في كلام الشارع على صيغة الأمر بالفعل، وقد يأتي على صيغة النهي عنه كما يأتي تارة مطلقا عن القيود و تارة مقيدا بقيد إلى غير ذلك.

4- أقسام الدال الخاص من حيث الصيغة:

المطلق و المقيد: إنّ المطلق والمقيد من عوارض الألفاظ، وعلى هذا فإنّ مفهومها في المجال اللغوي و الأصولي كالآتي:

أ- المطلق: لغة: مأخوذ من مادة تدور على معنى التخلية و الإرسال[3] ، و في الاصطلاح: هو "المتناول لواحد لا يعنيه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه و هي النكرة في

---

[1] - مهدي فضل الله ، مدخل إلى علم المنطق ،دار الطليعة بيروت ط3 سنة 1985، ص63

[2] - سورة المائدة الآية 89.

[3] - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة دار الفكر، بيروت، طبع 1979. تحقيق عبد السلام عبد السلام هارون ج3 ص 420.

سياق الأمر و قد حدّه الآمدي بأنه اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه."[1] وعرفه صاحب المصفى بقوله : "المطلق أشبه شيء بالنكرة إذا لم يدخلها عموما ، فهو يدل على فرد أو أفراد بطريقة الشياع(الشيوع) فيما دل عليه بلا قيد مستقل"[2]

و مثاله قوله تعالى:(**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**)[3]، فلفظ رقبة قد يتناول فردا غير معين، أي أنه لا يستغرق جميع أفراده إلاّ على سبيل البدل لا على سبيل الشمول.

ب – المقيد: لغة: يأتي على سبيل الضمن والسر والضبط، جاء في لسان العرب:" والقيد ما ضم العضدتين المؤخرتين من أعلاهما من القدّ، والقيد: القد الذي يضم العرقوتين من القتب والعرب تكني عن المرأة بالقيد والغلّ... وربما جعل للسرج قيد كذلك، وكذلك كل شيء أسر بعضه إلى بعض.. وقيد العلم بالكتاب ضبطه؛ وكذلك قيّد الكتاب بالشكل: شكله وكلاهما على المثل... والمقيد من الشعر: خلاف المطلق"[4] ، وكذلك كل شيء أسر بعضه إلى بعض... وربما جعل للسرج كذلكما جعل فيه من بعير و نحوه[5]، و في الاصطلاح: عرفه صاحب تقريب الوصول إلى علم الأصول بقوله:" هو الذي دخله تعيين ولو من بعض الوجوه كالشرط والصفة وغير ذلك"[6] وعرفه الشنقيطي بقوله: "هو المتناول لمعين أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه"[7] ، كقوله تعالى:(**وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ**)[8]، قيد الرقبة بالإيمان و الصيام بالتتابع، وقد يكون القيد شرطا، كقوله تعالى :(**فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ**)[9]، و قد يكون غاية كقوله تعالى :(**ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ**)[10].

ج- حمل المطلق على المقيد:

إذا و رد لفظان أحدهما مطلق والآخر مقيد فيوجد أربعة حالات:

---

[1] - الإحكام في أصول الأحكام ، ج3 ص 3.
[2] - محمد بن علي الوزير، المصفّى في أصول الفقه، دار الفكر، دمشق، سنة2002، ص 644.
[3] - سورة النساء الآية 92.
[4] - لسان العرب، ج5، ص352.
[5] - مصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ص 521.
[6] - ابن جزي الكلبي الغرناطي، تقريب الوصول إلى علم الأصول، دار التراث الاسلامي – الجزائر تحقيق د. محمد علي فركوس ، ط1 / 1410 هـ/1990م، ص 83.
[7] - مذكرة أصول الفقه، ص 410.
[8] - سورة النساء الآية 92.
[9] - سورة المائدة الآية 89.
[10] - سورة البقرة الآية 187.

أ- إتحاد الحكم و السبب: ففي هذه الحالة يجب حمل المطلق على المقيد مثاله عليه الصلاة والسلام:" **لا نكاح إلاّ بوليّ**"[1]، مع " **لا نكاح إلاّ بولي مرشد**"[2]، فالأول مطلق في الولي، والثاني مقيد بالرشد، و هما متحدان بسبب و هو النكاح و حكما و هو نفي النكاح إلاّ بولي، فيحمل المطلق على المقيد في هذه الحالة[3] .

ب- إتحاد الحكم و اختلاف السبب: مثاله قوله تعالى :(**فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا**)[4]، وقوله عزّ و جلّ في كفارة القتل :(**فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ**)[5]، فلفظ الرقبة في الأول مطلق وفي وفي الثاني مقيد، و الحكم واحد و هو تحرير رقبة، و السبب مختلف ففي الأول ظهار و في الثانية قتل [6] .

ج- إتحاد السبب و اختلاف الحكم: ففي هذه الحالة لا يحمل المطلق على المقيد بل يعمل بالمطلق على أطلاقه، و بالمقيد على تقييده، سواء اتحد في السبب أو اختلفا فمثال هذه الحالة قوله تعالى:(**فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ**)[7] مع قوله تعالى :(**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ**)[8]، فلفظ أيد ورد مطلقا في التيمم و مقيدا إلى المرافق في الغسل فلا يحمل المطلق على المقيد هنا، لاختلاف الحكم و هو التيمم في الأولى و الغسل في الثانية و إن كان السبب واحدا و هو القيام إلى الصلاة[9].

د- اختلاف الحكم و السبب: مثال قوله تعالى : (**وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا**)[10] مع قوله عزّ و جلّ في آية الوضوء:(**وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ**)[1] فلفظ أيدي ورد مطلقا في آية

---

[1] - أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب النكاح، باب في الولي، رقم 2085، مج2، ص136.
[2] - أخرجه البيهقي في كتابه السنن الكبرى،باب لا نكاح إلا بولي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة،ط 1414هـ/1994م،ج7 ، ص124.
[3] - ينظر الشوكاني ، ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، دار الفكر للطباعة و النشر ص164 ، ص165.
[4] - سورة المجادلة الآية 03.
[5] - سورة النساء الآية 92.
[6] - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص 165
[7] - سورة المائدة الآية 06.
[8] - سورة المائدة الآية 06.
[9] - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ،ص 166
[10] - سورة المائدة الآية 38.

السرقة ومقيد في آية الوضوء فلا يحمل المطلق على المقيد لاختلاف الحكم لأنه في الأول قطع، و في الثانية غسل و السبب مختلف أيضا، فهو في الأولى سرقة و في الثانية قيام إلى

مخطط بياني لدلالات صيغ الأمر:

دلالات صيغة الأمر افعل								
الوجوب	الندب	الإرشاد	الإباحة	التأديب	الإذن	التعجيز	الاحتقار	الخبر
الامتناع	الإكرام	التهديد	التسخير	الإهانة	التعجب	التكذيب	المشاورة	الاعتبار
التسوية	الإنذار	الدعاء	التمني	التكوين	الإذن	التعجيز	الاحتقار	الخبر

الصلاة.

مخطط بياني لدلالات صيغ النهي:

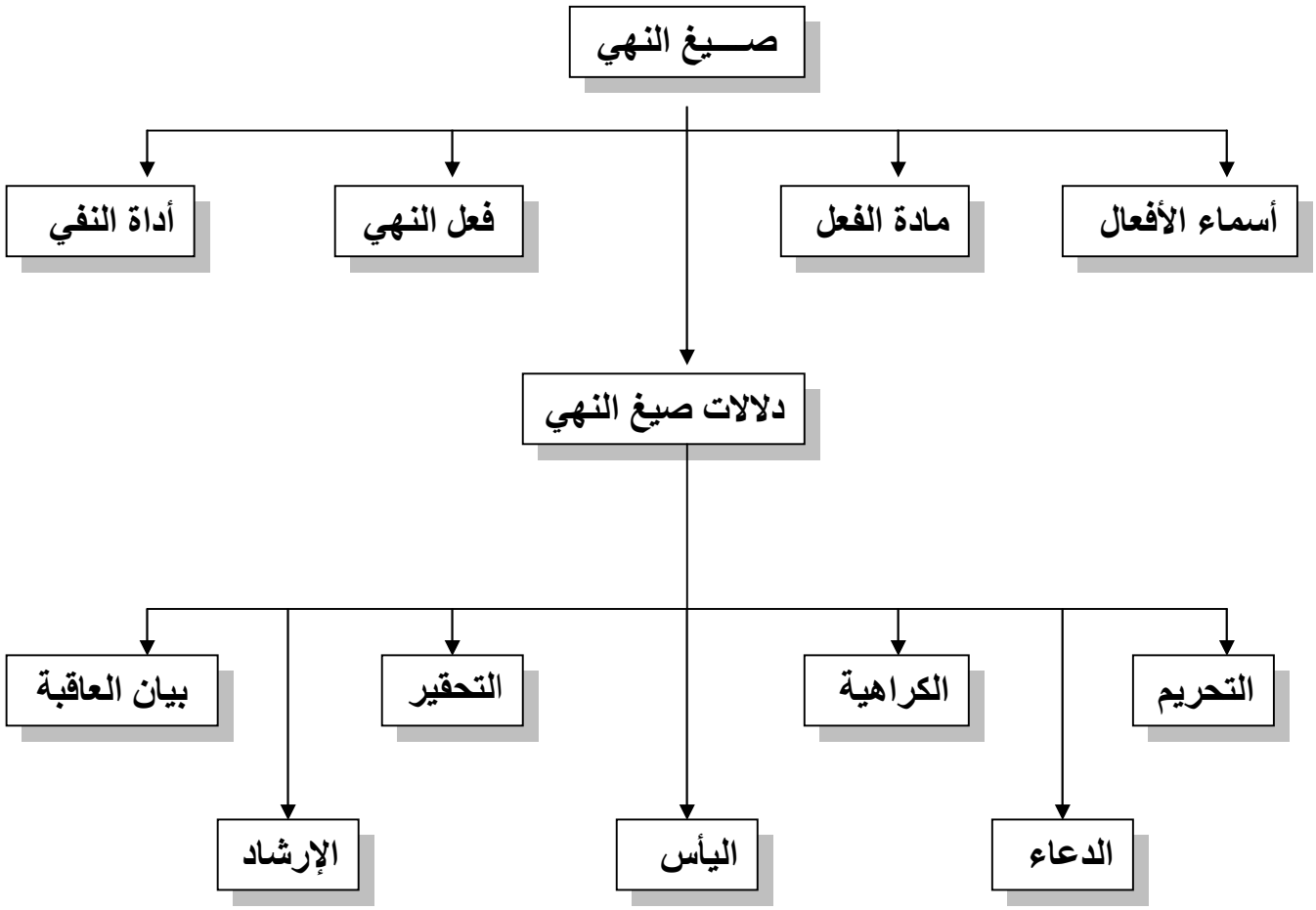

- من مباحث دلالة الألفاظ ، مبحث الأوامر و النواهي ، التي سنقتصر على التعريف بحدها ، وذكر بعض الصيغ الدالة عليها.

[1] - سورة المائدة الآية 06.

1- الأمر: عده جماعة بأنه: استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء ، فإن كان على عكس ذلك فهو دعاء و إن كان على التساوي فهو التماس، كما قال الأخضري في سلمه:

أمرٌ مَعَ استعلاَء وَ عَكسُهُ دَعَا * * * وَ في التَسَاوي فَالتمَاسٌ وَ قَعْ.[1]

واشتراط استعلاء الذي مشى عليه الأخضري هو قول الفخر الرازي و الأمدي و ابن الحاجب والباجي.[2]

والصيغ الدالة على الأمر أربع:

أ- المضارع المجزوم بلام الأمر كما في قوله تعالى: (**وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ**)[3] .

و قد تستعمل صيغ الأمر في معان عدة ، تصل إلى خمسة عشرة وجهاً [4] ذكرناها في الجدول الذي يبين دلالات صيغ الأمر افعل.

ب- اسم فعل أمر نحو: (**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ**)[5].

ج- المصدر النائب عن فعله نحو: (**فَضَرْبَ الرِّقَابِ**)[6] أي فاضربوا رقابهم.

د- فعل أمر: افعل نحو (**وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ**)[7].

2- النهي: لغة: المنع: يقال نهاه عن شيء، أي منعه عنه و منه سميّ العقل نهية، مفرد نهى، لأنه يمنع صاحبه من الوقوع فيما يخالف الصواب[8] و في الاصطلاح: فهو القول المقتضى ترك الفعل[9]. و دلالة النهي على الدوام هي دلالة التزام لا مطابقة للزوم الدوام بامتثال النهي فإذا قلت لغيرك :" لا تسافر فقد منعته من إدخال ماهية السفر في الوجود و لا يتحقق امتثال ذلك إلاّ بامتناعه من جميع أفراد السفر فكان لازما للانتفاء، ينتفى فانتفاءه الامتثال و كذا يدل على الفور و هذا ما لم يقيد بالمرة أو التراخي، فإن قيد بالمرة أو التراخي حمل عليهما "[10].

---

[1] - يراجع المستصفى في علم أصول الفقه ج1 ص 411.
[2] - الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه ص 335.
[3] - سورة البقرة الآية 282.
[4] - ينظر إرشاد الفحول ص97.
[5] - سورة المائدة الآية 105.
[6] - سورة محمد الآية 04.
[7] - سورة البقرة الآية 43.
[8] - مصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2 ص628 .
[9] - المستصفى ج1 ص 418.
[10] - نثر الورود مراقي السعود ج1 ص235.

و للنهي صيغ كثيرة منها:[1]

1- لا تفعل نحو قوله تعالى:(وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم)[2].

2- أسماء الأفعال:" كمه"، معناها لا تفعل و " صه " لا تتكلم.

3- مادة الفعل كقوله:(حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ)[3].

4- فعل النهي نحو:(۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ)[4].

5- أداة النفي نحو:(وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا)[5].

و كما بينا دلالات صيغ الأمر ، كذلك لصيغة النهي دلالات[6] و هي مبينة في الجدول.

المبحث الثالث: الدلالة بين الغموض و الوضوح.

إنّ المتتبع للنصوص المقروءة يجدها أحيانا ذات دلالة واضحة من الجانب التلفظي، و في أحيان أخرى قد تنتقب و تختفي طورا آخر، و قد استقرأنا هاته الرابطة من جابها ألتلفظي ووجدناها دائرة بين الغموض و الوضوح، فقد عد كل من المجمل و المؤول و المتشابه من الأنساق الدالة على الغموض، في حين أنّ النص بمفهومه الأصولي و الظاهر، و المبين والمحكم هي أنساق دالة على الوضوح. "فإدراك الدارسين الأقدمين ثنائية الوضوح والغموض كان دعما قويا لحصر المجال الإدراكي للحدث الدلالي في كل مستوياته الظاهرة والباطنة هو الأمر الذي أدّى إلى آليات كافية لتغطية جميع أنماط التلقي، سواء كان ذلك بالوقوف على الظاهرة بآلية التفسير، أم الوقوف على الخفي بآلية التأويل"[7].

أ- دلالة الغموض:

---

[1] - المستصفى ج1 ص 418.
[2] - سورة النساء الآية 22.
[3] - سورة النساء الآية 23.
[4] - سورة النحل الآية 90
[5] - سورة البقرة الآية 229.
[6] - ينظر إرشاد الفحول ص109- ص110.
[7] - د.أحمد حساني، العلامة في التراث العربي، رسالة الدكتوراه معهد اللغة العربية و آدابها جامعة وهران سنة 1996/1997، ص 297.

1- **المجمل**: اسم مفعول، و هو من صفات الألفاظ الدالة، مأخوذ في اللغة من الجمع يقال:" أجملت الحساب"، إذ جمعت مفرقة و رفعت تفاصيله[1].

و في **الاصطلاح**: هو ما له دلالة على أحد الأمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه، و هو الشيء ذاته الذي عناه ناظم نثر الورود على مراقي السعود بقوله:

وَ ذُو وُضُوح مُحكَمُ وَ المُجمَلُ * هُوَ الذِي المُرَادُ منهُ يُجهَلُ. [2]

و مثال المجمل في القرآن الكريم قوله تعالى:(وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ)[3]. فإن لفظ القرء لفظ مشترك بين الحيض و الطهر، فيحتاج في تعيين أحدهما إلى دليل.

2- مواطن الإجمال : الإجمال يكون ، إما في لفظ مفرد ، أو في لفظ مركب ، أو نضم كلام ، أو في التصريف و حروف النسق، و مواضع الوقف و الإبتداء[4]:

أ- **اللفظ المفرد:** له عدة وجوه نذكر منها وجهاً على سبيل المثال لا الحصر، كالذي يصلح في المشترك و هو ما تعدد معناه و اتحد لفظه مثاله: العين للذهب و للشمس و للبصر و للميزان.

ب- **الاشتراك مع التركيب** : كقوله تعالى : (أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ)[5] ، فإنه متردد بين الزوج و الولي.

ج- **التصريف** : مثاله في القرآن قوله تعالى: (وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ)[6] ، فالفعل يضار يحتمل أن يكون بكسر الراء الأولى "يضارِر" مبنياً للمعلوم و كاتب فاعل، و أن يكون بفتح الراء "يضارَرْ" مبنياً للمجهول و كاتب نائب فاعل.

د- **نسق الكلام**: كالتردد الواقع في عود الضمير من قولك :"كل ما علمه الحكيم فهو كما علمه" فقوله : فهو كما علمه متردد بين أن يرجع إلى "كل ما"، و بين أن يرجع إلى "الحكيم"، وبالتالي المعنى يكون مختلفاً.

---

[1] - ينظر أبو حامد الغزالي ، المنخول من تعليقات الأصول ، حققه و خرجّ نصه و علق عليه محمد حسن هيتو، دار الفكر للطباعة، ط1(ب ت ط)ص 168.

[2] - شرح نثر الورود على مراقي السعود ،ص311.

[3] - سورة البقرة الآية 228.

[4] - المستصفى ج2 ص 361.

[5] - البقرة الآية 237.

[6] - البقرة الآية 282

هـ- الوقف و الابتداء: كما في قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ)[1] فالوقف في قوله "إِلَّا ٱللَّهُ " يخالف الوقف في قوله الراسخون في العلم، وذلك لتردد الواو بين العطف والابتداء.

ب- دلالة الوضوح: و نمثل لها بالمبين:

1- المبين يقابل المجمل ، و هو بفتح الياء و تشديدها إسم مفعول يراد به لغة الموضح والمظهر[2]

أما في الاصطلاح هو الدليل الموصول بصحيح النظر فيه إلى العلم بما هو دليل عليه.[3] و هذا التحديد هو الأقرب في معقول الغزالي إلى اللغة و إلى المتداول بين أهل العلم.

2- وسائل حصول البيان : من طرق حصول البيان ما يلي :

- الكلام : كبيانه عليه الصلاة و السلام أن الظلم المذكور في قوله تعالى (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ)[4] مقصود به الشرك[5].

-الكتابة: ككتابة النبي صلى الله عليه و سلم لعماله على الصدقات[6]

- **الإشارة**: كقوله عليه الصلاة و السلام "الشهر هكذا و هكذا"[7] أشار بأصابعه العشر و قبض الإبهام في الثالثة و هو يعني تسعة و عشرين.

- الفعل : كقيامه صلى الله عليه و سلم بأفعال الصلاة أمام الأمة تبييناً منه لمجمل قوله تعالى: **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)**[8]

-**السكوت على الفعل** : هو بيان بجوازه [9]، و قد كشف الأصوليون المتأخرون عن كل جوانب البيان بما هو دلالة على الحكم فقسموه إلى خمسة أقسام :[10]

1-**بيان تقرير أو تأكيد** : و هو بيان يؤكد الكلام بما يقطع احتمال المجاز أو الخصوص.

---

[1] - آل عمران الآية 07
[2] - المصباح المنير ج1 ص70 .
[3] - ينظر المستصفى ج1 ص365 و المنخول ص64
[4] - الأنعام آية 82
[5] - ينظر تفسير القرآن العظيم ج2 ص187
[6] - أخرجه البيهقي في سننه ،باب كيف فرض الصدقة، ج 4، ص 92.
[7] - أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، ج7، ص168. و النسائي في سننه،ج 4، دار الجيل، بيروت، طبع 1411هـ 1991،ص138 – 139.
[8] - سورة البقرة الآية 43
[9] - ينظر المستصفى ج1 ص367.
[10] - ينظر سيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية سنة 1996م، ص132 و ما بعدها .

2- **بيان تفسير**: هو بيان ما في اللفظ من خفاء كبيان مقصود اللفظ المشترك الموضوع لمعنى ثم وضع لمعنى آخر.

3 **بيان تغيير** : و هو بيان يغير الكلام عن المعنى الحقيقي الظاهر منه قبل ذكر التغيير.

4 **بيان تبديل** : من الأصوليين من يعتبره أسلوبا من أساليب الشرط و منهم من اعتبره نسخاً.

5- بيان ضرورة: هو البيان الحاصل لأجل الضرورة عند سكوت الشارع عنه و هو دلالة غير لفظية إلا أنها تلحق باللفظية في إفادة الحكم[1].

و **الخلاصة**: إن التدرج من الغموض إلى الوضوح هو الأساس المعتمد عليه في إدراك المعنى، فالنص يحتمل معنى واحداً مما يجعله واضحاً وضوحاً تاماً، و يقابله في الاتجاه المغاير المجمل الذي يتساوى فيه المعنيان يصعب ترجيح أحدهما عن الآخر.

***مخطط بياني لمواطن الإجمال**

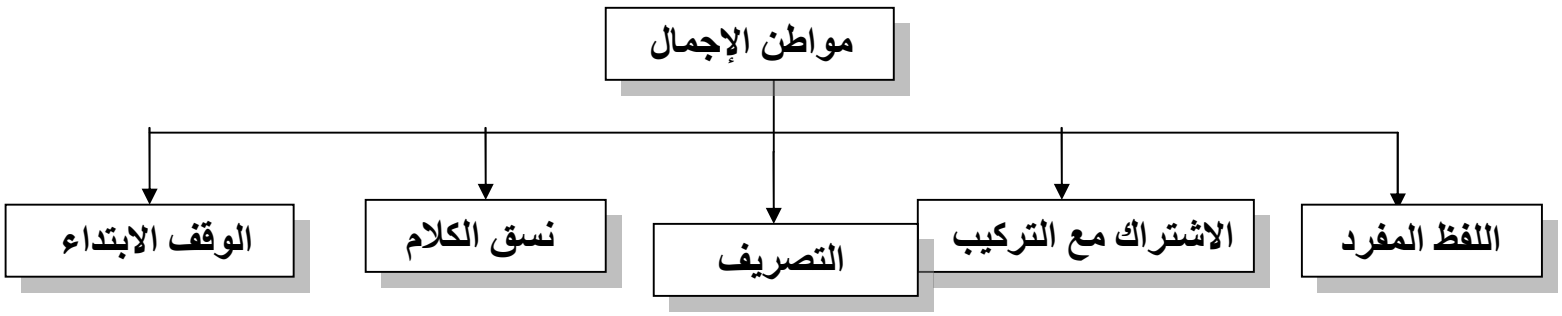

***مخطط بياني لطرق حصول البيان**

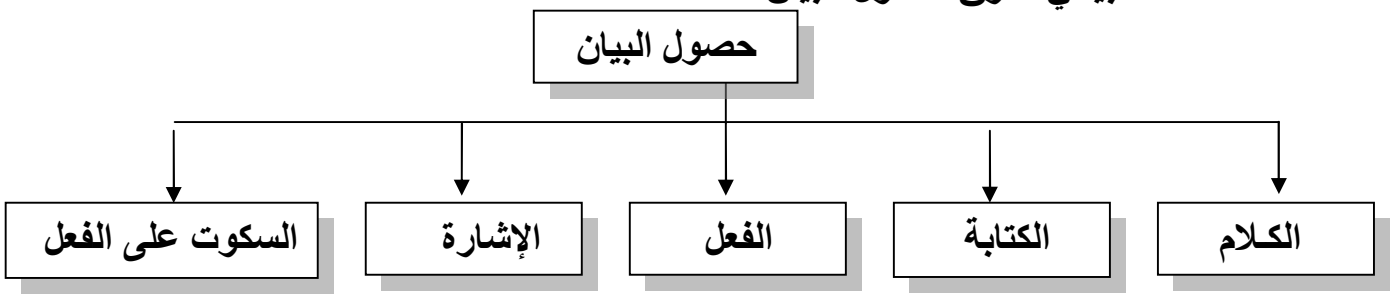

***مخطط بياني للألفاظ الدالة على الوضوح:**

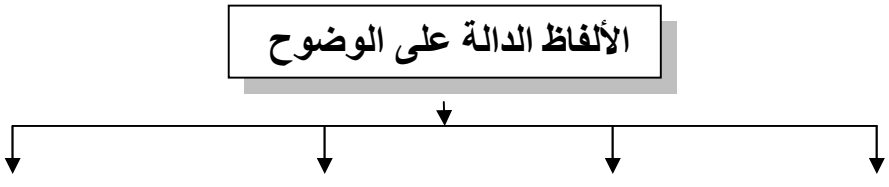

[1] - ينظر عاطف قاضي ،علم الدلالة عند العرب مجلة الفكر العربي المعاصر العدد 19/18 سنة 1982 ص128

***مخطط بياني للألفاظ الدالة على الغموض:**

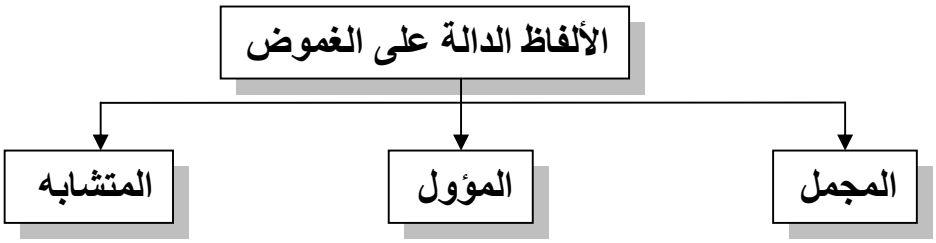

المبحث الرابع: دلالات اللفظ من حيث الفحوى و الإشارة و الاستعمال.

1- **دلالة المطابقة**: هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له و من أمثلة ذلك " دلالة المثلث على الشكل المحيط بثلاثة أضلع" أو لفظ الكاتب الدال على تمام معناه و كلفظ الإنسان الدال على الحيوان الناطق و كدلالة البيت على جميع أجزائه و في هذه الدلالة نجد التطابق تاماً بين اللفظ والمعنى[1].

2- **دلالة التضمن**: هي أن يكون المعنى جزءاً من المعنى الذي يطابق اللفظ مثل دلالة المثلث على الشكل فإنه يدل على الشكل لا على أنه إسم الشكل بل إنه إسم لمعنى جزؤه الشكل[2] .

3- **دلالة الالتزام**: و هي كون اللفظ دالاً بالمطابقة على معنى و يكون المعنى ملزوماً بمعنى غيره كالرفيق الخارجي لا كجزء منه، أي هو مصاحب له ملازم له مثل دلالة السقف على الحائط[3].

4- دلالة الفحوى و الإشارة: لقد حاول أسلافنا تحديد سبل الدلالة بعد تأمله بطبيعة العلامات اللسانية، و ذلك بسبيلين اثنين هما: المنطوق و المفهوم.

أ- **المنطوق**: هو "ما دل عليه اللفظ في محل النطق."[4].

---

[1] - ينظر علم الدلالة ص128
[2] - المرجع نفسه ص128
[3] -المرجع نفسه ص128
[4] - ينظر المستصفى ج1 ص12.

"و يتعلق هذا المفهوم بدلالة العلامات اللسانية كما هي منطوقة بالفعل لدى المتكلم- المستمع المثالي للسان الذي ألفه و اصطنعه لتحقيق عملية التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي ، فهي حينئذ ، الدلالة الحاصلة بارتباط صورة سمعية بصورة ذهنية في عرف المتكلم و المتلقي معاً"[1].

و لوحظ أن دلالة المنطوق أقوى دلالياً في الاستعمال بسبب الائتلاف الموجود في العلامات في صورها السمعية و صورها الذهنية ، و في هذا يقول الدكتور أحمد حساني : "أضحت دلالة المنطوق دلالة غالبة في الاستعمال ، لأنها من طبيعة النظام اللساني نفسه الذي يقتضي ائتلاف العلامات في صورها السمعية و صورها الذهنية ، لحصول الدلالة و الإحالة إلى المرجع الذي وجدت من اجله لتنوب عنه في الواقع الحسي للتجربة فهي ، إذ ذاك الدلالة الواقعية التي استقرت في الذاكرة المشتركة للمجتمع اللغوي"[2] .

و في هذا الشأن يقول الآمدي : "المنطوق أقوى في دلالته من المفهوم، لافتقار المفهوم في دلالته إلى المنطوق، و عدم افتقار المنطوق في دلالته إلى المفهوم "[3] .

و مثال عن المنطوق قوله تعالى: (فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ)[4]

فلفظ عشرة أفاد معنى لا يحتمل غيره.

ب- **الفحوى** (المفهوم): يراد بفحوى اللفظ؛ ما نبه عليه اللفظ، قال صاحب المصباح المنير:"فحوى الكلام معناه و لحنه"[5].و قال الزمخشري :" عرفت ذلك في فحوى كلامه- بالقصر و المد- أي : فيما تنسمت من مراده بما تكلم به"[6] .

وعليه فإن القصد من الفحوى و الإشارة هو المفهوم الذي عرفه أهل الأصول بأنه:"ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق"[7].

فدلالة المفهوم في مقابل دلالة المنطوق ، أقل وزناً و شأناً كون دلالة المفهوم دلالة عقلية ؛ لأن الذهن ينصرف إليها عن طريق الإستدلال بتعقب العلاقات الإلزامية فهي عملية ذات طابع عقلي محض.

---

[1] - ينظر العلامة في التراث اللساني العربي ص297.
[2] -المرجع السابق ص297.
[3] - الإحكام في أصول الأحكام ،ج2 ص353.
[4] - سورة البقرة الآية 196.
[5] -المصباح المنير ص464.
[6] - أساس البلاغة ص466.
[7] - العلامة في التراث اللساني العربي ص 299.

فهو " في عرف الدارسين الأقدمين علامة ضمنية ليست بمنطوقة بل هي مائلة في ذهن المتلقي انطلاقاً من إدراكه لمفهوم العلامة الأولى (المنطوقة) ؛ فهو حينئذ ، إحالة دالة ينصرف إليها الذهن لا من منطوق العلامة بل من مدلولها ."[1]

- أقسام المفهوم: المفهوم في عرف أهل الاختصاص ينقسم إلى قسمين: مفهوم موافقة و مفهوم مخالفة.

"فالأول ما يوافقه حكمه المنطوق فإن كان أولى سمي فحوى الخطاب كدلالة "فلا تقل لهما أف" على تحريم الضرب لأنه أشد ، و إن كان مساوياً سمي لحن الخطاب أي معناه كدلالة "الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً" على تحريم الإحراق لأنه مساو للأكل في الإتلاف" "والثاني ما يخالف حكمه المنطوق ، و هو أنواع ، مفهوم الصفة نعتاً كان أو عالاً أو ظرفاً أو عدداً نحو (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) مفهومه أن غير الفاسق لا يجب النبيين في خبره فيجب قبول خبر الواحد العدل...."[2] .

الخلاصة : إن المتأمل في الدراسات الدلالية على مستوى دلالة المنطوق و المفهوم ، يلحظ مدى غزارة البيئة الفكرية للعلماء الأقدمين و حرصهم على فهم الخطاب من خلال العلامات الدالة التي اصطنعها المجتمع اللغوي لتحقيق العملية التواصلية ، و سبر أغوار النص و فهمه فهماً لغوياً علمياً ، خاصة إذا اكتنفه الغموض مما يستدعي أن تكون هناك آلية معينة لتطويع هذا النص المقروء و تجلي دلالته.

***مخطط بياني لدلالات مفهوم المخالفة :**

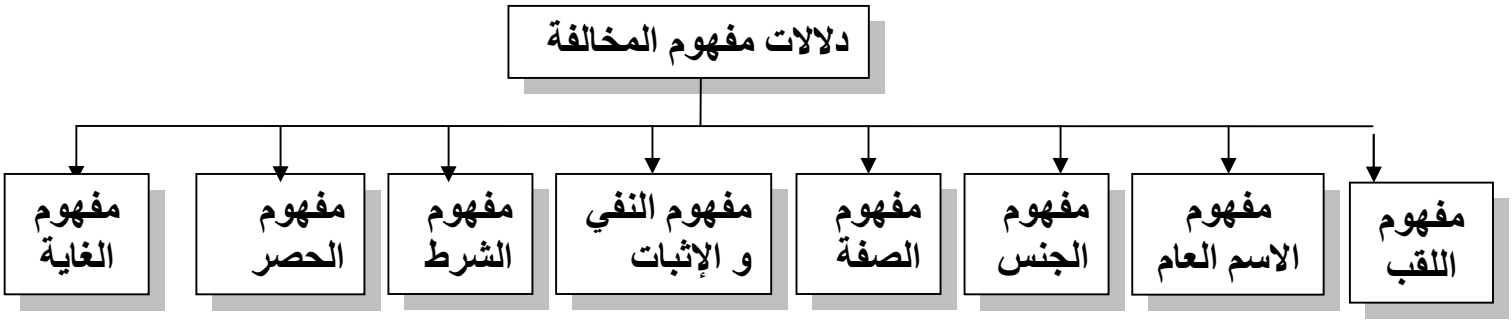

5- دلالة الإيماء : يعرفها الغزالي بأنها : "فهم التعليل من إضافة الحكم إلى الوصف المناسب"[3].

---

[1] - ينظر المرجع نفسه، ص299.
[2] - ينظر الإتقان في علوم القرآن ج2 ص32 دار الفكر (ب ت ط).
[3] - ينظر المستصفى ج2 ص189.

عرّفه بعضهم فقالوا:"دلالة اللفظ على علّية وصف لو حملناه على غير تعليل، لكان اقتران الحكم به غير مقبول و لا مستساغ عند أهل الفطنة بمقاصد الكلام"[1]. و مثاله قوله تعالى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ﴾[2].فمنطوق الآية وجوب الجلد على الزانية والزاني، فُهم أن الزنا علة الحكم ، و كونه علة غير منطوق به ، لكن يفهم من فحوى الكلام.

دلالة الإشارة : عرفها صاحب نثر الورود بقوله :"إشارة اللفظ إلى معنى ليس مقصوداً منه بالأصالة بل بالتبع ، مع انه لم تدع إليه ضرورة لصحة الاقتصار على المذكور دون تقديره"[3] ومثاله قوله تعالى :**"و حمله و فصاله ثلاثون شهراً"**[4] مع قوله ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ ﴾[5] ، فقد علم من الآيتين بطريق الإشارة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، و لا شك أنه غير مقصود من الآيتين، بل المقصود من الآية الأولى بيان حق الوالدة وما تعانيه من التعب في الحمل والفصال، ومن الآية الثانية بيان أكثر لمدة الفصال، ولكن يلزم من الآيتين ما تقدم بطريق الإشارة.

6- دلالات اللفظ من حيث الاستعمال : وسنقتصر في هذا المبحث على الدال الحقيقي و الدال المجازي، و إن كان الكلام في هذا الموضوع طويل جداً و البحث فيه يحتاج إلى بسط فارتأيت أن أتجنب الطول و نطبق عليه بعض الأمثلة باختصار.

أ- **الدال المجازي** : مسألة المجاز في التراث العربي الإسلامي مسألة شائكة ، لورود الجدل حولها من حيث الإثبات و النفي و النفي خاصة على مستوى النص الشرعي ، و هذا الجدل لم يكن بمعزل عن الجدل العقائدي ، بل متضمن فيه ،فهو في الحقيقة يعد وسيلة أفادها المتكلمون لدعم آرائهم في الدين و العقيدة ، "و هي الآراء التي لا يستقيم لها أمر إلا إذا لجأت إلى التأويل و استخدام العقل عن طريق الاستدلال والاستنباط "[6].

---

[1] - نثر الورود على مراقي السعود ج1 ص104.
[2] - سورة النور، الآية 02.
[3] - نثر الورود على مراقي السعود ج 1 ص100.
[4] - الأحقاف الآية 15.
[5] - لقمان الآية 14.
[6] - العلامة في تراث اللسان العربي ص260.

ولهذا نجد أهل الكلام قد اعتصموا بالمجاز ، وانتصروا له ، كونه وقع في الأصح في اللغة العربية –و القرآن - و السنة ، مما يساعدهم على التغيير المضمون الدلالي للنص في الجانب العقدي و التشريعي على سواء "و بذلك غدا المجاز ركناً ركيناً ، وآلية من آليات تحليل الخط اب و تأويل ه ف ي المذ وال الإجرائ ي؛ لأج ل اس تنطاق النص وص و الوق وف عل ى مضامينها."[1]

ب- **الدال الحقيقي**: قال ابن فارس في فقه اللغة: "الحقيقة من قولنا ": حق الشيء إذا وجب ، واشتقاقه من الشيء المحقق ، و هو المحكم، يقال " ثوب محقق النسيج ؛ أي محكمه"[2] و زاد غيره " أنها مأخوذة من الحق ، و الحق هو الثابت اللازم "[3] .

و للحقيقة بحسب استعمالها دلالات ثلاث :

أ- الدلالة اللغوية: هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في اللغة كالصلاة، فإن حقيقتها اللغوية الدعاء، كقوله تعالى:(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ)[4].

ب-**الدلالة الشرعية**: هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في الشرع، كالزكاة؛ فإن حقيقتها الشرعية إخراج حق واجب معين شرعاً من الأغنياء و يرد على الفقراء.

و هذه الدلالة يكون اللفظ فيها "موضوعاً وصفاً عاماً شاملاً لجميع الأفراد الداخلة تحت مسماه، فيسمي الشرع بعض تلك الأفراد بذلك الإسم العام"[5] .

ج- **الدلالة العرفية**: هي اللفظ المستعمل فيها وضع له في العرف، كالدابة في اللغة تطلق على كل من يدب على الأرض، و في العرف تستعمل في بعض ما يدب دون بعض ، فالنوع الذي تستعمل فيه عرفاً يسمى دلالة عرفية.

وخلاصة هذه المباحث أن العلماء بذلوا جهداً كبيراً في مؤلفاتهم في بيان العلاقة بين اللفظ والمعنى ، فلا شك أن الوضع التطوري بنظرية الدلالة عبر تاريخها الطويل عند العرب إلا أنه كما هو ملاحظ ، أنهم أول من وضع تطوراً تكمن فيه أولى الأسس العامة لنظرية الدلالة . فمجرد المقارنة في أقسام الدلالة، كما مر تفصيلها باختصار لا نلحظ كثيراً اختلاف من حيث تقسيماتها، و ما ينطوي تحت هذه الأقسام، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك ما تراكم من معارف

---

[1] - المرجع السابق ص267.
[2] - ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ،نشر مؤسسة بدران بيروت سنة 1383 هـ - 1964 م ص198.
[3] - الإحكام في أصول الأحكام ج1 ص 26.
[4] - سورة التوبة الآية 103.
[5] – د أحمد حساني، مباحث في اللسانيات ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر – ط 1994،ص 3.

وخبرات أغذت زاوية المنظور لهذا العلم المتعلق بها. "فإذا ما التفتنا إلى التراث الفكري العربي الذي نشأ و ترعرع في ظل التحول الحضاري العميق الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع العربي و الإنساني بشكل عام، نجده يزخر برصيد معرفي لا يحط من شأنه في الفكر اللساني المعاصر، وهو الرصيد الذي يملك الشرعية العلمية و الحضارية لكي يعتمد في اكتمال المرتكزات المعرفية للنظرية اللسانية العالمية."[1]

[1] - نثر الورود ص143.

يعتبر الخطاب القرآني رسالة ربانية سماوية ، توجت ما سبقها من الرسالات، و إنها لرحمة من المولى عز وجل بعباده ، فمنذ أن وجد الإنسان وهو في تساؤل دائم عن حقيقة وجوده وكيانه[1]، فأجابه الله عما يريد معرفته من حقائق، و هذا كله سلمه لحبيبه المصطفى و من والاه إلى يوم الدين لأجل ذلك ظل الخطاب القرآني يمارس دوره التوصيلي أي التبليغي ، فكان له ثمة فعالية المحاورة و ربط الصلة الفكرية و الروحية مع المتلقي. و لقد عنى القرآن الكريم من خلال بنية الحوار ، بالتعرض إلى قضايا هذا الإنسان سواء في حياته أو بعد موته ، و المتتبع لهذا النوع من الأسلوب يدرك أنه منهج تربوي و تعليمي ، يحمل من أساليب التشويق و التعزيز ما يتوازى فيها التأثير الشعوري بالتركيز الفكري.

والقرآن الكريم يحتوي كما قال الدكتور الحسين جورنو محمود جلو "على عدد من أساليب ضبط السلوك ، يختص ببعضها و يتفق ببعضها الآخر مع مفهوم أساليب التشويق و التعزيز بالمعنى المعاصر أو في معظم جوانبها ..." [2].

وبعد هذه التوطئة القصيرة لبعض ميزات الأسلوب القرآني في جانبه الحواري ، خصصنا هذا الفصل لدراسة دلالات أسلوب الحوار في عدة نماذج من القرآن الكريم ، مستعينين في ذلك ببعض كتب التفسير.

أقول وقد ورد في القرآن الكريم حوارات، ذات دلالات شتى سأقتصر على بعض منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1- دلالات الحوار العقدية : و نقصد بها الأسلوب التحاوري الذي يبين مواقف إيمان العباد المتباينة إزاء خالقهم ، و من المعلوم تاريخياً – أن البيئة التي نزل فيها القرآن كانت تدين بدين منحرف ، مبني عل تقديس الأصنام ، ينحرون لها و يعكفون عندها ، فأنزل الله القرآن ، لتطهير القلوب مما أصابها من نكسات قلبية ، و إخراجها من المتاهات المظلمة التي أردت بها في قعر الشرك والخرافة ، فالقرآن استعمل مع هؤلاء أساليب حوارية متنوعة كالحوار التوحيدي الذي يثبت وجود الله ويدعو إلى توحيده في العبادة[3] ، من خلال ما قصه لنا من حوارات قرآنية بين الرسل وأقوامهم. و هذه بعض النماذج:

---

[1] - الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 181 .

[2] - ينظر د.الحسين جرنو محمود جلو، أساليب التشويق و التعزيز في القرآن الكريم ،مؤسسة الرسالة – بيروت- ط1 (1414هـ - 1994م) ص208.

[3] - ينظر د. محمد زعراط، الإنسان في القرآن الكريم، مقاربة فكرية تحليلية لمبدأ الخلق الإنساني، رسالة الدكتوراه، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 1998/1997، ص 272.

أ- دلالة الحوار على إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته.

يتمثل هذا في قصة إبراهيم عليه السلام في إقامة الحجة على قومه بأشياء كونية كما أخبر بذلك الله تعالى:(وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ

﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾)[1] .

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يحاور المشركين من قومه الذين حاجوه في وحدانية الله تعالى ووجوده قال تعالى : (وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ)، أي شرع قوم سيدنا إبراهيم مغالبتهم إيّاه في أمر التوحيد ، رد عليهم منكرا لما اجترءوا عليه في محاجته مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم ، ولكن الحوار القرآني سلك مسلك التقرب والتلطف فألقى عليهم سؤالا إنكاريا(أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ) وجاء -قوله تعالى – "وقد هداني " حالا من ضمير المتكلم مؤكدة للإنكار .

فإن كونه –عليه السلام – مهديا من جهة الله – تعالى – ومؤيدا من عند ه مما يوجب استحالة محاجته – عليه السلام -.

أي أتجادلونني في شأنه تعالى و وحدانيته والحال أنه – تعالى-هداني إلى الحق[2]."وقد قيل إنما هذا ربي استدراجا للحجة على قومه ليعيب آلهتهم أنها ليست بشيء،وأن الكوكب والقمر والشمس أكبر منها وليست بآلهة ..."[3] "ولعل الجانب الذي تبرزه محاورة السياق القرآني السابق هو إثارة المشاعر والانفعالات الإنسانية حيث تجعل السامع يشعر بان "إبراهيم قد استطاع التغرير بهم حين زعم لهم انه يعبد معهم هذه الكواكب،وكلما رأى كوكبا منها يقول هذا ربي "[4] ، و قوله هذا ربي "أفاد بتعريف الجزئين أنه أكثر ضوءاً من الكوكب ، فإذا كان استحقاق الإلاهية بسبب النور فالذي هو أشد نوراً أولى بها من الأضعف و إسم الإشارة مستعمل في معناه الكنائي خاصة و هو كون المشار إليه مطلوباً مبحوثاً عنه كما تقدم آنفاً"[5].

[1] - سورة الأنعام الآية 75-89.
[2] - تفسير أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ت.ط)، ج3 ص164.
[3] - الفراء أبو زكريا يحي ابن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 195 و الثانية 1980، حققه الذكتور محمد علي النجار و الدكتور أحمد يوسف نجاتي ،ج1 ص 341.
[4] - ينظر للدكتور عبد حليم حنفي، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم. الهيئة المصرية العامة للكتاب طبع سنة 1985 ص-53.
[5] - ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير،الدار التونسية للنشر(تونس) سنة 1984 ج7 ص 321.

- قوله تعالى :(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾)[1] .

في هذه الآية أقام الله تعالى الحجة على المشركين من العرب أبناء إسماعيل وعلى الكفار من بني إسرائيل –وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام – بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم "ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك واله آباءك إبراهيم وإسماعيل و إسحاق " وهذا من باب التغليب ، لأن إسماعيل عمه .... وقوله "إلها واحدا" أي نوحده بالأولوية ولا نشرك به شيئاً غيره "ونحن له مسلمون " أي مطيعون خاضعون[2].

و "أم" في الآية منقطعة تفيد معنى الإنكار "أي لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به"[3].

و«"ما تعبدون "سؤال عن صفة المعبود كما تقول:ما زيد تريد (أفقيه أم طبيب)...»[4]

يشير إلى أن ما الموصولة تستعمل قياسا في صفات من يعقل نحو قوله تعالى:(**فانكحوا ما طاب لكم من النساء...**)و النكتة فيه أن الأوصاف مما تتفاوت فيه الرغبات دون الذوات.

و جاء يعقوب في وصيته بأسلوب الاستفهام لينظر مقدار ثباتهم على الدين حتى يطلع على خالص طويتهم ليلقي إليهم ما سيوصيهم به من التذكير ، و جيئ في السؤال بما الاستفهامية دون من لأن ما هي الأصل عند قصد العموم لأنه سألهم عما يمكن أن يعبده العابدون و اقترن ظرف بعدي بحرف من لقصد التوكيد فأن من هذه في الأصل ابتدائية فقولك جئت من بعد الزوال يفيد أنك جئت في أول الأزمنة بعد الزوال ثم عوملت معاملة حرف تأكيد.[5]

ب- دلالة الحوار على دحض حجة الخصم.

[1] - سورة البقرة الآية 133.
[2] - ينظر تفسير القرآن العظيم، ج1 ص216.
[3] - جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي ،تفسير الجلالين ، مصر،(ب.ت.ط)،ص 19.
[4] - الكشاف،ج1، ص96
[5] - ينظر التحرير و التنوير ج1 ص 732

قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾)[1] .

يذكر –تعالى- مناظرة خليله" إبراهيم" –عليه السلام – مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه دليله ،وبين كفره وجهله وقلة عقله وألزمه الحجة ،ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، حمله جهله وضلاله على إنكار الصانع فالاعتراض الذي تضمنه سياق الآية كان "عتيدا ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل إلى مالا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء، وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة "[2].

وفي جواب إبراهيم تبكيت ، وعبرة لمن تراوده نفسه إنكار الله وجحوده ، وانه "لا يمكن أن تمارس حرية العقيدة بمعزل عن حرية العقل و الرأي ، فلا يكون للإنسان أن يجادل فيما لا يقتنع به، ولا أن يسال فيما لا يطمئن إليه "[3].

وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى:"أنا احيي وأميت"،"قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد:وذلك أني أوتى بالرجلين ،قد استحقا القتل فأمر بقتل احدهما –فيقتل،وأمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل فذلك معنى الإحياء والإماتة-و الظاهر والله اعلم- انه ما أراد هذا لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم ، ولا في معناه لأنه غير مانع لوجود الصانع ،وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم انه الفاعل لذلك ،وانه هو الذي يحيي ويميت ، كما اقتدى به فرعون في قوله "ما علمت لكم من اله غيري " ولهذا قال له إبراهيم ، لما ادعى هذه المكابرة " فان الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب "...وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير

[1] - سورة البقرة الآية 258.
[2] - الكشاف، ج1 ص156.
[3]- عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ القرآن و قضايا الإنسان، دار العلم للملايين - بيروت– طبعة 04. سنة1981 ص113.

من المنطقيين "[1].

"والملاحظ في الأسلوب الجدلي في القرآن الكريم انه يلزم الخصم و يفحم حجته ،"يجيء إلى الإفحام من أقرب الطرق وأقواها إلزاما "[2].

ج- دلالة الحوار في إثبات عقيدة البعث :

الجدال في البعث والجزاء من الموضوعات المهمة التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم ، وتصارعت فيها أفكار البشرية بما هو مرتكز في فطرتها من حب البقاء ومقاومة فكرة العدم المحض وقد جاء القرآن الكريم بإثبات حقيقة البعث والجزاء –التي لا مناص منها –بأدلة وحجج قاطعة من خلال نماذج قرآنية كثيرة نقتصر على ذكر نموذجين منها :

النموذج الأول:قال الله تعالى:(أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾)[3].

إن هذه القصة حقيقة واقعية ،حدثت فعلا في الزمن الغابر فليست بخيال أو عبارة عن تصورات عقلية وفي هذا يقول الدكتور محمد أبو زهرة :"إن هذه القصة واقعية وليس في سياق القول ما يدل على أنها تصويرية والأصل أن تكون حقيقية فلابد إن أجزاءها قصة واقعة ، وليست مجرد مثل تصويري وهذه القصة معها دليل واقعي على البعث والنشور ، وانه في قدرة الله تعالى إعادة الموتى ، فمن أنشأ الكون يحيى الموتى ، و أننا سنموت كما نام و نبعث كما نستيقظ ، فهو مثل واقعي لبيان – كيف يحيي الله الموتى- فقد مات الرجل مائة عام ثم أحياه الله ، و رأى طعامه لم يتغير و رأى حماره حتى حسب أنه نام يوماً أو بعض يوم ، و أنه على كل شيء قدير"[4] .

وخلاصة القصة باختصار أن رجلاً صالحاً يسمى عزير مرّ بقرية ، قيل أنها بيت المقدس كانت قد أصابها خراب كبير من قبل بختنصر الذي قتل أهلها ، فأضحت سقوفها وجدرانها ساقطة ،

[1] - تفسير القرآن العظيم، ج1 ص 362..
[2] - المعجزة الكبرى ص352.
[3] - البقرة الآية 259.
[4] - المعجزة الكبرى ص 333

فوقف متفكراً فيما آل أمرها إليه و قال (أنّى يحيي هذه الله بعد موتها)،"وذلك لما رأى من دثورها و شدة خرابها و بعدها عن العود إلى ما كانت عليه قال تعالى :"فأماته الله مائة عام ثم بعثه" قال: وعمرت البلاد بعد مضي سبعين سنة من موته و تكامل ساكنوها ، وتراجع بذو إسرائيل إليها ، فلما بعثه الله عز و جل بعد موته ، كان أول شيء أحيى الله فيه عينيه لينظر بهما إلى صنيع الله فيه ، كيف يحيي بدنه، فلما استقل سوياً (قال) الله له ، أي بواسطة الملك "كم لبثت" قال: لبث يوماً أو بعض يوم قال : و ذلك أنه مات أول النهار ، ثم بعثه الله في آخر النهار ، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم فقال "أو بعض يوم" ، قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنه وذلك أنه كان معه فيما ذكر عنب و تين و عصير فوجده كما تقدم ، لم يتغير منه شيء لا العصير استحال، و لا التين حمض و لا أنتن ، و لا العنب نقص "وانظر إلى حمارك" أي كيف يحييه الله عز و جل ، و أنت تنظر (ونجعلك آية للناس) أي دليلاً على المعاد "وانظر إلى العظام كيف ننشزها"أي نرفعها ، فيركب بعضها على بعض ...(ثم نكسوها لحماً) و قال السدّي و غيره تفرقت عظام حماره حوله يميناً ويساراً ، فنظر إليها و هي تلوح من بياضها ، فبعث الله ريحاً فجمعتها من كل موضع من تلك المحلة ، ثم ركب كل عظم في موضه حتى صار حماراً قائماً من عظام لا لحم عليها ، ثم كساها الله لحماً و عصباً و عروقاً وجلداً، و بعث الله ملكاً فنفخ في منخري الحمار ، فنهق بإذن الله عز وجل ... لمّا تبين له هذا كله "قال أعلم أن الله على كل شيء قدير"[1].

النموذج الثاني : قوله تعالى :(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾)[2]

هذه الآيات تبين إثبات مشابهة ابتداء الخلق و إعادته بطريقة أبلغ و ألزم للحجة على الخصم الجاحد لعقيدة البعث و النشور ، و في هذا الصدد يقول الإمام أبو زهرة "وتجد في الآيات الكريمات عقد مشابهة بين ابتداء الخلق و إعادته في أبلغ تعبير و أسلم تقرير ، وإن في هذه الأمثلة وغيرها مما اشتمل عليه القرآن الكريم قياس ما في الغيب على المشاهد ، وقياس ما بينه الله تعالى، وأوجب الإيمان به على ما هو واقع مرئي مشاهد، فيه الدلالة الكاملة على قدرة الله

[1] - تفسير القرآن العظيم، ج1 ص363.
[2] - سورة يس الآية 78-81.

تعالى، وأنه المالك لما هو واقع و القادر على ما لم يقع الآن، و سيقع، كما وعد، و وعده لا يتخلف"[1]، كما أن القدرة التي كانت في أول الأمر تكون كذلك في نهايته فلا تنافي بينهما كما يقوله حسن فضل الله: "والجواب إن القدرة التي ولدت النطفة من التراب ثم ولدت الإنسان من النطفة هي التي تعطي التراب سر الحياة ليتحول إلى إنسان كامل من جديد فغن القدرة على الانتقال من العدم إلى الوجود في البداية تستلزم القدرة على ذلك في النهاية ..."[2].

"وظل الخطاب القرآني ، في هذا الصدد يؤكد مبدأ البعث ، نافياً أن يكون للزمن سلطان يملك ، أو يعدم ، و إنما هي إرادة الله التي شاءت للنفس الإنسانية أن تبحر في زمنية الأرض ، لتؤوب بعدئذ، إلى جوار ربها ، فتعيش في الزمن السرمدي الذي هو مناط هذا الامتحان و مآل ذلك الرحيل"[3] . "فإثبات مبدأ البعث، أي حقيقة الاستمرار الزمني، رجوعاً إلى الله، بعدهن أبرز ما عالجته أدبية القرآن، و بهذا الصدد، فقد وظف الخطاب القرآني الطبيعة، و التصوير الحسي، و الزمني، في البرهنة على تلك الحقيقة... "[4].

و الخلاصة: أن بناء عقيدة البعث في النفوس لما يترتب عليها من مقاصد أساسية، و أهداف غائية، و لما عليه هذا الموضوع من تعقد بحكم كونه لا يدخل تحت الحس. و بحكم كونه من متعلقات الغيب اهتم القرآن به. و جادل الناس بدلائل الأنفس و الآفاق و هذا من الدواعي التي اقتضت وجود الجدل في القرآن [5] .

2- دلالة الحوار التشريعية:

لقد اعتنى القرآن الكريم بالجانب التشريعي، كونه له علاقة بحياة الإنسان الخاصة به، أو التي لها علاقة بين الإنسان وغيره، ولقد حوى القرآن الكريم بعض التساؤلات المتعلقة بالجانب التشريعي، وإليك بعضا منها:

النموذج الأول:

قال تعالى: (وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾) [6]

[1] - المعجزة الكبرى ص 348.
[2] - ينظر الحوار في القرآن ،ج1 ص90.
[3] - ينظر الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ص100.
[4] - المرجع نفسه ص101.
[5] - الجدل في القرآن الكريم ،ص135.
[6] - سورة البقرة الآية 219.

والسؤال - كما هو ملاحظ - عبارة عن طلب لنوعية الأشياء التي ينفق منها في سبيل الله، فجاء الجواب بقوله «قل العفو»، قال القرطبي «قراءة الجمهور بالنصب، وقرأ أبو عمرو وحده بالرفع، واختلف فيه ابن كثير، وبالرفع قراءة الحسن وقتادة وابن أبي إسحاق، قال النحاس وغيره: إن جعلت «ذا» بمعنى الذي كان الاختيار الرفع، على معنى: الذي ينفقون هو العفو، وجاز النصب، وإن جعلت «ما» و«ذا» شيئا واحدا كان الاختيار النصب على معنى: قل ينفقون العفو، وجاز الرفع، و حكى النحويون: ماذا تعلمت أنحواً أم شعراً ؟ بالنصب والرفع، على أنهما جيدان حسنان، إلا أن التفسير في الآية على النصب.

قال العلماء: لما كان السؤال في الآية المتقدمة في قوله تعالى: (**وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ**)[1]

سؤالاً عن النفقة إلى من تصرف، كما بيّناه ودل عليه الجواب، والجواب خرج على وفق السؤال، كان السؤال الثاني في هذه الآية على قدر الإنفاق، وهو في شأن عمرو بن الجموح - كما تقدم – فإنه لما نزل (**قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ**)[2]، قال: كم أنفق؟ فنزل (**قُلِ ٱلْعَفْوَ**)، والعفو: ما

سهل وتيسر وفضل، ولم يشق على القلب إخراجه، ومنه قول الشاعر:

خُذِي العَفوَ مني تَستَدِيمي مَوَدَّتي *** وَلاَ تَنطَقي في سُورَتي حينَ أغضَب

فالمعنى: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة، هذا أولى ما قيل في تأويل الآية". [3] وفي هذا الصدد قال عطية محمد سالم: «إن مقدار الإنفاق هو موضع الجواب في السؤال... وأصح معاني العفو الزيادة، ومن معاني العفو المسامحة، والعفو الشيء الميسور والمعنى في هذا الجواب «قل العفو» يعني: الزائد عن حاجاتهم وما يستغنى عنه، وأن يكون الإنفاق عن غنى لا عن اضطرار وحاجة».[4]

النموذج الثاني:

[1] - سورة البقرة، الآية 215.
[2] - سورة البقرة الآية 215.
[3] - القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، طبع 1997.1417،ج3، ص 42.
[4] - د.عطية محمد سالم ، السؤال و الجواب في آيات الكتاب ، مكتبة دار التراث .المدينة المنورة 1982 ص73-74.

قال الله تعالى:(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾) [1]

هذا كذلك نموذج من الحوار الذي جرى بين الصحابة رضي الله عنهم والرسول صلّى الله عليه وسلّم، والذي ينبثق منه غاية تشريعية تتعلق بأمور النساء، وآداب الجماع، وقد ذكر المفسّرون أن السّائل هو ثابت بن الدحداح - وقيل أسيد بن حضير وعباد بن بشير وهو قول الأكثرين. [2]

وذكر ابن كثير في سبب نزولها عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزّ وجلّ«وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ »

حتى فرغ من الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اصنعوا كل شيء إلاّ النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلاّ خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر، فقالا: يا رسول الله، إن اليهود قالت كذا وكذا، أفلا نجامعهنّ؟ فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما، رواه مسلم من حديث حماد بن زيد بن سلمة. [3]

وإن كان السؤال كان من قبل رجال الصحابة فإنه يتناول بدلالة الإشارة إلى أحكام تتعلق بالمرأة المسلمة، وحكم علاقة الرجل الزوج بقربانها أو عدم قربانها. فقد «أجمع العلماء على أن للمرأة ثلاثة أحكام في رؤيتها الدم الظاهر السائل من فرجها، فمن ذلك الحيض المعروف، ودمه أسود خاثر تعلوه حمرة، تترك له الصلاة والصوم، لا خلاف في ذلك. وقد يتصل وينقطع، فإن اتصل فالحكم ثابت له، وإن انقطع فرأت الدم يوما والطهر يوما، أو رأت الدم يومين والطهر يومين.

[1] - سور البقرة الآية 222 .
[2] - الجامع لأحكام القرآن، ج3 ص 54.
[3] - تفسير ابن كثير ج1 ص 299.

أو يوما فإنها تترك الصلاة في أيام الدم، وتغتسل عند انقطاعه وتصلي، ثم تلفق أيام الدم وتلغي أيام الطهر المتخللة لها، ولا تحتسب بها طهرا في عدة ولا استبراء». [1]

و بعد ما أخبر تعالى أن الحيض أذى، وإذا كان أذى فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده. فلهذا قال:(**فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ**)أي: مكان الحيض وهو الوطء في الفرج خاصة فهذا المحرّم إجماعا وتخصيص الاعتزال في المحيض يدل على أن مباشرة الحائض وملامستها في غير الوطء في الفرج جائز. [2]

وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى:(**فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ**) ونهى عن قربانهنّ بالجماع مادام الحيض موجودا، ومفهومه حله إذا انقطع. [3]

وذهب القرطبي رحمه الله إلى أن الأمر باجتناب النساء في حالة الحيض:«أي في زمن الحيض، إن حملت المحيض على المصدر، أو في محل الحيض إن حملته على الاسم، ومقصود هذا النهي ترك المجامعة»،[4]ثم بعدما ذكر أمر اجتناب المرأة حالة الحيض، أعقب ذلك بالنهي عن قربهنّ والتي تعني المباشرة أو الجماع حتى يطهرن بدليل قوله تعالى:(**ولا تقربوهنّ حتى يطهرن**)، قال ناصر السعدي رحمه الله «يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج وذلك فيما بين السرّة والركبة ينبغي تركه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض أمرها أن تأتزر فيباشرها، وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحيض (**حتى يطهرن**) أي: ينقطع دمهنّ فإذا انقطع الدم زال المنع الموجود وقت جريانه الذي كان لحله شرطان انقطاع الدم والاغتسال منه». [5]

وذكر القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية عن ابن العربي قوله «سمعت الشاشي في مجلس النظر يقول: إذا قيل لا تقرب (بفتح الراء) كان معناه: لا تلبس بالفعل، وإن كان بضم الراء كان معناه: لا تدن منه. وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه "يطْهُرن" بسكون الطاء وضم الهاء. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل "يطَّهَّرن" بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. وفي مصحف أُبَي وعبد الله "يتطهرن".وفي

---

[1] - الجامع لأحكام القرآن، ج3 ص55

[2] - الشيخ ناصر السعدي، تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، دار ابن حزم، ط1، طبع 1424هـ - 203م، بيروت، ص84.

[3] - تفسير القرآن العظيم، ج1 ص 300.

[4] - الجامع لأحكام القرآن ،ج3 ص 58

[5] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،ص84.

مصحف أنس بن مالك "ولا تقربوا النساء في محيضهنّ واعتزلوهنّ حتى يتطهرنّ". ورجّح الطبري قراءة تشديد الطاء، وقال: هي بمعنى يغتسلن، لإجماع الجميع على أن حراما على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر».[1]

وقوله تعالى: «فإذا تطهرن» أي اغتسلن «فأتوهن من حيث أمركم الله» أي في القبل لا في الدبر لأنه محل الحرث، وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض وأن انقطاع الدم شرط لصحته، ولما كان هذا المنع لطفاً منه تعالى بعباده وصيانة عن الأذى. قال تعالى: **(إن الله يحب التوابين)** أي من ذنوبهم على الدوام «ويحب المتطهرين» أي المتنَزّهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث، وفيه مشروعية الطهارة مطلقا لأن الله يحب المتّصف بها ولهذا كانت الطهارة مطلقا شرطا لصحة الصلاة والطواف وجواز مسّ المصحف ويشمل التطهير المعنوي عن الأخلاق الرذيلة والصفات القبيحة والأفعال الخسيسة.[2]

ويذكر القرطبي رحمه الله لطيفة لغوية قرآنية في قوله تعالى: «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» "فإن قيل: كيف قدم بالذكر الذي أذنب على من لم يذنب، قيل: قدمه لئلاّ يقنط التائب من الرحمة ولا يعجب المتطهر بنفسه، كما ذكر في آية أخرى (.. فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ..)[3]".[4]

3- دلالة الحوار التعليمية:

الحوار التعليمي هو الذي يقوم على ربط الحقائق بالحجة و البرهان و توصيلها إلى المتعلم، معتمدا على تجلية العلة ثم تعقيبها بالبرهان، حتى تثار نفسية ذلك المتعلم، فيشتاق إلى البحث من خلال السؤال – عن الحقيقة[5] – و مثل هذا الأسلوب ورد في القرآن الكريم بين النبي موسى عليه السلام و العبد الصالح، قال الله تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا

[1] - الجامع لأحكام القرآن، ج3 ص 58
[2] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص84.
[3] - سورة فاطر الآية 32.
[4] - الجامع لأحكام القرآن، ج3 ص61
[5] - ينظر الإنسان في القرآن الكريم، ص264.

قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾)[1]، سبب قول موسى لفتاه - و هو يوشع بن نون- هذا الكلام

أنّه ذكر له أنّ عبدا منه عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى فأحب الرحيل إليه وقال لفتاه ذلك (لا أبرح) أي لا أزال سائرا (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين.[2]

فالقرآن يستثمر هذه الظاهرة الخطابية الحوارية ليقدم للعقل و الوجدان مقرراته من منطلق إيحائي مقنع، فالموضوعية هي إحدى مزايا الطرح الحواري، ثم يتابع الحوار القرآني وصفه للأحداث، "ويبدو أن ذلك اللقاء كان سر موسى وحده مع ربّه، فلم يطلع عليه فتاه حتى لقياه، ومن ثم ينفرد موسى و العبد الصالح في المشاهد التالية في القصة"[3].

(قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾)[4]،

بهذا الأدب اللائق بنبي، يستفهم و لا يجزم، و يطلب العلم الراشد من العبد الصالح، و لكن علم الرجل ليس هو علم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج، إنما هو جانب من العلم اللّدني بالغيب أطلعه الله عليه بالقدر الذي أراده، للحكمة التي أرادها، و من ثم فلا طاقة لموسى بالصبر

[1] - سورة الكهف الآية 60-70.
[2] - تفسير القرآن العظيم، ج3 ص110.
[3] - في ظلال القرآن ،ج4 ص 2278
[4] - سورة الكهف الآية 66.

على الرجل و تصرفاته و لو كان نبيا رسولا، لأن هذه التصرفات حسب الظاهر قد تصطدم بالمنطق العقلي، و بالأحكام الظاهرة.[1]

فسؤال موسى عليه السلام (قال له موسى هل أتبعك) تلطف لا على وجه الإلزام و الإجبار وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم[2].

وتجري الأحداث و كأن العبد الصالح خشي أن لا يصبر موسى عليه السلام على ما سيشاهد من وقائع تخالف المنطق العقلي، فكان أن رد على موسى عليه السلام، بقوله:(**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾**)[3]، فبادر موسى بالعزم على الصبر و الطاعة فقال : (**قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾**)[4].

فركبا السفينة، فلما ولجنت البحر " قام الخضر فخرقها و استخرج لوحا من ألواحها ثم رقعها فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكرا عليه :" اخترقتها لتغرق أهلها"، و هذه اللام لام العاقبة لا لام التعليل"[5].

ويجيب الخضر موسى عليه السلام و يذكر بالشرط الذي اتفقا عليه آنفا :(**۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾**)[6]، يعني وهذا الصنيع فعلته قصدا وهو من الأمور التي اشترطت معك معك أن لا تنكر علي فيها لأنّك لم تحط بها خبرا ولها دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت[5]، ويعتذر موسى للرجل الصالح بسبب ما انتابه من نسيان الشرط، و يطلب منه أن يقبل عذره، ثم ينتقل القرآن إلى مشهد آخر، قال تعالى: (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله..)، "و قد تقدم أنّه كان يلعب في قرية من القرى و أنّه عمد إليه من بينهم و كان أحسنهم و أجملهم و أضوئهم فقتله... فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول وبادر فقال: (أقتلت نفسا زكية)، أي صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إثما بعد فقتلته بغير نفس "، أي بغير مستند لقتله (لقد جئت شيئا

[1] - في ظلال القرآن ج4 ص 2279.
[2] - تفسير القرآن العظيم، ج3 ص115.
[3] سورة الكهف الآية 67-68
[4] - سورة الكهف الآية 69.
[5] - تفسير القرآن العظيم، ج3 ص116
[6] - سورة الكهف الآية 75

نكرا)؛"أي ظاهر النكارة."[1] فكان جواب الخضر على نسق جوابه السابق إلا أنه زاد ما حكي في الآية بكلمة " لك" و ذلك في قوله تعالى: (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا). واللام في قوله " لك" لام تبليغ، و هي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقول أو ما في معناه، نحو قلت له، وأذنت له، و فسرت له، و ذلك عندما يكون المقول له الكلام معلوما من السياق فيكون ذكر اللام لزيادة تقوي الكلام و تبلغه إلى السامع، و لذلك سميت لام التبليغ ألم تر أن اللام لم يحتج لذكره في جوابه أول مرة " ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا" فكان التقرير و الإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى و أشّد.[2]

و يراجع موسى نفسه و يتبين أنه خالف ما وعد به العبد الصالح مرتين، و كان هذا نسيانا منه لا عن قصد، و يقطع على نفسه الطريق و يجعلها آخر فرصة، و ذلك في قوله تعالى:(**قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾**)[3]، و يستمر السياق القرآني إلى المشهد الثالث:(**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾**)[4] . يخبر تعالى أنهما انطلقا بعد المرتين الأوليين حتى أتيا أهل قرية، روى ابن جريج عن ابن سيرين أنها الأيلة[5].

و إظهار لفظ أهلها دون الإتيان بضميرهم بأن يقال استطعماهم، لزيادة التصريح، تشنيعا بهم في لؤمهم، إذ أبوا أن يضيفوهما...و ذلك لؤم[6].

و في هذه القرية وجد العبد الصالح جدارا يريد أن ينقض فأقامه و لا يأخذ عليه أجرا، إضافة إلى صفة البخل التي تعم أهل تلك القرية، " و هنا يشعر موسى بالتناقض في الموقف ما الذي

[1] - تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص117.
[2] - التحرير و التنوير ج16 ص 05.
[3] - سورة الكهف الآية 76.
[4] - سورة الكهف الآية 77.
[5] - تفسير القرآن العظيم، ج03 ص 117.
[6] - التحرير و التنوير ج16 ص 07.

يدفع هذا الرجل أن يجهد نفسه و يقيم جدارا يهم بالانقضاض في قرية لم يقدم لهما الطعام، وهما جائعان، و قد أبوا أن يستضيفوهما؟ أفلا أقل من أن يطلب عليه أجرا يأكلان منه"[1].

فكان كلام موسى هذا الفاصلة بينه و بين الخضر، (**قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴿٧٨﴾)[2].وجملة " سأنبئك" مستأنفة استئنافا بيانيا، تقع جوابا لسؤال يهجس في خاطر موسى عليه السلام، عن أسباب الأفعال التي فعلها الخضر عليه السلام و سأله عنها موسى فإنه قد وعده أن يحدث له ذكرا مما يفعله[3]، و إليك تفسير ما لم يستطع موسى عليه السلام الصبر عليه في المخطط الآتي:

موسى

↓

قال: لا تؤاخذني بما نسيت و لا ترهقني من أمري عسرا.

الحدث

↓

فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله

↓

موسى

↓

قال: أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا.

↓

العبد الصالح

قال: ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبرا.

↓

قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا.

↓

[1] - في ظلال القرآن ج04 ص 2280.
[2] - سورة الكهف الآية 78.
[3] - التحرير و التنوير ج16 ص10.

فانطلقا حتى إذا لقيا أهل قرية استطعما أهلا فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال: هذا فراق بيني و بينك".

الحدث	التأويل
خرق السفينة	فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها و كان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة خصبا.
قتل الغلام	و أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا و كفرا
إقامة الجدار	فكان لغلامين في المدينة و كان تحته كنز لهما، و كان أبوهما صالح، فأراد ربّك أن يبلغا أشدّهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربّك.

4- دلالة الحوار على الدعاء:

كما في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ....)[1] ، (وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾)[2] ...(... وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾)[3]. وأول ما نود الإشارة إليه، هو أن هذه الآيات في جملة : " قال ربّ " أصلها " يا ربّي " ، وفي ضوء هذه الحقيقة سننظر ابتداء إلى هذه الآيات الخاصة بزكريا عليه السلام، والتي أتت بعد المطلع مباشرة: (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ) .

فلآية الأولى من هذه المجموعة تبين الدّعاء، ولكن إذا تأملنا جيدا لفظة « ربّ » التي يطلقها زكريّا عليه السلام بلا واسطة ولا حتى حرف النداء[4]. كما أنه يظهر الصورة القوية الممكنة، وأن ربه يسمع ويرى ممن غير دعاء ولا نداء ولكن المكروب يستريح إلى البث ويحتاج إلى الشكوى والله رحيم بعباده يعلم ذلك من نظرة البشر فيستجيب لهم إذا دعوه، وبثوا ما تضيق

[1] - سورة مريم، الآية 4.
[2] - سورة مريم، الآية 4.
[3] - سورة مريم، الآية 6
[4] - في ظلال القرآن الكريم ، ج 12، ص2302.

به صدورهم. (**وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...**)[1]، فليس سؤاله الولد سؤال توسع لمجرّد تمتع أو فخر، فكـــــان وهن العظم وعمود الشّيب حالا مقتضيا للاستغاثة بالولد، وما يقتضيه من اقتراب إبّان الموت عادة فذلك مقصود لنفسه ووسيلة لغيره والميراث بعد الموت[2]، فقد يفهم من ذلك ولكن يجيء على لسانه " وهن العظم " فدخلت " ال " التي تفيد هنا جنس العظم، والمراد كل العظم في جسمه عليه السّلام، فهناك وهن عام، وإنّ قوله " منّي " قوّة في هذا الفهم[3] ، أوليس العظم بعد الوفاة مثلاً آخر أجزاء الجسم بقاء فقد جاء في سورة الواقعة عن أصحاب الشمال قوله تعالى: (**وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**)[4]، ولكن الجزء القوي الذي تنتقل إليه عين النظر انتقالا فطريا دليل أكيد على أن الضعف و الوهن هو الرأس، وبعبارة أدق شعر الرأس.

والدليل على ذلك ما جاء في الجزء الثاني من الآية الثانية:(**وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا**)[5]، إذ هي معترضة بين الجمل التمهيدية، والباء في قوله: " بدعائك " للمصاحبة[6] ، وقال البيضاوي:"هذا توسل بما سلف منه من الاستجابة وتنبيه على أن المدعو له وإن لم يكن معتادا، وأنّه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم أن لا يخيّب من أطمعه"[7]، ومثال هذا التركيب جرى في كلامهم مجرى المثل في حصول السّعادة من شيء، ونظيره قوله تعالى في قصّة إبراهيم: (**عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا** ﴿٤٨﴾)[8] .

يفهم مما سبق أنّه لم يكن كلّ مرّة يدعوه فيها " يا ربي سعيدا " لأنّه لم يرد له دعاء، ولم يخيّب له رجاء، إذن فالإيمان يتخذ طريقة المعروف دائما إلى السماء، إلى الله تعالى، القادر على كل شيء الذي لا يعجزه شيء.

---

[1] - سورة غافر، الآية 60.
[2] - التحرير والتنوير، ج16 ص63.
[3] - د.حسن محمد ياجودة، تأملات في سورة مريم ، دار الاعتصام، ،ص28.
[4] - سورة الواقعة الآية 47.
[5] - سورة مريم، الآية 4.
[6] - التحرير و التنوير ،ج16 ص 65.
[7] - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ط1 ، 1984، دار العلم للملايين لبنان، ص396.
[8] - سورة مريم، الآية 48.

أما الآية الأخيرة من هذه المجموعة التي جاءت على لسان زكريا، فيها تبيين لذلك الولي، قال تعالى: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾)[1]. والمراد أن يرث العلم وكل ما من شأنه خدمة الدّين، وليس المال بكل تأكيد، فإنّ " الأنبياء لا تورث المال "، وأن يرث من آل يعقوب العلم و النبوة وشيئا من الملك[2]، وكان زكريّاء يهمه العلم والنبوة، وكان بمنّ الله وفضله فيه ويقال ورثته ورثت منه لغتان، وقيل "من " للتبعيض لا للتعديل لأنّ آل يعقوب ليسوا كلّهم أنبياء ولا علماء[3].

والحقيقة أن للسيّدة مريم والدة السيّد المسيح، وهما من المنعم عليهم في هذه السورة، يداني هذا الدّعاء على لسان زكريا عليه السلام فلنصغ إلى هذه الآيات من " سورة آل عمران ":

(۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾)[4] . وكان زكريّا عند حسن ظنّه بربّه فقد جاء ردّا على دعائه قوله تعالى : (فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا

[1] - مريم، الآية 6.
[2] - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، بيروت،ب ت ط، ج6، ص174.
[3] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4] - سورة آل عمران، الآيات 33ـــ38.

وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾)[1].

وهناك إشارة ثالثة في القرآن الكريم إلى دعاء زكريّاء لربّه، قال تعالى: (وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾)[2]. فالسبب الذي من أجله دعا زكريّا ربّه أن يهبه الذرية الصالحة هو انّه باعتباره الكافل للسّيدة مريم بعد وفاة والدها "عمران "، وكان زوجا لأختها كلّما دخل على مريم المحراب وجد عندها رزقا، ويسأل عن مصدر ذلك الرّزق، فتجيبه بأنّه من عند الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب، وكان في نفسه عليه السّلام أن تكون له الذّرية الطّيبة التي تقوم على الدين بما ينبغي، وجعله أمر مريم الخارق للعادة قادرا على أن يطلب من القادر على كل شيء أمرا خارقا للعادة كذلك.

يتضح مما سبق أن نوع العلاقة أو القرابة بين يحيى والسّيد المسيح عليهما السلام فهما ابنا خالة، إضافة إلى أنه يرتبط بكل منهما مظهر من مظاهر قدرة القادر على كل شيء الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

5- دلالة الحوار على الاستجابة:ومن آيات هذه المجموعة قوله تعالى: (يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾)[3]،وقال أيضا (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي

[1] - آل عمران الآيات 39—41.
[2] - سورة الأنبياء، الآية 89—90.
[3] - سورة مريم، الآية 07.

عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾)[1]،وقال كذلك (قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾)[2].

في الآية الأولى مقول القول محذوف بقرينه أن هذا الكلام خطاب يحيى، فلا محالة أنّه صادر عن قائل، ولا يناسب إلاّ أن يكون قولا من الله تعالى وهو انتقال من البشارة به إلى نبوءته، والظاهر أنّ يحيى ليس عربّيا لأنه لم يكن من عادتهم أن يسموا بألفاظ العربية فيكون معه الصرف للعملية والعجمية[3].

وإذا عدنا إلى الآية نجدها قد دّلت على إن الله تعالى عند حسن ظن عبده زكريا فاستجاب له، وابتدأت الآية بنداء الله تعالى زكرياء لدليل على مرتبته عند ربّه حيث قال في سورة الأنعام:(وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾)[4]، وتأمل جملة " نبشّرك " الدّالة

على رحمة الله تعالى بعبده زكرياء، ولفظ الرحمة إنّ لها فعل السّحر في كل وقت عصيب، ترتاح تماما بكل ما يسرّ، فكيف إذا كان هو الباعث على السرور والرحمة ؟ وكيف إذا كانت الرحمة من أرحم الرّاحمين ؟ وكيف إذا حلّت الرحمة بعبد الله زكرياء الذي كان في حكم اليائس من أن ينجب لأن امرأته عاقر، وقد بلغ من الكبر عتيّا؟ فتداركه أرحم الرّاحمين برحمة الملائكة، ومنحه الغلام الذي جعله قرّة عينه، إلا أنّ البشارة كانت عن طريق الملائكة بنص القرآن الكريم في سورة آل عمران قال تعالى:(فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾)[5] .

ولا تقف البشارة عند ذكر الغلام، بل تتقدم لتسمّي الغلام اسما يدل على بعض ما يتمنّى له زكرياء عليه السلام من بقاء هذا الابن بعده حيّا، ولكنّه عليه السلام يريد أن يطمئنّ إلى أمرين:

[1]- سورة مريم، الآية 08.
[2] سورة مريم، الآية 10.
[3] - البحر المحيط، ج6، ص174.
[4] - سورة الأنعام، الآية 85.
[5] - سورة آل عمران، الآية 39.

أوّلهما: معرفة الوقت الذي تتحقق فيه البشارة.

ثانيها: إلى أنّ الغلام الذي بشّر به سيكون من صلبه وهو بالذّات، لذا جاء قوله تعالى :(**قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا** ﴿٨﴾)[1].

وأوّل ما نودّ توكيده هو أنّ تساؤله عليه السلام ينطلق فقط من قاعدته، هو الذي بلغ من الكبر عتيّا، وزوجته العاقر، وإلاّ فقد كانت ثقته في الله تعالى مطلقة ودائمة.

إنّ سؤاله عليه السّلام " أنى يكون لي غلام " سؤال من أراد استعجال البشارة، الطّامع في مولاه، والمعترف بنعمه تعالى وعلى آله.

أمّا أنه أراد استعجاله البشارة، فلأنّه القمّة في الإيمان بقدرة الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء، والوثوق بأنّ وعد الله حقّ، وخاصّة أنّ الأسلوب الذي عرضت فيه البشارة نفسه مشجّعا على سؤال كهذا، ورغبة كهذه، وأمّا أنّه عليه السلام معترف بنعمه تعالى عليه وعلى آله، فمن حرصه عليه السلام على تضمين كلامه فقط الرّب، وإيثاره له على سواه فإنّه يدل لسان حاله عليه السّلام يدعو ربّه المتفضّل عليه دائما، بأن يكون إنجاب الغلام من صلبه واحدا من تلك النّعم والآلاء. ويبدو من قوله عليه السلام " قال ربّ اجعل لي آية " ، قالها في سنّ متأخّرة جدّا فمعنى " العتي " المبالغة في الكبر، ويبس العود[2]. وجملة " بلغت " قوّة لهذا المفهوم فهي تدلّ على أنّه عليه السلام بلغ تلك السّن حقّا. أمّا في الآية الثّالثة " قال ربّ اجعل لي آية، قال آيتك ألاّ تكلم النّاس ثلاث ليال سويّا " يريد زكرياء عليه السلام أن يكون على علم بالوقت المحتمل تحقّق البشارة فيه. ومعنى ألاّ تكلّم النّاس ثلاث ليال، ألاّ تقدم على الكلام لأنّ ذلك هو المناسب لكونه آية من قبل الله تعالى، وجعلت مدّة انتقائه تكليم النّاس هنا ثلاث ليال، وجعلت في سورة " آل عمران " ثلاث أيّام[3].

[1] - سورة مريم، الآية 08.
[2] - البحر المحيط ، ج6، ص185.
[3] - التحرير والتنوير، ص73.

قال تعالى: (قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾)[1]. والمراد هنا ثلاث ليال بأيّامها، وأنّ المراد في آل عمران ثلاث أيّام بلياليها، وأكّد ذلك هنا بوصفها " سويّا " أي ثلاث ليال كاملة أي بأيّامها.[2]

وقال الزّمخشري أنّ هذه الآية تفيد الاستمرار[3] . والمراد أنّ الدّليل على استجابة الدّعاء أنّه عليه السّلام سيحبس لسانه لغير آفة إلاّ عن ذكر الله تعالى ثلاث ليال كاملات، وأنّ الآية التي تحقّقت إنعاما منه تعالى على زكرياء عليه السّلام، خير دليل ومسعف على قوله تعالى: (وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾)[4] وفي الآية الرّابعة والأخيرة من هذه المجموعة: (يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾)[5].

وفي الكلام حذف، والتقدير: فلما ولد يحيى وكبر وبلغ السن الذي يؤمر فيه قال الله تعالى له على لسان الملك[6]، وهو يبدأ بهذا النّداء العلوي ليحيى قبل أن يتحدث عنه بكلمة، لأن مشهد النداء مشهد رائع يدل على مكانة يحيى، وعلى استجابة الله زكرياء[7]، وطوى ما بين ذلك لعدم تعلق الغرض به والسيّاق يدل عليه والتقرير: " قلنا يا يحيى خذ الكتاب "[8]، ويجيء بعد النداء قوله تعالى: (**خذ الكتاب بقوة**)، وفي الإمكان أن نفهم من القول" خذ " منزلته عليه السلام عند بارئه، فهذه الطريقة في الخطاب تستعمل حينما يكون المخاطب غير بعيد، والمراد بالكتاب: التوراة، وقيل له كتاب خص به كما خصّ به كثير من الأنبياء بمثل ذلك[9]، والمراد يأخذ الكتاب بقوة أي بجد وحرص واجتهاد[10]، وقيل: الكتاب هنا اسم جنس، أي أتل كتاب الله، وقيل الكتاب

[1] - سورة آل عمران، الآية 41.
[2] - التحرير والتنوير، ص73
[3] - الكشاف، ج 1، ص 428-429.
[4] - سورة الذاريات، الآية56.
[5] - سورة مريم الآية 12
[6] - البحر المحيط، ج6، ص176.
[7] - في ظلال القرآن،ص2304.
[8] - التحرير والتنوير، ص85.
[9] - البحر المحيط، ج6، ص176.
[10] - تفسير القرآن العظيم،ج3، ص 136.

صحف إبراهيم، وقال الحسن، وعلمه التوراة والإنجيل وأرسله إلى بني إسرائيل، وكان يصوم في طفولته[1].

6- دلالة الحوار على التمني:

نواصل مع هذه السورة التي ينتقل فيها سبحانه وتعالى من زكرياء ويحيى عليهما السلام، إلى مريم ابنة عمران وعيسى ابنها وكلمة الله لاشتراكهما في الأمر المستغرب، فالقرآن الكريم بعد انتهائه من ذكر الأمر المستغرب من ولادة يحيى عليه السلام من والدين غير صالحين للإنجاب أساسا، إضافة إلى مراعاة أمرين، نوع القرابة والترتيب الزمني بين كلّ من يحيى وعيسى عليهما السلام، فهما ابنا خالة، انتقل إلى الآخر الأكثر غرابة وهو ولادة عيسى من غير أب، كان زكرياء عليه السلام زوجا لأخت مريم البتول، وكان يحيى يكبر عيسى بستة أشهر فيما يقال [2]هو من أتباع عيسى المصدقين به قال تعالى عن يحيى:(...مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ...)[3]،)[3]، وكلمة الله عيسى، ولا ننسى أن مريم هي السبب في دعوة زكرياء أن يهبه الله ذرية طيبة من صلبه.

قال تعالى عن البتول: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾)[4]، فمريم البتول إنما أرغمت على تلجأ إلى جذع النخلة في المراحل الأخيرة جدّا من تجربتها الصعبة وفي تلك اللحظة الأخيرة، كان منها هذا القول: (فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾)[5]. وما يلمحه المتأمل المتأمل لهذا القول على لسان مريم، أن جملة "قالت" استئناف بياني لأن السامع يتشوق إلى معرفة حالها إبان وضع حملها، ما كان أمرها مستترا غير مكشوف بين الناس وقد آن أن

[1] - البحر المحيط، ج6، ص176.
[2] - تأملات في سورة مريم، ص42.
3 - سورة آل عمران، الآية 39.
4 - آل عمران، الآية 37.
5 - سورة مريم، الآية 23.

ينكشف، فيجاب السامع بأنها تمنت الموت قبل ذلك، فهي في حالة من الحزن ترى أنّ الموت أهون عليها من الوقوع فيها[1]، ويضيف القرطبي إلى هذا بأنها خافت على الدين من جهة أن يظنّ بها الشر، ومن جهة أخرى بأن يقع قومها بسببها في البهتان والنسبة إلى الزنا وذلك مهلك[2]، إلاّ أن لفظة" يا ليتني " قد تكون وحدها فلا يكون معها منادى ثابت، ولا محذوف كقول مريم السابق[3].

وحينما نتأمل هذا القول على لسانها نعلم أن في الإمكان حذف حرف النداء " يا "، نتبين السبب الذي من أجله أصّرت البتول على هذا الحرف، وكان الكلام حينما يطول يتيح لها أن تتخلص من أكبر كميته من الانفعال وهذا ما يؤكده السيد قطب حيث يقول : « هي تواجه آلاما جسدية بجانب الآلام النفسية، تواجه الألم الجسمي الحاد الذي أجاءها إجاءة إلى جذع النخلة وهي وحيدة، فريدة تعاني حيرة العذراء في أول مخاض ولا علم لها بشيء، ولا معنى لها في شيء فإذا هي قالت:**(...قالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً)**[4]، فإننا لا نكاد نرى ملامحها، ونحس اضطراب خواطرها ، ونلمس مواقع الألم فيها »[5]، ومثل هذا الأمر ينطبق على قوله تعالى أيضا أيضا على لسان الكافر: (... **وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾**)[6]، وقوله أيضا على رهبة الكافرين من يوم القيامة:(**كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾**)[7].

1 - التحرير و التنوير ، ص85.
2 - الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص 63.
3 - عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، دار المعارف، مصر، (ب ت ط) ص198.
4 - سورة مريم الآية23
5 - التصوير الفني في القرآن الكريم، ص199.
6 - سورة النبأ، الآية 40.
7 - سورة الحاقة، الآيات 24ـــ27.

7- دلالة الحوار على الاستنكار:

كما في **قوله تعالى**: (فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾)[1]، أول ما يلاحظ هو أن مريم تجيء بابنها إلى قومها حاملة له، وذلك أقوى دليل على اطمئنانها التّام بانّ الله تعالى لن يتخلى عنها وهي لا يخطر ببالها مطلقا أن تتخلص من الغلام بطرحه مثلا في مكان ما يمكن أن يلتقطه بعض المارة، حيث يقول السيّد قطب : « لقد برز الغرض الديّني وهنا برزت مشاهد القصة، ولكن مما لا شكّ فيه، أن قوة إبراز العواطف والانفعالات هي الغالبة، وأن هذا اللون هو الذي يطبعها، ويغلب فيها على الألوان الأخرى »[2]، ويلاحظ بصفة عامة أن كلام القوم يشمل مريم وهارون وأمها وأباها.

فإذا تأملنا الآية جيّدا يتبين لنا أن على الرغم من اقتناعهم من أن مريم آثمة، إلا أن طريقتهم في الخطاب تدل على منزلتها العالية في أنفسهم جميعا، إنها الطريقة التي توحي استعظام الذنب ويكون هذا الذنب إنما يصدر لأول مرة من شخص الذي لا يخطر بالبال صدوره منه.

إن القوم يخاطبون مريم بطريقة معينة على الرغم من أنها تدل على استنكارهم الشنيع لقبح ما فعلت، فإنها تظل تدل على أن المخاطبة شيء من الاحترام [3]، وتبين القدر الضروري من الاحترام في ندائها مرتين وليس مرة واحدة " يا مريم" ، " ويا أخت هارون" ، فهذا النداء في حقيقته بالإضافة إلى أنه يدل على نظرة الاحترام الأساسية لمريم، فإنه يدل على أن قومها غاية في حلاوة اللسان وحسن الخلق، فقد كان بالإمكان أن ينادوها في صورة أخرى من صور النداء الكثيرة، ومع ذلك فإن خلقهم العظيم يأبى انتقاء أحسن الوسائل دلالة على معدنهم النقي وأرومتهم الطيبة، واحترام من يخاطبون فليس هناك باختصار فجور في الخصام.

تأمل اللفظ " شيئا " الذي يستمد قوة معناه من اتساعه وشموله وليس هناك لفظ آخر يمكن أن يحلّ هذا المكان مع احتفاظ بالاتساع والشمول وقوة المعنى[4]. ومعروف أن " اللام " تفيد التوكيد التوكيد و"قد" تفيد التحقيق، وكذلك دليل على استفظاع القوم لما جاءت به مريم.

---

1 - سورة مريم، الآية 27.
[2] - التصوير الفني في القرآن الكريم، ص199.
[3] - تأملات في سورة مريم،، ص67.
[4]- البحر المحيط،ج6، ص186.

8- دلالة الحوار على التشبيه:

كما في قوله تعالى: (يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾)[1]، لعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا من هو هارون؟

جاء في البحر المحيط: « هارون شقيقها أو أخوها من أمها، وكان من أمثل بني إسرائيل شبهت به أو (هارون) أخو موسى إذ كانت من نسله، أو رجل صالح من بني إسرائيل شبهت به، أو رجل من النساء فشبهوها به أقوال، والأولى أنه أخوها الأقرب »[2].

أما ابن كثير فيقول بأنها شبيهته في العبادة [3]، " ويحتمل أن يكون على حقيقته فيكون لمريم أخ اسمه هارون كان صالحا في قومه، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ، أي ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك، وهذا أظهر بالوجهين[4]، ففي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبه قال: « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوم نجران فقالوا: أرأيت ما تقرؤون" يا أخت هارون" قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال المغيرة: فلم أر ما أقول، فلما قدمت على رسول الله ، ذكرت ذلك له، فقال: ألم يعلموا أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم »[5] ففي هذا تجهيل لأهل نجران أن طعنوا في القرآن على قومهم، أن ليس في القوم من اسمه هارون إلا هارون الرسول أخا موسى"[6]، والذي يبدو والله أعلم هو أن هارون أخوها كما رجح أبو حيان، وخير دليل على ذلك هو أن الكلام بعد ذلك عرض لأبي مريم وأمها، فكان قول اللائمين لمريم، العارفين لعائلتها معرفة تامة قد تعرضوا لأقرب هؤلاء الأهل منها أبيها وأمها وأخيها.

وإن لسان حال القوم يستمر قائلا: لماذا لم يبتعد السوء عن مريم ويثبت لها الصلاح امتدادا لما عرفت به كل وقت قبل أن تأتي قومها بالغلام، ولعل أن هذا القول:" ما كان أبوك امرأ سوء " طعنة جديدة تصل من مريم إلى أعمق الأعماق، فهو امتداد لقولهم السابق: " يا مريم لقد جئت شيئا فريا " ولعلها تبين أيضا أن هذا القول الأخير على لسان القوم " وما كانت أمك بغيا " طعنة جديدة كالسابقة، ويستمر لسان حالهم قائلا هلا تصبك من الصفات ما لأمك.

---

[1] - سورة مريم، الآية 28
[2] - تفسير القرآن العظيم، ج3، ص143.
[3] - التحرير والتنوير، ج16، ص95.
[4] - المصدر نفسه ج16، ص95.
[5] - صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب النهي، عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، ج2، ص257
[6] - التحرير والتنوير ج16 ، ص95-96.

وبالتالي إذا قسمنا الكلام إلى ثلاث أقسام أو أجزاء استطعنا أن نقول إن هذا الجزء " يا أخت هارون " فيه إخبار لمخالفة للخط الذي يسير فيه أخوها هارون، والذي كانت هي نفسها تسير فيه، وأن هذا الجزء " ما كان أبوك امرأ سوء " فيه نفي للسوء عن أبيها وإثباته لصلاحه، ولا يخفي أن السوء وإن كان المراد به بالدرجة الأولى، عدم حفظ الفرج كما يفهم من السياق، إلاّ أنّه في الحقيقة، يشمل كل أسلوب غير مستقيم حتى إذا جاء القسم الأخير" وما كانت أمك بغيا " تبين فيه الإشارة الصريحة لأول مرة إلى عملية البغاء التي انتفت عن أم مريم.

9- دلالة الحوار على النصيحة والرفق في الدعوة:

كما في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾)[1].

ففي الآية الأولى: (يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا).

هذه الطريقة في النداء " يا أبت " قد صدّرت بها كل نصيحة حيث يؤكد هذا الأخفش بقوله: " فإذا وقفت قلت (يا آبه)، وهي هاء زيدت كنحو قولك" يا أمّه" ثم قال" يا أمّ" إذا وصل ولكنه لما كان" الأب" على حرفين كان كأنه قد أخلّ به فصارت الهاء لازمة و صارت الياء كأنها بعدها، فلذلك قال" يا أبت أقبل" وجعل التاء للتأنيث. ويجوز الترخيم لأنه يجوز أن تدعو ما تضيف إلى نفسك في المعنى مضموما نحو قول العرب:"يا رب اغفرلي" وتقف في القرآن (يا أبت) للكتاب وقد يقف بعض العرب على هاء التأنيث"[2].

وقد جاء في الكشاف: إن« التاء في (يا أبت) عوض من الياء بالإضافة، ولا يقال: يا أبتى لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا "أبتا" لكون الألف بدلا من الياء»،« ولم يقابل "يا أبت " بـ " يا بني "»[3]. كما أنه خاص بلفظ الأب والأم في النداء والعلّة صيغة باقية، من العربية القديمة وأكد سيبويه أن التاء تصير في الوقف هاء، وخالفه الفرّاء فقال ببقائه في الوقف والتاء مكسورة في الغالب لأنها عوض عن الياء، والياء بنت الكسرة، ولما كسروها فتحوا

[1] - سورة مريم، الآيات 42ـــ45.
[2] - الأخفش،معاني القرآن،ط1 ،سنة 1405ه/1985م عالم الكتب،بيروت –دراسة وتحقيق -د.عبد الأمير محمد أمين الورد ج2، ص624-625.
[3] - الزمخشري، الكشاف، ج2،ص313.

الياء، وبذلك قرأ الجمهور، وقرأ ابن عامر وأبوا جعفر" يا أبتا " بفتح التاء دون ألف بعدها، بناء على أنهم يقولون : "يا أبتا " بألف بعد التاء لأن ياء المتكلم إذا نودي يجوز فتحها فقرأها على اعتبار حذف الألف تخفيفا وبقاء الفتحة[1].

وإذا رجعنا إلى الآية نفسها نفهم أنها تدل على بره عليه السلام بأبيه ومنزلته العالية في النفس وشفقته عليه، أن يكون من حطب جهنم ، وهذه الطريقة في النداء قادرة على نقلنا سريعا إلى الجو المشبع بالوالدين يوسف ويعقوب عليهما السلام، حينما قص الابن البار على أبيه الحذون رؤياه في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [2]، أي ناداه متلطفا بخطابة مستميلا له الهداية و الإيمان ،" يا أبت لما تعبد

حجرا لا يسمع ولا يبصر ولا يجلب لك نفعا أو يدفع عنك ضررا "[3] ومع أن إبراهيم عليه السلام يخاطب لا يشكل من قريب أو بعيد يعقوب عليه السلام ألا أنه هو الحليم الأواه المنيب. يبتدئ نداءه لأبيه في هذه الطريقة الهينة اللينة يقصد استمالة قلبه، وتهيئته للإصغاء إلى نصحه وإرشاده، ومع أنه عليه السلام منكر على أبيه أشد الإنكار أن يعبد غير الله تعالى، إلاّ أنه بحلمه ورشده أخرج استفهامه الإنكاري في طريقة لطيفة تقترب من الاستفهام الحقيقي انه لا يعمد إلى نهيه مباشرة عن عباده مالا ينفع، ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئا ، فلا تجيء على لسانه، لا تعبد مالا يسمع ولا يبصر، وإنما يلجأ إلى هذا الأسلوب الاستفهامي الرقيق جدا مبينا طبيعة العجز فيما يعبد أبوه من آلهة، وبالتالي فهو لا يسمع ولا يبصر ثم هو غير قادر، يمكن أن يتبين ذلك في أنفسنا، فحينما يكون الواحد منّا سليم حاسة السمع، فإنه يسمع دائما ما يريد وما لا يريد من أصوات دون أن يكون منه قصد لذلك، فإذا انتقلنا إلى حاسة البصر، اتضح أن المبصر أكثر تحكما في بصره منه في سمعه، وهذا يعني أن مجهودا من نوع ما يبذل مع الأبصار، وهو ما لا نحتاج إلى بذل مثله مع السمع،وكل ذلك في النهاية يدل على ما قلنا من أن إبراهيم عليه السلام، تدرج في نفي الصفات عن هذا المعبود بغير حق، من الشيء البسيط إلى الشيء البسيط جدّا، ولهذا جاء تقديم الإشارة إلى السمع في قوله: " على الأبصار ".

---

[1] - التحرير والتنوير،ج16 ص115 .
[2] - سورة يوسف، الآية4.
[3] - صفوة التفاسير ،ج2 ص218 .

فإذا انتقلنا إلى الصفة الثالثة التي نفاها إبراهيم عليه السلام عن معبود أبيه: (ولا يغني عنك شيئا) فإنه يتبين بتأملها أنها تعني نفي القدرة عن هذا المعبود، وبهذا ننتهي أيضا إلى حقيقة التدرج الذي أومأنا إليه في الصفات الثلاثة، فإذا كانت الصفة الأولى تكشف عن شيء أكبر،والثالثة، تكشف عن إرادة تزيد على الثانية، والثانية تزيد على الأول، وبالتالي فيه نفي للقدرة على دفع الأذى ويعني ضمنيا نفي القدرة على جلب النفع، ولعل السؤال المطروح هنا هو: هل ينتبه إلى دور حرف " عن " في هذا القول ؟

إن هذا الحرف في هذه الصيغة من التعبير جعل إغناء هذا المعبود بغير حق قاصرا على دفع ما يمكن دفعه عن " آزر " أبي إبراهيم عليه السلام، وهكذا يتضح الدور الذي احتله الجر " عن " ، على لسانه عليه السلام ، (ولا يغني عنك شيئا) ، ولا يمكننا أن نستوثق بحذف هذا الحرف مثلا " ولا يغنيك شيئا " ، فيؤدي إلى يتغير المعنى فينتقل من نفي دفع الأذى، وهو الدرجة البسيطة إلى نفي جلب النفع، وهو الدرجة الثانية البعيدة التي لم يشأ إبراهيم عليه السلام أن يصل إليها، والله أعلم.

وواضح أنه عليه السلام يقول لأبيه قولا هينا تماشيا مع قوله تعالى خطابا لموسى وهارون: (ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾)[1] ، وتأتي عملية التوضيح للآية السابقة الذكر، وقد تم ذلك في الآيات الثلاثة التالية، فمع الآية الثانية، (يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾)، يلاحظ أن هذه النصيحة تبدأ بما بدأت به كل النصائح الأربعة في هذا المشهد، "يا أبت" وهذا منتهى البر من إبراهيم عليه السلام بأبيه وإعادة ندائه بوصف الأبوة تأكيدا لإحضار الذهن ولمحض النصيحة المستفادة من النداء[2] ، وقد جاء في الكشاف:" ثم ثنّى بدعوته إلى الحق به مترفقا به، متلطفا فلم يسمّ أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنّه قال: إن معي طائفة من العلم ليست معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السويّ، فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه"[3].

[1] - سورة طه، الآيات 43-44.
[2] - التحرير والتنوير، ج16 ص115.
[3] - الكشاف، ج 2 ص312.

كما يلاحظ أن إبراهيم عليه السلام صاحب الرسالة يقول ما يجب عليه أن يقول في ألين أسلوب وأسهل طريقة وهو بذلك يصل إلى أعماق ما يريد، إنه عليه السلام وهو الأواه الحليم يريد أن يكون بارا بأبيه دائما، ويحرص كل الحرص على إخراجه من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد. وتأمل قوله تعالى: **(جاءني من العلم)** نفيه إسناد المجيء إلى العلم فهو الذي جاء إلى إبراهيم، وليس إبراهيم هو الذي وصل إليه، وفي هذه الطريقة من التعبير إرضاء لغرور آزر أبي إبراهيم عليه السلام، وتأكيدا لحرصه عليه السلام على إسلام أبيه وتأمل "من" التي تفيد التبعيض فالذي جاء على إبراهيم بعض العلم وليس كل العلم أو كثيرا منه وهذا إرضاء من نوع آخر لغرور آزر، ولفظة العلم المعرفة بـ" أل" ناصعة الدلالة على أن إبراهيم مطمئن إلى أن ما جاءه علم حقيقي وليس حديث نفس أو وسوسة شيطان مثلا،وفي أداة التوكيد ، وحرف التحقيق" قد" قوة لمفهوم لفظة العلم.

و قول إبراهيم عليه السلام لأبيه »«فاتبعني» واحد من الأدلة التي لا يكاد يأتي عليها الحصر في القرآن الكريم على أن دور الأمة بخصوص العقيدة، قاصر في كل مكان على الإتباع، فليس هناك مجال مطلقا للتغيير أو التبديل، فقد جاء مثلا على لسان يوسف عليه السلام قوله تعالى:

(قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾)[1].

ونتأمل قول إبراهيم «أهدك صراطا سويّا» الذي يقطر إخلاصا وحنانا وبرّا، والصراط الموصوف بأنه سوى قوة لمعنى الهداية وبعد الحيرة والضلال اللذين أوحى بهما قوله "أهدك "، وفي الجزئية السابقة "أهدك صراطا سويّا"، استعارة مكنية، شبه إبراهيم بهادي الطريق البصير والثنايا وإثبات الصراط السوّي قرينة التشبيه وهو أيضا استعارة مصرّحة بأن تشبه الاعتقاد الموصل لإلى الحق، والنجاة بالطريق المستقيم المبلغ إلى المقصود[2].

أمّا الآية الثالثة في قوله تعالى: (يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾). [3]

[1] - سورة يوسف، الآية108.
[2] - التحرير والتنوير ، ج16 ص116.
[3] - مريم الآية 44

فهنا إعادة النداء بزيادة تأكيد ما أفاده النداء الأول والثاني بعبادة الشيطان فصاحا عن فسادها وضلالها[1]، وإبراهيم يحذر أباه من غضب الله عليه فيعاقبه ويجعله وليا للشيطان وتابعا له.

فهداية الله لعبده إلى الطاعة نعمة، وقضاؤه عليه أن يكون من أولياء الشيطان نقمة[2]، كما جاء في قوله تعالى: (۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾)[3]،

وقال أيضا: (إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾)[4]. والذي يفهم من

السياق أن الآية السابقة التي نحن بصدد مناقشتها وردت مورد فهي في نهيه عليه السلام أباه عن عبادة الشيطان، لأن عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يعني شيئا تنفيذ لإرادة الشيطان عليه لعنة الله، وكان ذلك عبادة له لأنه لا يريد بالإنسان إلاّ كل شرّ.

ويتبين لنا من الشطر الثاني من الآية: (إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا)تبيين للشطر الأول، وبين شطرين تلاحم تام إذ إنّ الثاني مسوغ النهي عن عبادة الشيطان، والعبادة تفترض وجود الطاعة أساسا.

قال البيضاوي: «معلوم أن المطاوع للعاصي عاص، وكل عاص حقيق بأن ينتقم ولذلك عقبه بتخويف»[5]، وكيف عصى الرحمن ابتداء؟ أما الآية الرابعة والأخيرة من هذه المجموعة في نصح إبراهيم لأبيه:(يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾)[6]،

تحذير من سوء العاقبة والمعنى أخاف أن تموت على الكفر، فيحل بك عذاب الله الأليم وتكون قرينا للشيطان بالخلود في النيران[7]. وقال الإمام فخر الرازي : « وإيراد الكلام بلفظ "يا أبت" في رتب إبراهيم الكلام في غاية الحسن، لأنه بنهيه أولا إلى بطلان عبادة الأوثان ثم أمره

---

[1] - التحرير والتنوير ، ج16 ، ص116.
[2] - في ظلال القرآن الكريم، ص2312.
[3] - سورة يس، الآية60.
[4] - سورة النساء، الآية117.
[5] - تفسير البيضاوي، ص400.
[6] - سورة مريم الآية 45
[7] - محمد علي الصابوني، تفسير السور الكريمة، دار الجيل ، بيروت، لبنان، ط 8، 1415هـ/1995م، ج2، ص219.

بإتباعه في الاستدلال وترك التقليد الأعمى، ثم ذكره بأن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام مع رعاية الأدب والرفق»[1].

وتأمل جملة "أخاف" التي تفهم من خلال السيّاق الذي وردت فيه تدل على إشفاق إبراهيم البعيد المدى في أن يظل والده عابدا للشيطان فينالله عذاب من الرحمن.

وتأمل أيضا قوله: (**أن يمسك**)، فهو لا يجيء على لسانه مثلا أن ينالك أو يلحق بك لا لأنه عليه السلام يخاف أن يمسّ أباه عذاب من الرحمن، بل يخاف مجرد المس الدّال على أقل كمية، وتأمل لفظة الرحمن وقد جاء في الآية السابقة، ولكنه قريبا جدا من لسانه عليه السلام الذي يفيض قلبه رحمة، ويبين عليه السلام لأبيه العاقبة الوخيمة لو حدث ما خلف منه وذلك في قوله تعالى على لسانه: (...فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾)[2]. وولي الشيطان في الدنيا، وولي له في الآخرة في نار جهنم، ولا يخفى على لسان حاله عليه السلام ويستمر قائلا إني أطمع أن تنالك رحمة الله الرحيم، فتدخل جنات النعيم بعبادتك للرحمن الذي خلقك وأوجدك من عدم.

وهناك ملاحظة أخيرة تتعلق بالآيات الأربعة التي وجه فيها إبراهيم عليه السلام حديثه إلى والده، وهي ظاهرة تكرار لفظ " يا أبت"، فقد في تفسير التحرير والتنوير : « وفي النداء في قوله: "يا بنيّ" ثلاث مرات، قال لخلاف قول نوح لأبنه (...يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا...)[3]، مرة واحدة دون تكرار، لأن ضيق المقام يقتضي الإيجاز وهذا من طرق الإعجاز »[4]. إلاّ أن السمات المشتركة في السورة هي الجنوح إلى تكرار العبارات بعينها وألفاظ وعبارات متقاربة، وألفاظ تعود إلى أصل واحد، ومن أكثر الألفاظ ورودا في السورة: "الرب"، و"الرحمن"، وبالإضافة إلى دورهما في تقوية معنى الرحمة الغالب على السورة، فإن لهما دورا واضحا في خدمة التلاؤم الصوتي الذي يبدو بوضوح شديد في السورة، وسبق أن استشهدنا به أثناء الحديث عن ظاهرة الرحمة بآيات يدور فيها اللفظ كثيرا.

وكما هو معلوم فإن تكرار الجملة كلها، أو بعض أجزائها وقد يجتمع في الجملة الواحدة أكثر من مؤكد واحد، وذلك حسب ما يقتضيه المقام ويدعو إليه حال المخاطب والذي عينه

[1] - التفسير الكبير، ج21، ص211
[2] - سورة مريم، الآية 45.
[3] - سورة هود، الآية 42.
[4] - التحرير والتنوير، ج16ص114.

البلاغيون، أن درجات التأكيد حسبما يقتضيه الموقف الكلامي وحال المخاطب، فإذا كان المخاطب خالي الذهن نقلنا إليه الخبر خليا من أي توكيد، حيث يقول الزمخشري: « إنك إذا قررت المؤكد وما علق فيه في نفس السامع، ومكانته في قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجته أو توهمت عقله وذهابا عمّا أنت بصدده فأزلته »[1].

ففيما أثبته الزمخشري هنا، نصّ على الالتزام بمراعاة حال السامع وملاحظة ما بينه وبين المتكلم من علاقة، وإشارة واضحة إلى أهمية مراعاة المناسبات القولية عند تعبير المتكلم عمّا في نفسه، وحال المخاطب فيها.

10- دلالة الحوار على الإنكار والتعجب:

كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[2].

يتبين لنا رد فعل آزر بحلم ابنه الذي يميل إلى المعقول وقد توزع عليه استفهامه الإنكاري وتهديده ووعيده، أي قال له أبوه: أتارك يا إبراهيم عبادة آلهتي ومنصرف عنها؟ استفهام فيه معنى التعجب والإنكار لإعراضه عن عبادة الأوثان، أن ترك عبادتها لا يصدر عن عاقل[3]، وقال البيضاوي: «قابل أبوه استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاعة وغلظة العناد، فناداه باسمه ولم يقابل قوله "يا أبت" بـ" يا بنيّ" وقدم الخبر وصدّره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة كأنها مما لا يرغب عنها عاقل»[4]، وفصلت جملة "قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم" لوقوعها في المحاور كما تقدم في قوله تعالى: ﴿...قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ۖ...﴾[5] ،والاستفهام للإنكار

إنكار تجافي إبراهيم عن عبادة أصنامهم وإضافة الآلهة إلى ضمير نفسه إضافة ولاية وانتساب إلى المضاف لقصد تشريف المضاف إليه[6]، كما يبدو لنا أن الجو غير ودّي من جانب آزر تماما، وإلاّ فقد كان من الجائز أن يكون في صورة قريبة من هذه : "يا بني أراغب عن آلهتي" على غرار الحوار الذي تمّ بين يوسف وأبيه يعقوب مثلا، وقد أحسّ آزر بأن كلام ابنه طعنات وصلت منه إلى الأعماق، لأنه يدل على رغبة عن آلهته، وإذا طرحنا السؤال المتعلق بهذه الجزئية التي

[1] - الزمخشري، المفصل في علم العربية، حققه د.سعيد محمد عقيل، دار الجيل، بيروت، ط1، سنة 2003، ص144.
[2] - سورة مريم، الآية 46.
[3] - صفوة التفاسير ،ج 2 ص 219.
[4] - تفسير البيضاوي، ص400.
[5] - سورة البقرة، الآية 30.
[6] - التحرير والتنوير، ج16، ص118.

تعتبر من أهم الجوانب على الإطلاق، لأنه يتعرض للرغبة عن آلهته. وهو من الذي يرغب عنها ؟ إنه ابن آزر وفلذة كبده، لذا كانت ثورته عارمة فابتدأ كلامه بذكر لفظة الرغبة بالذات، وكان في إمكانه أن يقدم الضمير المنفصل فيكون الكلام "أأنت راغب" إلى آخر ما قال.

ولا يجيء على لسان آزر القول:« يا ولدي" أو "يا بنيّ" على غرار قول إبراهيم أربع مرات مخاطبا أباه "يا أبت" ،« و لم يقابل "يا أبت" بـ "يا بنيّ"، وقدم الخبر على المبتدأ في هذه الآية، لأنه كان أهم عنده وهو عنده»[1]، ولا آزر يناديه باسمه الصّريح، وهذا مظهر من مظاهر الاحتجاج العنيف الصّارخ والنداء في قوله: "يا إبراهيم"تكملة لجملة الإنكار والتعجب، لأن المتعجب من فعله مع حضوره يقصد بندائه تنبيهه على سوء فعله كأنه في غيبة عن إدراك فعله، فالمتكلم ينزله منزلة الغائب فيناديه بإرجاع رشده إليه[2].

وهذا هو القسم الثاني من كلام آزر، قال تعالى على لسانه: (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾)[3]، أي لـ ئن لـ م تت رك شـ تم وعيـ ب آلهتـ ي لأرجمنـ ك بالحجارة، وليس هناك ما يمنع أن يفهم أنّ الرّجم هنا بأنه القذف بالحجارة،وخاصة إذا علمنا أنّ هؤلاء القوم مستقبلا صمّموا على إحراق إبراهيم عليه السلام بالنّار فأنقذه الله تعالى منها، قال تعالى:(قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾)[4]. ومعنى القول "واهجرني مليّا" أي اهجرني دهرا طويلا[5]، ويمكننا أن نعتبر هذا القول الجزاء العاجل من آزر لأبنه إبراهيم، على ما تفوّه به من قول أشعر به أنه راغب عن آلهة أبيه، وهذا الجزاء

[1] - الكشاف، ج 4- ص313.
[2] - التحرير والتنوير، ج16ص119.
[3] - سورة مريم، الآية 46.
[4] - سورة الأنبياء، الآية 68 ــ 73.
[5] - صفوة التفاسير ج2 ص219.

القاسي يستحقه الابن في رأي الأب لخروجه عن طاعته ورغبته وأن نعتبر هذا القول "لئن لم تنته لأرجمنّك" متعلقا بموقف إبراهيم من الآلهة مستقبلا، وبما أن موقفه عليه السلام من هذه الآلهة معروف إذ لم يكتف بالرغبة عنها والدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ، بل تخطى ذلك بالكيد للأصنام، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1] ،

وبالتالي عدم الاكتفاء بقتل إبراهيم بالحجارة جزاء عدم اكتفائه بالرّغبة عن الآلهة، وإن التجاوز إلى تحريقه بالنّار جزاء تجاوزه إلى تكسير هذه الآلهة، وبهذا يتبين أن الانتقال من الهجر إلى التهديد بالقتل بالحجارة إلى محاولة القتل بالنار، انتقال تدريجي منطقي في عرف القوم ومقبول، وكلّ ذلك دليل على مدى تعلق القوم بالأصنام وتشبثهم بالضّلال، ودليل على المجهود البعيد المدى الذي كان عليه أن يبذله والمعاناة التي كابدها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

11- دلالة الحوار البلاغية:

إن متأمل الأسلوب القرآني يحس منذ الوهلة الأولى أنه أمام نوع من النظم عجيب يختلف عن نظم المبدعين والبلغاء، ينساق بحسه اللغوي وراء تراكيبه فيعمل فيها عقله وينسجم معها بوجدانه ثم لا يلبث فجأة أن يجد نظمه قد خالف ما توقعه ومعناه قد جاوز إدراكه فيعيد التأمل مرارا ليهتدي إلى سرّ مجيء اللفظ بإزاء المعنى الذي كان عنه غمض.[2]

وإليك بعض النماذج التي تبيّن الأسلوب الإعجازي للقرآن الكريم في جانبيه البلاغي واللغوي:

النموذج الأول:

من عجائب الأسلوب القرآني تقديم بعض أجزاء التركيب اللغوي على بعض في الآية وذلك لأسباب بلاغية من ذلك ما ورد في قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام، لما أجابه هذا الأخير عن سبب خرق السفينة في قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾[3]،" فقوله (فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا) قدم على ما بعده وهو في المعنى مؤخر لأنه مسبب عن خوف الغصب عليها، فكان حقه أن يتأخر السبب،

[1] - سورة الأنبياء، الآية 58.
[2] - ينظر أثر القرآن الكريم في الانبعاث الحضاري د. العربي قلايلية ص205 مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ع2 محرم 1424هـ - مارس2003 قسنطينة.
[3] - سورة الكهف الآية 79.

وإنما قدم للعناية، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين، فسياق الآية إلى قوله تعالى " أعيبها ..." يُحمل ظاهره على العجب ويبدو مخالفا لما ينتظر السامع، إذ لا يستسيغ تعليل إعابة السفينة لكونها للمساكين حتى إذا سمع بقية الكلام (وكان وراءهم ملك) يكتمل المعنى في ذهنه، ورأى فعل الإعابة وجيها، وفي هذه الآية ضرب من بلاغة القول رفيع بحيث لا يهتدي إلى فهم أوائله إلاّ بعد النظر إلى بقيته، وذلك أن يرد سببان أو أكثر لِمسبب واحد، فيتقدم أحدهما فيُوهِمُ أن المسبب الذي يليه مخالف لمقتضى الحال والسياق، ثم يأتي سبب آخر بعد المسبب فيتضح المعنى ويبطل الوهم، ويبدو الفعل حينئذ وجيها قويا لاجتماع السببين معاً" [1]، ويضيف الدكتور العربي قلايلية إلى ما سبق قائلاً: "يضاف إلى هذا كون السياق القرآني الذي وردت فيه الآية في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح الخضر عليه السلام الذي طلب منه موسى أن يعلمه مما علّمه الله، وكانت الأعمال التي أتاها وهي (خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار) غير مرضية في نظر موسى لعدم علمه بحقيقتها، فناسب ذلك كله تقديم المُسبّب وهو (الإعابة) لما في ظاهره من إبهام وغموض يجعلانه محل اهتمام، وعناية لدى السامع".[2]

النموذج الثاني:

حوار عيسى عليه السلام مع ربّه: يقول تعالى: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾)[3]، ففي هذه الآية أسرار لغوية وبلاغية ذكر الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه

حين قال: «إنك تتساءل سرا لماذا لم تنته الآية بـ"إنك أنت الغفور الرحيم" مع أنّ السياق يوحي بالغفران؟ ولكن إذا أمعنت النظر في الآية وجدت أن الذي استحقّ العذاب لا يستطيع أن يغفر له إلا من كانت سلطته أعلى السلطات وقوّته أعظم القوى وعزّته فوق كل عزّة، ومن كان كذلك وجب أن يكون متّصفا بالحكمة التي يرفدها العقل والمنطق السليم».[4]

النموذج الثالث:

من ذلك الآيات التي ذكرت الحوار الذي جرى بين نوح وقومه بما فيهم ابنه الذي مات على الكفر، حيث ختمت الآيات بقوله تعالى: (وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ

---

[1] - ينظر أثر القرآن الكريم في الإنبعاث الحضاري ص211 .
[2] - المرجع نفسه، ص211.
[3] - سورة المائدة الآية 118.
[4] - د. بكري الشيخ أمين ،التعبير الفني في القرآن ، ط4 1980 دار الشروق بيروت ص155.

ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾)[1]، فقد استخرج منهما ابن أبي الأصبع

المصري (ت 654 ه) واحداً وعشرين ضربا من ضروب البديع، منها المطابقة اللفظية في ذكر السماء والأرض، والإشارة في قوله: "وغيض الماء"، فإنه سبحانه عبر بهاتين اللفظتين عن معانٍ كثيرة لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج من عيون الماء، فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء، والإرداف في قوله "واستوت على الجوديّ" فإنه عبر عن استقرار السفينة على هذا المكان وجلوسها جلوسا متمكّنا لا زيغ فيه ولا ميل لطمأنينة أهل السفينة بلفظ قريب من لفظ الحقيقة، والتمثيل في قوله "وقضي الأمر" فإنه عبر بذلك عن هلاك الهالكين ونجاة النّاجين بلفظ فيه بُعد ما من لفظ الحقيقة بالنسبة إلى لفظ الإرداف، والتعليل لأنّ غيض الماء علة الاستواء، وصحة التقسيم حيث استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه إذ ليس إلاّ احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذي ينبع من الأرض، وغيض الماء الحاصل على ظهر الأرض، والاحتراس في قوله: "وقيل بُعداً للقوم الظالمين" محترسا من توهم من يتوهّم أنّ الهلاك ربما عمّ من لا يستحق الهلاك فجاء سبحانه بالدعاء على الهالكين ليعلم أنهم مستحقّو الهلاك، فإنّ عدله منع أن يدعو على غير مستحق للدعاء عليه،[2] والانفصال فإن القائل أن يقول إنّ لفظة (القوم) مستغنٍ عنها فإنه لو قيل (وقيل بعداً للظالمين) لتمّ الكلام، والانفصال عن ذلك أن يقال لما سبق في صدر الكلام قبل الآية قوله: (... وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُ...)[3]، وقال

سبحانه قبل ذلك مخاطبا لنوح عليه السلام: **(ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون)**[4] اقتضت بلاغة القرآن أن يؤتى بلفظة القوم التي ال التعريف فيها للعهد ليتبين أنهم القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله تعالى:

(وَكُلَّمَا مَرَّ)، وحسن النسق في عطف القضايا بعضها على بعض بأحسن ترتيب حسبما وقعت

أولاً فأولاً، فإنه سبحانه أمر الأرض بالبلع ثم عطف على ذلك أمر السماء بالإقلاع ثم عطف غيض الماء على ذلك، وهكذا إلى آخر الآية.[5]

---

[1] - سورة هود الآية 44.
[2] - ينظر مجلة الآداب و العلوم الإنسانية عدد2 ص 206 .
[3] - سورة هود الآية 38.
[4] - سورة المائدة الآية 118.
[5] - ينظر مجلة الآداب و العلوم الإنسانية عدد 2 ص 206-207. قسنطينة.

من خلال بعض هذه النماذج في المجال البلاغي، تبين مدى اتساع اللسان العربي، و ضخامة ثرواته التي لا حصر لها خاصة في مقام التعرض لبيان معاني النص القرآني بمنهجية علمية دقيقة.

وتبين كذلك مدى الصلة بين النص القرآني و علم اللسانيات الذي هو جزء أساسي في الكشف عن محتوى النص القرآني و تبسيط معانيه، فكان من الضرورة الاعتماد على هذا العلم و الاهتمام به كون علاقته بالنص القرآني علاقة بيانية كشفية وهذا ما قرره أحد الدارسين المعاصرين حيث قال:"إن الاعتماد على اللسانيات بنتائجها القيّمة و المتنوعة في تناول النص القرآني، باعتباره معطى لغويا بدرجة أولى يعد في جوهره منهجيّة علمية من شأنها أن تزيح الكثير من الإشكاليات المعرفية المتنوعة التي كانت تصادف الدارسين، بل إنها ستساعدنا من أجل التبصر في المنهج القرآني الكلي الذي يحكم تنظيم هذا الكون؛قلنا "المنهج القرآني" لأن الإعجاز القرآني ليس مرتبطا بالمبنى اللساني فقط؛ بل هو على صلة أيضا بالمعنى المنهجي الدقيق الذي يحكم هذا المبنى".[1]

ولكن مهما اتسعت اللغة العربية وهما أنتجت من ثروات معرفية، واتسعت أساليب الخطابات لديها فإنها تبقى دون ثروات و أساليب النص القرآني المعجز في لفظه و معناه وهذه حقيقة لا مناص منها ذكرها الشيخ مصطفى صادق الرافعي حيث قال:«بيد أنك تقرأ الآيات القليلة من هذا الكتاب الكريم ؛ فتراها في هذا النسق وتلك الطريقة بكل ما في اللغة، لأنها متميزة بصفتها، وبائنة بنسقها، ومتى اعتبرنا الشيء بطريقتيه التي يغالي به من أجلها، كان الترجيح عند المعادلة للطريقة نفسها، فلا عجب أن ظهرت طريقة القرآن بالكلمات القليلة منها على جملة اللغة بما وسعت...».[2]

12- دلالة الحوار على الإبتلاء :

ننتقل إلى مشهد آخر لنتأمل حوار آخر بين شخصين ، و لكن الحوار هذه المرة بين نبيين – عليهما السلام- الأول هو الأب سيدنا إبراهيم ، و الثاني : هو الإبن- إسماعيل عليه السلام – يقول تعالى:(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾

[1] - اللسانيات و النص القرآني لد.عبد الحليم بن عيسى، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية،العدد3، رمضان 1424هـ - نوفمبر 2003م، قسنطينة، ص 302.

[2] - ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص272-ص273.

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾)[1] فالنص القرآني يبشر سيدنا

إبراهيم – عليه السلام – ببشارات ثلاث : أن المولود غلام وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما ، وهذه البشارات كانت استجابة من الله لدعاء خليله – عليه السلام – لما قال (**رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ**) وكذلك كانت هذه البشارات "بعد ما نصره الله تعالى على قومه ، وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة ، هاجر من بين أظهرهم و قال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين) يعني أولاداً مطيعين ،يكونون عوضا من قومه وعشيرته الذين فارقهم قال الله تعالى "فبشرناه بغلام حليم " هذا الغلام هو- إسماعيل- عليه السلام ، فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام ، وهو أكبر من إسحاق بإتفاق المسلمين وأهل الكتاب ....."[2].

وقوله تعالى (**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ**)أي صار شابا يافعا قويا يسعى في مصالحه كأبيه قال الزمخشري " فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله و حوائجه ...أي إلى حدّ الذي يقدر فيه على السعي والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه ، وغيره ربما عنف به في الإستسعاء فلا يحتمله . لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده ، و كان إذ ذاك ابن ثلاث عشر سنة، والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة.."[3]

ففي النص القرآني "شمل إبراهيم الخليل – عليه السلام – حواره بخطاب ولده إسماعيل – عليه السلام – بلفظة متسمة بالرفق والحب فناداه بـ (يا بني) وهي تصغير (إبن).

وقال تعالى :"إني أرى في المنام أنّي أذبحك "، فإبراهيم عليه السلام – يرى في نومه أنه يؤمر بذبح ولده إسماعيل – عليه السلام – ورؤيا الأنبياء حق ، وهي وحي من الله قال ابن كثير : (قال

[1] - الصافات الآية من 99-110.
[2] - ينظر تفسير القرآن العظيم، ج4 ص16.
[3] - الكشاف، ج3، ص 306-307.

عبيد بن عمير :رؤيا الأنبياء وحي ثم تلا هذه الآية (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى)[1]"[2].

وينقل القرطبي عن محمد بن كعب قوله :"كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظاً ورقوداً؛ فإن الأنبياء لا تنام قلوبهم. و هذا ثابت في الخبر المرفوع، قال صلى الله عليه و سلم: "إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا و لا تنام قلوبنا"[3]. و قال بن عباس :" رؤيا الأنبياء وحي"[4] .

و في الآية إشارة إلى أن إبراهيم عليه السلام-شاور ابنه إسماعيل- عليه السلام - فكان بذلك سنة في أن يشاور الأب ابنه إذا بلغ الحلم. و العلة في مشاورة إبراهيم لابنه إسماعيل- عليه السلام- "ليعلم ما عنده في ما نزل به من بلاء الله. فيثبت قدمه و يصبره إن جزع و يؤمن عليه الزلل إن صبر و سلم و ليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها و يهون عليها ، و يلقى البلاء ، و هو كالمستأنس به ، و يكتب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ، و لأن المغافصة بالذبح مما يستسمج و ليكون سنة في المشاورة"[5].

و بعدما شاور إبراهيم ابنه إسماعيل-عليه السلام- في ما أمر به، كان جواب ابنه يجسد أقصى درجات الطاعة بدءاً من لفظه الأول (يا أبت) (افعل ما تؤمر) أي ما تؤمر به، فحذف الجارالمجرور ليدل على أن إسماعيل أعطى إياه إبراهيم-عليه السلام- أوسع مجال الطاعة، "أي امض لما أمرك الله من ذبحي..."[6]."ستجدني إن شاء الله من الصابرين" قال القرطبي : "قال بعض أهل الإشارة : لما استثنى وفقه الله للصبر" [7] .

و تتسارع الأحداث ، و تصل حاجة الحسم في الموقف ملئ بالترقب لما سيحدث قال تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾[8] . أي : استسلم لأمر الله و انقاد ، "و تله للجبين" قال قتادة :"كبه و حول حول وجهه إلى القبلة. و جواب "لما" محذوف عند البصريين تقديره" "فلما أسلما و تله للجبين"

[1] -سورة الصافات، الآية 102.
[2] - ينظر تفسير القرآن العظيم ،ج3 ص 17.
[3] - أخرجه البخاري في صحيحه، كتابر المناقب ، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه، رقم 3377، ج5، ص 33.
[4] - الجامع لأحكام القرآن، ج 15 ص 61
[5] - الكشاف ج3 ص 307.
[6] - تفسير القرآن العظيم ،ج4 ص17
[7] - الجامع لأحكام القرآن ،ج 15 ص69.
[8] - الصافات الآية 103

فديناه بكبش، و قال الكوفيون : الجواب "ناديناه" و الواو زائدة مقحمة و قال النحاس : و الواو من حروف المعاني لا يجوز أن تزاد ..."[1] .

و لما أراد إبراهيم الخليل عليه السلام-الشروع في فعل الذبح، فاجأه نداء الفرج من رب السماوات والأرض بقوله (وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾)[2] . قال القرطبي :"أي نجزيهم بخلاص من الشدائد في الدنيا و الآخرة"[3]. فكانت الآية تعليلاً لما لما خولهما الله تعالى من الفرج بعد الشدة(إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾)[4]. أي "الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها"[5].

وفي النص القرآني ما يبين لنا عظمة هذا الجزاء«و فديناه بذبح عظيم. » ،و"الذبح إسم المذبوح وجمعه ذبوح ؛ كالطحن إسم المطحون. و الذبح بالفتح المصدر"عظيم" أي عظيم القدر و لم يرد عظيم الجنة . و إنما عظم قدره لأنه فدى به الذبيح؛ أو لأنه متقبل. قال النحاس : عظيم في اللغة يكون للكبير و للشريف. و أهل التفسير على أنهما هاهنا للشريف، أو المتقبل"[6].

ثم ينتقل بنا النص القرآني إلى ما أضفاه الله تعالى- من نعمة أخرى إلى بقية النعم المذكورة آنفاً- على سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو سلام الله عليه إلى قيام الساعة قال تعالى :(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾)[7].

قال القرطبي:" أي على إبراهيم ثناءاً جميلاً في الأمم بعده ؛ فما من أمة إلى تصلي عليه وتحبه..."[8].

13- دلالة الحوار على الشفقة و حنان الأبوة:

[1] - الجامع لأحكام القرآن ،ج 15 ص70
[2] - الصافات الآية 104-105
[3] - الجامع لأحكام القرآن ،ج 15 ص 71
[4] - الصافات الآية 106.
[5] - الكشاف ج307/3
[6] - الجامع لأحكام القرآن ،ج 15 ص 71 .
[7] - الصافات الآية 108-111
[8] - الجامع لأحكام القرآن ،ج 15 ص71

إن القرآن الكريم ، أفادنا أن نوحا عليه السلام كان يدعو قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد قال تعالى:(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾)[1]، فكان لم يدع حجة إلا ذكرها ، و لم يؤت بينة إلا عرضها و لم يواجه بشبهة إلا نقضها ، إلا أنه لم يجد آذاناً صاغية ، بما فيهم ابنه الذي عاند و تكبر و كان من الكافرين. كما قصه لنا القرآن الكريم ، يقول الله تعالى :(... وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾)[2] ، فلك أن تتصور نداء سيدنا نوح عليه السلام لابنه قبل أن تنقطع العلاقة بين السفينة " هي تجري بهم في موج كالجبال" ، و بين النبي نوح –عليه السلام- و ابنه العاصي لأمر الله ، و الذي "كان في معزل" لأنه لم يتناوله الخطاب بـ "اركبوا" فحملت سيدنا نوح شفقة الأبوة نحو فلذة كبده لإنقاذه من الكفر و الغرق ، فقال له بلفظة تنبئ عما في داخل قلب نوح من عاطفة الحنان "يا بني اركب معنا و لا تكن مع الكافرين" ، فقابل الإبن العاصي نداء أبيه "نوح" بقوله "سآوي إلى جبل يعصمني من الماء" معتقداً أن الهلاك من الماء لا من الله فجاء رد أبيه نوح –عليه السلام- "مبيناً شأن الداهية ، و قاطعاً أطماعه الفارغة محاولاً صرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئاً ، ليرشده إلى العياذ بالمعاذ الحق –عز حماه-"[3] .

و رد النبي نوح عليه السلام على كلام ابنه بقوله تعالى (...قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ...)[4] ، ففي قوله تعالى :(لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أمْرِ اللَّهِ) ، يقول أبو السعود "سلك طريقة نفي الجنس المتضمن لنفي جميع أفراد العاصم ذاتاً وصفة" ، كما في قولهم :(ليس فيه داع ولا مجيب) أي؛ أحد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصماً بالوجهين المذكورين، وجاء لفظ -اليوم- للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع و تلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء على بعض الأسباب العادية.

---

[1] - العنكبوت الآية 14.
[2] - سورة هود الآية 42.
[3] - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج4 ص 216 .
[4] - سورة هود الآية 43 .

و عبر عن -الماء- في محل إضماره بـ"أمر الله" أي؛ عذابه الذي أشير إليه حيث قيل (حتى إذا جاء أمرنا) تفخيماً لشأنه و تهويلاً لأمره، و تنبيهاً لابنه على خطأه و تعليلاً للنفي المذكور فإن أمر الله لا يغالب و عذابه لا يرد و تمهيداً لحصر العصمة في جناب الله –عز جاره- بالاستثناء ، كأنه قيل : لا عاصم من أمر الله إلا هو"[1].

وبعد هذا ينقطع الحوار فجأة و يفاجئنا اقتحام الموج "و حال بينهما الموج " فكان من المغرقين، فتحدد مصير هذا الإبن الذي مات على الكفر ، و يضل الأب تغلبه شفقة الأبوة عن رؤية أمرات الموت ، فيتجه إلى ربه عز وجل بالتضرع (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾)[2] .

و إذا تابعنا تطور الأحداث وجدت السياق القرآني جسد لنا عظمة و قوة الله عز و جل : (قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾)[3].

وبعد كل هذه الأحداث و الحوارات التي جرت بين نوح و قومه و نوح و ابنه خاصة يتجلى لنا من خلالها أخذ العبرة ، و النظر في مآل الكافرين الذين عاندوا و جحدوا أمر ربهم ، فالقصة هنا كما يقول الدكتور سليمان عشراتي :"تعنى بالحدث الإجمالي ، كما عاشه نوح ، مركزة على المصير الذي آل إليه المكذبون ، ذلك لأن وظيفة القصة هنا ، وظيفة تذكيرية ، إيعازية اعتبارية، تحذيرية ، و أدبيتها مجملة ، و زمنيتها حدثية ، أي أن مصير الحدث فيها ، هو غاية البث ، لأن إيحائيتها تشكل مادة التأثير، و فاعليته الوعظية ، فمآل دعوة نوح هنا و الحدث السردي الأول الذي تضمنته القصة إعراباً عن مغزاها الإرشادي...."[4] .

14- دلالة الحوار القرآني على التوبيخ و التقريع:

[1] -إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج4 /216
[2] - سورة هود 45.
[3] - سورة هود الآية 46
[4] -ينظر الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ص 120.

ولقد مثلنا لهذا العنصر بآيات وردت في سورة الأعراف، حوت مناظرة بين أهل الجنة و أهل النار، تميّزت ببيان أهل الجنة و ما لهم فيه من نعيم و كرامة، و بيان حال أهل النار و ما لهم فيه من إهانة و عذاب، فكان الجزاء من جنس العمل وعليه جاء الخطاب القرآني ذو دلالة توبيخية تفريعية لأهل النار ملؤها الحسرة و الندامة.

قال الله تعالى :(وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾)[1]. فقد بينت الآيات الكريمة حوار جرى بين أهل الجنة و أهل النار، فبدأت بنداء المؤمنين اللذين سعدوا بالنعيم و الكرامة – الكافرين الذين سروا دنياهم و أخراهم – فتضمن هذا النداء خطابا توبيخا تقريعيا لأهل النار بعد استقرارهم فيها[2].

و لقد جاء فعل النداء بصيغة الماضي للدلالة على وقوعه في المستقبل بخيار الله تعالى، يقول نظام الدين القمّي في تفسيره:" و إنما ذكره بلفظ الماضي لأن المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه

[1] – سورة الأعراف الآية 44 – 51 .
[2] – بنظر تفسير القرآن العظيم ، ج2، ص262.

من حيث تحقق وقوعه كالماضي، و الظاهر أنّ هذا النداء إنّما يكون بعد الاستقرار في الجنة... "[1]. وقد تضمن الحوار عطف لخطاب أهل الجنة الثاني على الخطاب الأول فبعدما ذكر تعالى ابتهاجهم و سرورهم و حمدهم لربّهم في قوله تعالى:(...وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ...)[2]. عطف عليه بحكاية قولهم و نداءهم لأهل النار حينما يشاهدونهم[3].

كما يمكن أن يكون فيه عطف لقصة على قصة و ذلك بعد ذكر نداء الله تعالى لأهل الجنة الذين ورثوها جزاء إيمانهم و أعمالهم الصالحة، ننتقل بعدها إلى ذكر هذا الحوار الأخروي الذي نحن بصدد تحليله[4].

و " قد " في القرآن الكريم إذا دلت على المضارع أو الماضي فإنها تفيد التحقيق و الوقوع فأهل الجنة وجدوا ما وعدهم به ربّهم من النعيم و الثواب، و لكن لم يكن المقصود من مناداة أهل الجنة لأهل النار الإخبار بما نالوه، " بل لقصد تبكيتهم و ايقاع الحسرة في قلوبهم[5].

و فعل " نادى " يدل على البعد الكائن بين أهل الجنة و أهل النار، " عبر عنه بالنداء كناية عن

بلوغه إلى أسماع أصحاب النار من مسافة سحيقة البعد[6].

و إذا كان بين أهل الجنة و أهل النار هذا البعد الشاسع فكيف يمكن وصول هذا النداء إلى أسماع أهل النار؟، فأجاب القمّي النيسابوري بقوله:" و أجيبوا بأنّ البعد الشديد و القرب القريب عندنا ليس من موانع الإدراك، و لو سلم المنع في الشاهد فلا يسلم في الغائب[7]. ثم جاء السؤال من قبل أهل الجنة لأهل النار" هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقا"، فكان فيه من التوبيخ و القريع ما يزيد أهل النار عذابا إلى عذاب، قال السيد قطب:" و في هذا السؤال من السخرية المرّة ما فيه... "[8] ،فأضفى هذا السؤال على أهل النار حقيقة ما في طواقيه،و ما نتج عن عنادهم و تكبرهم العواقب الوخيمة قال محمد الطاهر بن عاشور:" و الاستفهام في جملة فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقا)، مستعملا مجازا مرسلا بعلاقة اللزوم في توقيف المخاطبين على غلطهم و إثارة ندمهم و

[1] –نظام الدين القمي النيسابوري، تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416 هـ -1696م، مج 3، ص238.
[2] – سورة الأعراف، الآية 43.
[3] –التحرير و التنوير ، ج8، ص135.
[4] – المصدر نفسه ،ج 8، ص 135.
[5] –تفسير الفتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، مج2، ص 215.
[6] – تفسير التحرير و التنوير، ج8، 136.
[7] – تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان،مج3، ص238
[8] – في ظلال القرآن ،ج3، ص1292.

غمهم على فرط منهم و الشماتة بهم في عواقب عنادهم[1].فكان جواب الكفار بعد هذا السؤال في كلمة واحدة " نعم" فهذا جواب لا مناص منه لأنهم عاينوا حقيقة العذاب الذي كذّبوا به في الدنيا و عندئذ يقطع الحوار بقوله تعالى:(وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥)[2]

فكان هذا الآذان للإعلام بخسران الكافرين و طردهم من رحمة الله تعالى، و دلت الفاء في قوله "فأذن مؤذن" على أنّ التأذين مسبب على المحاورة تحقيقا لمقصد أهل الجنة من سؤال أهل النار، من إظهار غلطهم و فساد معتقدهم[3].

و استحقوا كل هذا العذاب و النكال و اللعنة لأسباب ثلاثة:

أ – الصد عن سبيل الله.

ب – الميل إلى طريق الباطل.

جـ - الكفر بالآخرة.

و قد ورد الفعلان بصيغة المضارعة بقوله:" يصدون " و قوله " يبغونها" لكون أنّ الفعل المضارع يدل على معنى الاستمرارية و التجدد لهذه الصفات في كثير من بنى البشر و في هذا الصدد يقول الشيخ طاهر بن عاشور:" و أمّا إجراء الصلة عليهم بالفعلين المضارعين في قوله:" يصدون – و قوله: و يبغونها" و شأن المضارع الدلالة على حدث حاصل في زمن الحال و هم في زمن التأذين لم يكونوا متصفين بالصد عن سبيل الله و لا يبغي عوج سبيلا، فذلك لقصد ما يفيده المضارع من تكرر حصول الفعل تبعا لمعنى التجدد."[4]

لما ذكر الله تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبّه إلى وجود حاجز أو حجاب يسمى بالأعراف، قال الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال:" الأعراف سور كعرف الديك"،

[1] –التحرير و التنوير، ج8، ص 136.
[2] – سورة الأعراف، الآية 44 – 45.
[3] –التحرير و التنوير، ج8، ص137.
[4] – المصدر السابق، ج 8، ص138.

و في رواية عن ابن عباس: جمع تل بين الجنة و النار حبس عليه الناس من أهل الذنوب بين الجنة و النار، و في رواية عنه هو سور بين الجنة و النار.[1]

فأهل الأعراف ينادون أهل الجنة و يحيونهم بالسلام كما ذكر تعالى:" و نادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم"، و قد فسّر القرطبي السلام بأنه إلقاء التحية، و فسّرها بأنها السلامة من العقوبة.[2]

و للدلالة على الاهتمام بالمكان الذي يتوسط الجنة و النار قدم تعالى الخبر على المبتدأ في قوله: "وبينهما حجاب".

ثم ينتقل بنا القرآن إلى حوار أهل الأعراف مع أهل النار قال تعالى:(وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾)[3]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى:" إخبارا عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين و قادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم."[4] فبعدما عرفوهم بسيماهم خاطبوهم بخطاب فيه نفي النصرة والتأييد من قبل أعوانهم واستكبارهم فاستحقوا بذلك العذاب المحقق و"ما"، الأولى نافية و" ما "، الثانية مصدرية أي استكباركم الذي مضى في الدنيا.[5]

و ذكر الله تعالى في ثنايا هذا الحوار دعاء أهل الأعراف بأن لا يجعلهم مع القوم الذين ظلموا أنفسهم، قال تعالى:" قالوا ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين". قال القرطبي: سألوا الله أن لا يجعلهم معهم، و قد علموا أنّه لا يجعلهم معهم فهذا على سبيل التذلل."[6]

وأخيرا يختم الحوار بنداء قادم من أهل النار فيه من معاني الاستنجاد و الرجاء، الشيء الكثير.[7]

قال تعالى حكاية عنهم:(وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾)[1]، فهذا النداء فيه دلالة الطمع في إجابة سؤالهم من

---

[1] – ينظر تفسير القرآن العظيم، ج2، ص263.
[2] – الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص136.
[3] – سورة الأعراف، الآية 48.
[4] - تفسير القرآن العظيم، ج2، ص262.
[5] - التحرير و التنوير، ج8، ص146.
[6] - الجامع لأحكام القرآن،ج7،ص137.
[7] - في ظلال القرآن،ج3، ص1293.

من قبل أهل الجنة، قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن ذلّة أهل النار و سؤالهم أهل الجنة من شرابهم و طعامهم و أنهم لا يجابون إلى ذلك.... "[2]. فطلبوا من أهل الجنة الماء أو شيء من الطعام فعرف بذلك أنّ الإنسان لا يستغني عن الطعام والشراب حتى و لو كان في حالة عذاب.[3] ودلّ طلب الماء أولا على شدّة عطشهم و احتراق بواطنهم كما دلّ "فعل الفيض حقيقته سيلان الماء و انصبابه بقوّة."[4]

و دلّ من جانب آخر " على أنّ أهل الجنة أعلى مكانا من أهل النار."[5] ثم يلتفت الخطاب القرآني إلى الجانب الآخر حتى يسمعنا جوابا اشتمل على الحسرة والألم المرير[6]، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٥١﴾[7] ، وضمير" قالوا "، لأصحاب الجنة، و هو جوابهم عن سؤال أصحاب النار و لذلك فصل على طريقة المحاورة، و التحريم في قوله:" حرّمهما على الكافرين"، مستعمل في معناه اللغوي، فهو المنع؛[8] أي أنهم منعوا كل ذلك بسبب اتخاذهم دينهم لهوا و لعبا و اغترارهم بالدنيا حتى فنسوا عبادة ربّهم و جحدوا بها فكان العقاب بالمثل، كما قال تعالى:(...ۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝).[9] و قد جاء في الآية ظرف متعلق بفعل و هو قول:" فاليوم ننساهم..." و هذا " لإظهار أنّ حرمانهم من الرحمة كان في أشد أوقاتهم احتياجهم إليها، فكان لذكر اليوم أثر في إثارة تحسرهم و ندامتهم، و ذلك عذاب نفساني"،[10] والنسيان لا يصح و لا يحق في الله تعالى لأنّه تعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض و لا في السماء كما قال تعالى :(قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي

---

[1] - سورة الأعراف، الآية 50.
[2] - تفسير القرآن العظيم ، ج 2، ص 267.
[3] - الجامع لأحكام القرآن ، ج 7، ص 138.
[4] - التحرير و التنوير، ج8، ص148.
[5] - تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان، مج3، ص241.
[6] - في ظلال القرآن، ج3، ص 1294.
[7] – سورة الأعراف، الآية 50-51.
[8] – ينظر التحرير و التنوير، ج8، ص149.
[9] – سورة الأعراف، الآية 51.
[10] – ينظر التحرير و التنوير، ج8،ص151.

كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾)[1]، و قد فسّر هذا ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه قال:"

قال:" نسيهم الله من الخير و لم ينسهم من الشرّ".[2]

و قوله تعالى:" و ما كانوا بآياتنا يجحدون"، فهذه الجملة معطوفة على ما قبلها، في قوله تعالى : " كما نسو لقاء يومهم هذا". [3]

و ختاما فهذه بعض الدلالات التي لمسناها في ثنايا بعض خطابات الحوار في القرآن الكريم الذي يبقى ذا دلالة أصلية من حيث اللفظ و المعنى كون بينهما تكامل و اقتران في أداء المراد من كلامه تعالى فلا لفظ بلا معنى و لا معنى بلا لفظ.

و هذا هو جهدي المتواضع في استخراج بعض دلالات الحوار من القرآن الكريم الذي شمل هذا الأخير بعض مداركها.

[1] – سورة طه، الآية 52.
[2] – تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 267.
[3] – ينظر الفتح القدير ، مج2، ص 218.

الخـاتمــة:

لقد حاولنا الإلمام بأجزاء الموضوع قدر المستطاع من أجل أداء الغرض المقصود و هو الكشف عن سر جمالية أسلوب الحوار القرآني بكل ما تضمنه من دلالات، و في هذا المضمار توصلنا إلى النتائج التالية المتمثلة في:

1- أنّ في البحوث العربية المعاصرة – بعد الدراسة و الاستقراء – أنّ الدرس القرآني أعطى للباحثين توجها جديدا يركز على استخلاص أسس الجمالية الأدبية التي تميز النص القرآني من الجانب الخطابي، و ما حوته سرديته التي تناولت جميع الغايات القرآنية سواء من جانب الهدف القصصي أو التشريعي أو العقدي أو الأخلاقي أو الجدلي.

2- تبين لنا من خلال الدراسة الدلالية للحوار في القرآن الكريم، أنّ علم الدلالة من جانبه التلفظي أو ما تضمنه من إشارات، حوى مباحث هامة، لا يمكن الإستطراق إليها إلاّ عن طريق الآلة اللغوية، من حيث هي وسيلة لفهم و بيان أدبية الخطاب القرآني، فهي أساس من أسس الفكر، الذي يعتبر هو كذلك منحى آخر تنويهي لإبراز الرقي الذي يميز جمالية الأسلوب القرآني و بلاغته، و ما حواه من مضامين حوارية ذات مناحي دلالية بلاغية عقدية تشريعية.

3- لقد كان للحوار أثر كبير في القصة القرآنية، كونه يبني الحدث التفاعلي، و يجليه للقارئ، من خلال كل المطارحة الحوارية، التي تجري بين اثنين أو أكثر ليبني من خلال المـ تن، المواقـ ف و الوقـ ائع ذات الوصـ ف المشـ هدي، اخبـ اري تـ تلاحم فيـ ه تصـ ريحات المتحاورين بالحجج و البراهين، و لكن على الرغم من ذلك تبقى غاية الخطاب القرآني من خلال سرديته إقامة الحجة، و إظهار الحق الذي لأجله خلق الله الجن و الإنس، قال تعالى :" و ما خلقت الجن و الإنس إلاّ ليعبدون".

4- يساهم الحوار باعتباره وسيلة للتفاهم بين الناس في بناء جملة من الآداب سواء فكرية كانت أم أخلاقية، كما يحفزنا إلى اكتساب أفكار جديدة دون الاقتصار على القديم منها، فهو؛ إذن وسيلة لاكتساب المعرفة إذ أنّ الإنسان عند محاورة أو مناظرة غيره، يتبادل الأفكار معهم، و من ثمة يكتسب معرفة كان يجهلها.

5- أما في نقاش أسلوب الحوار القرآني الذي يرتكز على طريقتين متقابلتين في جميع مجالاته، و هذا بحسب حال المحاور، فهناك طريقة العنف التي تتسم باستعمال الأساليب القاسية أثناء مواجهة الخصم و هاته الطريقة لا نجد لها حضورا في القرآن الكريم إلا ما ذكره على لسان الأقوام الذين جادلوا و أذوا رسل الله، و أعرضوا عن إتباع الحق، أما الطريقة الثانية فهي تعتمد اللين و الرفق و المحبة أساسا للصراع، من أجل الوصول إلى الهدف و قد تجلت هاته الطريقة في القرآن الكريم في حوار الأنبياء مع أقوامهم.

6- لا يجوز إغفال العبرة و تأمل عظمة الله في أيّ درس، و لا عند دراسة أي قانون من قوانين الطبيعة و هي سنن الله في تسيير شؤون الكون و لإقامة الحياة فيه.

إنّ نهاية الشيء في الحقيقة هي بدايته، فالحوار يحيى مع الإنسان، أي فيه نوع من الحركة الحياتية الملازمة للكائن الحي، فهو موجود معه في كل زمان ومكان لحاجة الناس إليه في حياتهم اليومية باستمرار لكن من المعلوم لكل مخلوق أنه يموت على الرغم من ذلك يبقى الحوار شيء خالد لا يزول لأنه يلازم الإنسان في قبره، و ذلك في حوار مع الملائكة، ويلاحقه حتى يوم القيامة عند الحساب، و حتى دخول الجنة أو النار كما دل على ذلك الكثير من النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية.

انطلاقا من هذا الأساس بات الحوار عموما و الإسلامي خصوصا مطلبا أساسيا لابد من الدعوة إليه فكرا و سلوكا و منهجا، و اعتباره نواة ثقافية ذات دلالات معرفية تسهم في انبعاث الوعي الإسلامي، و تحرك العقول والقلوب، فتنتج ثقافة التعايش و التسامح والتعاون و الرفق و اللاعنف، التي تؤدي إلى استنهاض مكنونات هذا العالم الإسلامي للتصدي للدور الرسالي المنوط به كممثل لخاتمة الرسالات و صاحب السياسة الرشيدة، انطلاقا من مخزونه الثقافي الذي يتسع و يصلح لكل زمان و مكان، و بالتالي الوصول إلى مسببات القيادة التي تمثل خصوصية الهوية الإسلامية و مضمونها الوجودي الذي ينفتح على واقع الإنسان و المجتمع و التاريخ و الكون و كل مجالات الحياة.

مســـرد الآيـــات

السورة	الآيـــــــــــــــــــة	رقم الآيـة	الصفحة
الفـــــاتحـــة	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	01	74
البقـــــــرة	"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي ..... أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"	30 إلى 32	13-06
البقـــــــرة	"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ..... وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"	256	29
البقـــــــرة	"وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ..... وَلَا يَهْتَدُونَ "	170	31
البقـــــــرة	"قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "	111	33
البقـــــــرة	"أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ .....عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "	259	42-65-68
البقـــــــرة	"يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ"	26	69
البقـــــــرة	"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ..... وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "	256	71
البقـــــــرة	"فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ"	282	78
البقـــــــرة	"فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا "	233	79
البقـــــــرة	"وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ"	282	78
البقـــــــرة	" يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم .....لعلكم تتقون"	21	87
البقـــــــرة	"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا "	153	87
البقـــــــرة	"وإن كنتم في ريب.....إن كنتم صادقين"	23	89
البقـــــــرة	"فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا .....أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ "	24	89
البقـــــــرة	"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ..... لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ"	219	89
البقـــــــرة	"وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ"	130	93
البقـــــــرة	"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ ..... عَذَابٌ عَظِيمٌ"	114	96
البقـــــــرة	" فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ "	115	114
البقـــــــرة	"ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ "	187	117
البقـــــــرة	"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ "	43	120-123
البقـــــــرة	" أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب"	202	120
البقـــــــرة	"وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ "	282	120
البقـــــــرة	"وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا "	229	121
البقـــــــرة	"وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ "	228	122

مســـرد الآيـــات

البقـــــــرة	"أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ "	237	122
البقـــــــرة	"وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ "	282	122
البقـــــــرة	" فصيام ثلاثة أيام في الحج ....تلك عشرة كاملة"	196	126
البقـــــــرة	"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ .....القَوْمَ الظَّالِمِينَ "	258	135
البقـــــــرة	" أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب .....ونحن له مسلمون"	133	134
البقـــــــرة	" أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ .....أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "	259	136
البقـــــــرة	"وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ..... لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ"	219	138
البقـــــــرة	"قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ"	215	139
البقـــــــرة	"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ..... وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"	222	140
البقـــــــرة	أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ..... وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ	133	134
آل عمـــــران	"هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ ..... وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"	66	33-11
آل عمـــــران	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ	64	34
آل عمـــــران	وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ	07	122
آل عمـــــران	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ..... وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ	33 إلى 41	149-150
آل عمـــــران	فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ .....وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ	39	151-154
آل عمـــــران	" قال رب اجعل لي آية.....ثلاثة أيام إلا رمزا"	41	154
آل عمـــــران	"فتقبلها ربها .....يرزق من يشاء بغير حساب"	37	154
النســـــــاء	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا .....وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا	93	96
النســـــــاء	مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ	123	113
النســـــــاء	وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ	92	117-118
النســـــــاء	وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ	22	121
النســـــــاء	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ	23	121
المـــــائـــــدة	تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	118	03

مســـرد الآيـــات

المـــــائـــــدة	يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ..... فَإِنَّا دَاخِلُونَ	21 إلى 22	61
المـــــائـــــدة	لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً ..... فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ	82 إلى 83	68
المـــــائـــــدة	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ ..... وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ	41	75
المـــــائـــــدة	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ..... إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ	116	76
المـــــائـــــدة	وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ..... وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	38	95
المـــــائـــــدة	" لا يؤاخذكم الله .....فصيام ثلاثة أيام"	89	116-117
المـــــائـــــدة	فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ..... وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ	06	118
المـــــائـــــدة	وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا	38	118
المـــــائـــــدة	"عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ"	105	120
المـــــائـــــدة	إن تعذبهم فإنهم عبادك.... أنت العزيز الحكيم"	118	167-169
الأنعـــــــام	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ..... لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ	76	21
الأنعـــــــام	إِنَّ مَا تُوعَدُونَ .....لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ	134إلى 135	31
الأنعـــــــام	وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ	101	114
الأنعـــــــام	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ	82	123
الأنعـــــــام	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ .....وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ	75 إلى 89	133
الأنعـــــــام	وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ	85	151
الأعـــــراف	وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ .....فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ	19	13
الأعـــــراف	قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ..... لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ	23	13
الأعـــــراف	"ولقد خلقناكم ثم صورناكم....قال إنك من المنظرين"	15-11	14
الأعـــــراف	وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ..... مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ	65	28
الأعـــــراف	وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ ..... فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	73	28

مســـرد الآيـــات

الأعـــــراف	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا	85	28
الأعـــــراف	لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ..... وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	188	31
الأعـــــراف	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	199	34
الأعـــــراف	وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ ..... إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ	10 إلى 11	57
الأعـــــراف	قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ..... وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ	12	58
الأعـــــراف	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ	184	71
الأعـــــراف	"ونادى أصحاب الجنة..وما كانوا بآياتنا يجحدون"	51-44	-176
الأعـــــراف	"الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا....وما كانوا بآياتنا يجحدون"	51	180
التـــــوبـــة	"وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ"	06	-27 115
التـــــوبـــة	"وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ	103	128
يـــــونس	" و لو شاء ربك..... حتى يكونوا مؤمنين"	10	30
يـــــونس	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ	26	94
هـــــود	وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ..... فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ	42 إلى 43	-14 -163 -174 175
هـــــود	" ونادى نوح ربه ...وأنت أحكم الحاكمين"	45	174
هـــــود	" قال يا نوح إنه ليس من أهلك.....أن تكون من الجاهلين"	46	175
هـــــود	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ..... مِمَّا تُجْرِمُونَ	35	34
هـــــود	"أم يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ..... إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"	13	89
يوســـــف	"لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ"	51	43
يوســـــف	رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ	101	60
يوســـــف	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ	111	82
يوســـــف	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ..... لَمِنَ الْغَافِلِينَ"	03	100
يوســـــف	"وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ..... وَإِنَّا لَصَادِقُونَ"	82	112

مســـرد الآيـــات

يوســـــــف	"إذ قال يوسف لأبيه.....رأيتهم لي ساجدين"	04	159
يوســـــــف	"قل هذه سبيلي.....وما أنا من المشركين"	108	161
إبراهيـــــــم	وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ	34	114
النحـــــــل	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	44	02
النحـــــــل	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ..... وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	125	-07 -10 71 -26
النحـــــــل	"أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"	17	40
النحـــــــل	"مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ..... بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"	97	93
النحـــــــل	وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ	90	121
الإســـــــراء	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى	01	74
الإســـــــراء	قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ..... لِبَعْضٍ ظَهِيرًا	88	88
الإســـــــراء	هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ	09	100
الكهـــــــف	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ..... أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا	54	05
الكهـــــــف	وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ	56	12
الكهـــــــف	فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا	34	58
الكهـــــــف	لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ..... ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا	37	12
الكهـــــــف	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ	110	31
الكهـــــــف	وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ..... خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا	31 إلى 44	64
الكهـــــــف	"وإذ قال موسى لفتاه.....حتى أحدث لك منه ذكرا"	60 إلى 70	143
الكهـــــــف	أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ..... يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا	79	167
الكهـــــــف	"قال إنك لن تستطيع ....ما لم تحط به خبرا"	67إلى 68	144
الكهـــــــف	"قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا"	69	144

مســـرد الآيـــات

الكهـــــف	"قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا	75	144
الكهـــــف	"قال إن سألتكعن شيء بعدها... لو شئت لتخذت عليه أجرا"	76- 77	145
الكهـــــف	"قال هذا فراق بيني وبينك ..... مالم تستطع عليه صبرا"	78	146
الكهـــــف	"أما السفينة .....ياخذ كل سفينة غصبا"	79	167
مـــــريـم	" أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا"	42	35
مـــــريـم	"وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ..... أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا"	41 إلى 43	57
مـــــريـم	"رَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ"	46	93
مـــــريـم	"وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا"	95	114
مـــــريـم	رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا	04	148
مـــــريـم	" واجعله رب رضيا"	06	-147 149
مـــــريـم	" عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا"	48	148
مـــــريـم	"يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ .....لم نجعل له من قبل سميا"	07	150
مـــــريـم	رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ..... وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا	08	-151 152
مـــــريـم	"رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا"	04	-147 148
مـــــريـم	" يا يحي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا"	12	153
مـــــريـم	"فأجاءها المخاض ..... وكنت نسيا منسيا"	23	-154 155
مـــــريـم	" فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا"	27	156
مـــــريـم	"يا أخت هارون ما كان أبوك امرئ سوء وما كانت أمك بغيا"	28	157
مـــــريـم	"إذ قال لأبيه يا أبت .....فتكون للشيطان وليا"	42 إلى 45	158
مـــــريـم	"يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا"	44	162
مـــــريـم	"يا أبت إني أخاف..... الرحمن فتكون للشيطان وليا"	45	-162 163
مـــــريـم	"قال أراغب أنت عن	46	-164 165

مســـرد الآيـــات

	آلهتي .....واهجرني مليا"		
طـــــــه	اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ..... يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى	43 إلى 44	27
طـــــــه	"قالوا يا موسى إما أن تلقي ..... وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى"	65 إلى 73	30
طـــــــه	"وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي "	27 إلى 28	33
طـــــــه	"فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ"	130	34
طـــــــه	"فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا"	44	38
طـــــــه	"قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى..... تَارَةً أُخْرَى"	49 إلى 55	38
طـــــــه	"قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي .....فَكَذَّبَ وَأَبَى"	52 إلى 56	72
طـــــــه	"فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى"	67	83
طـــــــه	"إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى"	69	84
طـــــــه	"وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي .....وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى"	124	96
طـــــــه	"كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ ..... مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا"	99	100
طـــــــه	" اذهبا إلى فرعون إنه طغى..... لعله يتذكر أو يخشى"	44-43	160
طـــــــه	"قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى"	52	180
الأنبيـــــاء	"إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ"	52	35
الأنبيـــــاء	"قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ"	66	36
الأنبيـــــاء	"قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون"	63	36
الأنبيـــــاء	"وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ .....وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ "	29 إلى 35	37
الأنبيـــــاء	" و تا الله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين"	57	56
الأنبيـــــاء	وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ ..... وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ	89 إلى 90	150
الأنبيـــــاء	" قالوا حرقوه..... وكانوا لنا عابدين"	68إلى 73	166
الأنبيـــــاء	" فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون"	58	166
الحـــــــج	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ ..... وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ	08	33

مســـرد الآيـــات

الحـــــــج	وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ ..... ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ	73	40
الحـــــــج	أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ .....إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ	73 إلى 74	41
الحـــــــج	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ .....وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ	39 إلى 41	43
النـــــــور	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ..... لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا	55	94
النـــــــور	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ..... طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	02	-95 128
الفرقـــــان	"وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا"	48	115
الشعـــــراء	"لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ .... بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ"	194إلى 195	03
النمـــــل	"أمن يبدأ الخلق .....إن كنتم صادقين"	64	33
النمـــــل	قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ ..... أَمَّا يُشْرِكُونَ	59	37
النمـــــل	فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ .....وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ	22 إلى 23	58
النمـــــل	قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ..... حَتَّى تَشْهَدُونِ	29 إلى 32	73
القـــــصص	وقالوا لنا أعمالنا ..... لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ	55	34
القـــــصص	أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ	28	114
العنكبـــــوت	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	46	27
العنكبـــــوت	وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ	43	41
العنكبـــــوت	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ .....وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ	46	56
العنكبـــــوت	" ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه.. فأخذهم الطوفان وهم ظالمون"	14	173
لقمـــــان	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	25	39
لقمـــــان	هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ	11	40
لقمـــــان	وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ	14	128
السجـــــدة	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ	17	94
الأحـــــزاب	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ..... إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا	72	06
سبـــــأ	" ويرى الذين أوتوا العلم... ويهدي إلى صراط العزيز الحميد"	06	29

مســـرد الآيـــات

سبـــــــــأ	وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ	24	32
سبـــــــــأ	قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ	25	33-32
سبـــــــــأ	قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ	26	33
فـــــــــاطر	مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا	02	113
فـــــــــاطر	فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ	32	142
يـــــــــس	" ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون"	22	114
يـــــــــس	" ألم أعهد البكم يا بني آدم ....إنه لكم عدو مبين"	60	162
يـــــــــس	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ..... وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ	78 إلى 81	137
الصـــــافات	وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا ..... فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ	20 إلى 23	15
الصـــــافات	"أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ .....فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"	156إلى 157	33
الصـــــافات	"وقال إني ذاهب إلى ربي ...كذلك نجزي المحسنين"	99 إلى 100	170
الصـــــافات	"فلما بلغ معه السعي ....ستجدني إن شاء الله من الصابرين"	102	171
الصـــــافات	" فلما أسلم وتله للجبين"	103	172
الصـــــافات	"وناديناه أن يا إبراهيم ....كذلك نجزي المحسنين"	104 إلى105	172
الصـــــافات	"إن هذا لهو البلاء المبين"	106	172
الصـــــافات	" وتركنا عبيه في الآخرين.... إنه من عبادنا المؤمنين"	108إلى111	173
ص	"أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ..... إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ"	05 إلى 07	66
الزمـــــــر	" ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن ... لعلهم يتذكرون"	27	63
الزمـــــــر	" الله نزل أحسن الحديث...الذين يخشون ربهم"	23	85
غـــــافـــر	مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ ..... تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ	04	11
غـــــافـــر	الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ	35	12
غـــــافـــر	وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ	60	148
الـــــزخرف	مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا	58	12
الـــــدخان	ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ	49	110
الجـــــاثية	وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ	24	19

مســـرد الآيـــات

الأحفـــــاف	وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا	15	128
محمـــــد	فَضَرْبَ الرِّقَابِ	04	120
الـــــذاريات	"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"	56	-05 -41 153
الـــــذاريات	"إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ"	25	60
النـــــجم	"وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى	3 إلى 4	81
القـــــمر	"يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ..... هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ"	6 إلى 8	68
الرحـــــمن	"الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ *خَلَقَ الْإِنْسَانَ *عَلَّمَهُ الْبَيَانَ"	1 إلى 4	70
الواقعـــــة	"ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ *لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ	51 إلى 52	60
الواقعـــــة	"وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ .....لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ"	27 إلى 34	93
الواقعـــــة	"وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ..... الْحِنْثِ الْعَظِيمِ"	41 إلى 46	95
الواقعـــــة	"وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون"	47	148
المجـــادلة	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا.	01	13-10
المجـــادلة	فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا	03	118
الحـــــشر	وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	21	85-41
التـــــحريم	"ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ..... ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ"	10	60
الجـــــن	"إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ"	01 إلى 02	02
الجـــــن	"قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ .....مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا"	20 إلى 22	60
الجـــــن	"فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا"	18	114
المـــــزمل	"وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا"	10	34
القيـــــامة	"أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى"	40	15
القيـــــامة	"أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى"	36	42
النـــــبأ	" إنا أنذرناكم عذابا قريبا.. ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا"	40	156
الإنفـــــطار	الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ	6 إلى 8	14
الأعـــــلى	سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى	01	15
الشـــــرح	أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ	01	74
الشـــــرح	فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ	07 إلى 08	93

مســـرد الآيـــات

العـــــــــلق	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ	01	74-04
العـــــــــصر	إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ	02	113
الإخـــــــلاص	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ	01	73
الفـــــــــلق	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ	01	73

مسرد الاحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
1.	كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا قرأ:(أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠)، قال :"سبحانك،فبكى"، وإذا قرأ:(سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١)، قال:**{سبحان ربي الأعلى}**	15
2.	عن علي رضي الله عنه قال: "حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله".	27
3.	عن عائشة رضي الله عنها قالت:" أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن ننزل الناس منازلهم".	28
4.	عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال:" ما أنت بمحدث قوما حديثا، لا تبلغه عقولهم إلاّ كان لبعضهم فتنة".	28
5.	عن عائشة رضي الله عنها قالت:" كان كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم فصلا، أي بيّنا ظاهرا يفهمه كل من يسمعه".	34
6.	قال عليه الصلاة و السلام:" ما من نبي إلاّ أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، و إنما الذي أوتيته وحيا أوحيّ إليّ فأنا أرجوا أن أكون أكرهم تابعا".	84
7.	عن عائشة رضي الله عنها قالت:" إنّما نزل أول ما نزل سورة من مفصل فيها ذكر الجنة و النار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام، و لو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر و لو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا".	90
8.	قوله عليه الصلاة و السلام:" يا عبد الله ابن قيس، أو يا أبا موسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة، قال بلى قال: لا حول و لا قوّة إلاّ بالله"	94
9.	قوله عليه الصلاة و السلام:" إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها أمتي ما زوي لي منها".	94
10.	عن أبي هريرة - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: قال: الله عزّ وجلّ:" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت	94

مسرد الاحاديث

	ولا خطر على قلب بشر"، و اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾	
11.	قوله عليه الصلاة و السلام:" من بدّل دينه فاقتلوه".	96
12.	عن علي كرم الله وجهه قال:" جلد رسول الله صلى الله عليه و سلم أربعين و أبو بكر أربعين و عمر ثمانين وكل سنة و هذا أحبّ إليّ".	96
13.	عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:" الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله و ماله"	97
14.	عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله".	97
15.	حديث ذي اليدين:" أقصرت الصلاة أم نسيت". قال عليه الصلاة و السلام:" كل ذلك لم يكن..".	111
16.	" أيّما امرأة أنكحت بغير إذن وليّها فنكاحها باطل".	114
17.	قوله صلى الله عليه و سلم:" لا نكاح إلاّ بولي".	118
18.	قوله صلى الله عليه و سلم:" لا نكاح إلاّ بولي مرشد".	118
19.	كتابة النبي صلى الله عليه و سلم لعماله على الصدقات	123
20.	قوله صلى الله عليه و سلم:" الشهر هكذا و هكذا".	123
21.	عن المغيرة بن شعبه قال: " بعثني رسول الله إلى قوم نجران فقالوا: أرأيت ما	157

مسرد الاحاديث

	تقرؤون" يا أخت هارون" قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال المغيرة: فلم أر ما أقول، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكرت ذلك له، فقال: ألم يعلموا أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم "	
.22	" إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا و لا تنام قلوبنا".	171

قائمة المصادر و المراجع

1- القرآن الكريم.

2- د: إبراهيم سامرائي، التطور اللغوي، دار الأندلس، الطبعة الثالثة، بيروت، طبع 1983.

3- الأخفش، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت ، الطبعة 1، 1405.1985.، دراسة و تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد.

4- إدريس أوهنا: أسلوب الحوار، الموضوعات و المناهج و الخصائص، دار أبي رقراق، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 1426.2005.

5- الآمدي عي بن محمد، الإحكام في أصول الإحكام، المكتب الإسلامي، بيروت، طبع 1402. تعليق عبد الرزاق عفيفي.

6- د. أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة، الإسكندرية، طبع سنة1996.

7- الإيجي عبد الرحمن، كتاب المواقف، التراث العربي، بيروت، طبع سنة 1239. شرح السيد الشريف، قسنطينة.

8- أبو البقاء الحسيني الكوفي، الكليات، القاهرة، طبعة بولاق، طبع 1417.1997.

9- البيضاوي ناصر الدين بن محمد الشيرازاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الأولى، 1984.

10- البخاري: محمد بن اسماعيل الجعفي، الصحيح، المكتبة الثقافية ، بيروت، 1415.1995.

11- البهيقي: أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى، السنن الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبع سنة 1414.1997.

12- د. بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، طبع سنة 1980.

13- ابن تيمية: تقي الدين أحمد ين عبد الحليم الحراني، الرد على المنطقيين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، طبع سنة 1993.
14- التهانوي، الكشّاف إطلاحات الفنون، المكتبة الإسلامية، بيروت، طبع سنة 1966.
15- الجاحظ: كتاب النبوات، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الثانية، طبع 1411. 1991.
16- الجاحظ: الحيوان، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، طبع 1388. 1966.
17- الجاحظ: البيان و التبيت، دار الجيل، بيروت، (ب.ت.ط).
18- ابن الجنّي، الخصائص، دار الكتاب العربي، بيروت، (ب.ت.ط).
19- ابن جزي الكلبي الغرناطي: تقرير الوصول إلى علم الأصول، دار التراث الإسلامي، الجزائر، تحقيق د.محمد علي فركوس، ط1، طبع 1990.1410.
20- الجرجاني عبد القهار بن عبد الرحمن بن محمد، دلاىئل الإعجاز، دار الكب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، (ب.ت.ط).
21- الجرجاني أبو الحسن المعروف بالسيد الشريف، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، طبع سنة 2002.1423.
22- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني،بيروت، طبع سنة 1403.1982.
23- أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار الكتاب العلمية، بيروت، (ب.ت.ط).
24- المنخول في التعليقات على الأصول، حققه وخرجّ نصه وعلق عليه محمد حسن هيتو، دار الفكر للطباعة، ط1(ب ت ط).
25- أبو الحيان الأندلسي، البحر المحيط،/ (ب.ت.ط).
26- ابن الحاجب، مختصر المنتهى، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، (ب.ت.ط).
27- د. حسين جرنو محمود جلو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، طبع سنة 1994.1414.

28- حسن فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، قواعده أساليبه معطياته، دار المنصورة قسنطينة، الجزائر، (ب.ت.ط).
29- د.حسن محمد ياجودة، تأملات في سورة مريم ، دار الاعتصام.
30- ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب.ت.ط).
31- الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، طبع 2002.1424.
32- د. خالد أحمد أبو الجندي، الجانب الفني في القصة القرآنية، دار الشهاب، باتنة الجزائر، (ب.ت.ط).
33- أبو داود سليمان بن الأشع سجستاني، السنن، دار الجيل، بيروت، طبع 1412.1992.
34- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصر، (ب.ت.ط).
35- ابن رشد: فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الإتصال، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، طبع 1982.
36- الرازي: فر الدين المشتهر بخطيب الريّ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
37- المحصول في علم أصول الفقه، مطبعة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1981.
38- الزمخشري، أساس البلاغة، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، طبع 1412ه/ 1992م.
39- الزمخشري، الكشّاف عن حقائق التنز يل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة ، بيروت - لبنان،(ب.ت.ط).
40-د: الزوبعي طالب محمد اسماعيل، من أساليب التعبير القرآني، دار النهضة العربية، اصدارات الجوهرة، طبع 1996.
41- الزبيدي: أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، طبع 1983.

42- الزركشي بدر الدين: البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف و الشؤون و الإسلامية، الكويت، الطبعة 2، طبع 1992.
43- أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن الكريم، دار الفكر العربي، مصر، (ب.ت.ط).
44- الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، طبع 1422.2001.
45- د. زكريا صيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، الطبعة الثانية،طبع سنة 1993.
46- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ت.ط).
47- السيوطي: جلال الدين، المزهر في علوم اللغة،بيروت، طبع سنة 1416.1996.
48- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر،(ب.ت.ط.).
49- السيوطي، تفسير الجلالين، مصر، (ب.ت.ط).
50- د. سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، طبع سنة 1998.
51- سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة 15، طبع سنة 1408.1988.
52- التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، (ب..ط).
53- الشاطبي محمد أبو اسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتاب العلمية، بيروت.
54- الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، دار النشر أنجاد (ب ت ط)
55- الشافعي محمد بن ادريس الشافعي ، الرسالة، دار النفائس، ط1، طبع سنة 1999.1419.

56- الشنقيطي محمد الأمين، شرح نثر الورود على مراقي السعود، دار المنارة، جدة، السعودية، ط3، طبع 2002.1423.
57- الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة أصول الفقه على الروضة الناظر، دار اليقين، مصر، ط1، طبع 1999.1419.
58- الشوكاني: محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير، دار الوفاء المنصورة، طبع سنة 1415.1994.
59- الشنتمري: أبو الحجاج يوسف، ديوان إمرء القيس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبع 1974.، صححه الشيخ ابن أبو ستب.
60- الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، تونس، طبع 2000.
61- الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، تونس، 2000.
62- الدكتور صبري خدمتلي، العقيدة و الفرق الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنن الجزائر، 1994.
63- الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، طبع سنة 1999.1415.
64- د طه عبد الله السبعاوي، أساليب الإقناع من منظور الإسلامي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، طبع 1426.2005.
65- د، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، دار الطابي للطباعة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، (ب.ت.ط).
66- أبو العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، ط9، طبع 1416.1996.
67- د.عبد الواحد وافي، فقه اللغة، مطبعة النهضة، مصر، الطبعة الثامنة، (ب.ت.ط).
68- د.عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، اصدارات المجلس الوطني للثقافة و الفنونو الآداب، الكويت، 1419.1998.

69- عبد الرؤوف سعد أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار الفكر، طبع سنة 1409 ه/1998م، قدم له وعلق عليه وضبطه طه
70- د. عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، طبع 1403. 1983.
71- عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية و و أساليبها، (ب.ت.ط).
72- د.عبد الرحمن حنفي، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم،الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبع 1985.
73- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، القرآن و القضايا الإنسان، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، طبع 1981.
74- د.عبد الرحمن العيسوي، دراسات في علم النفس الإجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية، طبع سنة 1974.
75- د. عامر مصباح، الإقناع الإجتماعي، خلفيته النظرية و آلياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 2005.
76- د.علاء الدين، ما هو التصوف، دار العربية، بغداد، طبع 1409.1988.
77- د. عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر، (ب.ت.ط).
78- عاص أحمدعجيلة، حرية الفكر و ترشيد الواقع الإسلامي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة، 1410.1990.
79- الفراء أبو زكريا يحي ابن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 195 و الثانية 1980، حققه الذكتور محمد علي النجار و الدكتور أحمد يوسف نجاتي.
80- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، طبع 1979. تحقيق عبد السلام عبد السلام هارون.
81- الصاحبي، في فقه اللغة، مؤسسة بدران، طبع 1383.1964.

82- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب شرح الكبير للرفاعي، دار الفكر، (ب.ت.ط).
83- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار العلم ، بيروت، (ب.ت.ط).
84- د. فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر، دمشق سوريا، طبع سنة 1985.
85- د. فتحي التركي، أفلاطون و الديالكتيكية، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الثانية سنة 1986.
86- أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار الفكر، طبع سنة 1409 ه/1998م، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد.
87- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، طبع 1997.1417.
88- ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، طبع سنة 1994.1414.
89- القمي: نظام الدين النيسابوري، تفسير عرائب القرآن و رغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، طبع سنة 1996.1416.
90- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، بيروت، لبنان، دار التقوى، (ب.ت.ط).
91- ابن منظور لسان العرب، بيروت، دار صادر الطبعة الأولى، طبع 1997.
92- د.محمد يعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي، محاولة في المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 1994.
93- مصطفى صادق الرفاعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة التاسعة، طبع 1973.1393.
94- محمد الغزالي، المحاور المسة في القرآن الكريم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (ب.ت.ط).

95- مسلم، ابن حجاج القشيري النيسابوري، الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.1415.
96- د.مصطفى الحجازي، الإتصال الفعال في العلاقات الإنسانية و الإدارة، المركز العربي، بيروت، طبع 1982.
97- د. مهدي فضل الله، مدخل إلى علم المنطق، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، طبع 1985.
98- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ الأدب العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، طبع 2001.
99- مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار الطلاس، الطبعة الأولى، طبع سنة 1989.
100- محمد صادق علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، طبع 1995.1415.
101- محمد علي الصابوني، تفسير السور الكريمة دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 8، 1415هـ/1995م.
102- مختصر تفسير ابن كثير، شركة الشهاب، الجزائر، 1990.1410.
103- مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثالثة، طبع 2000.1422.
104- د. محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، فعالياته في بناء العقلية الإسلامية، شركة شهاب، الجزائر، (ب.ت.ط).
105- محمد متولي الشعراوي، أسئلة حرجة و أجوبة صريحة، بيروت، دار العودة، طبع سنة 1982.
106- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، دار التونسية، تونس، طبع سنة 1984.
107- النسفي عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل و حقائق التأويل، طبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة، (ب.ت.ط).

108- النسائي: أحمد ان شعيب، السنن، دار الجيل، بيروت، طبع سنة 1411.1991.
109- ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، طبع سنة 2003.1424.
110- الوزير: محمد ابن علي، المصفى في علم أصول الفقه، دار الفكر، دمشق، 2001.
111- د. وليد محمد مراد، نظرية النظم و قيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القادر الجرجاني، دار الفكر، دمشق سوريا، الطبعة الأولى، طبعت سنة 1989.1403.

المعاجم و الموسوعات

1- المعجم العربي، الأساس المنظمات العربية للتربية و الثقافة و العلوم، توزيع لاروس.
2- الموسوعة الفقهية، طبعة وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الكويت، الطبعة الأولى، طبع سنة 1990.1411.

قائمة المجلات و الرسائل الجامعية

1- د. أحمد حساني، العلامة في التراث العربي، رسالة الدكتوراه، معهد اللغة العربية وآدابها – جامعة وهران- 1997/1996.
2- د. ليلى جمعي، أثر حوار الحضارات في تطور القواعد القانونية ودور ذلك في حماية مستقبل الإنسانية مجلة الحضارة الإسلامية جامعة وهران العدد 11، شعبان 1425ه/ أكتوبر 2004.
3- د.محمد زعراط، الإنسان في القرآن الكريم، مقاربة فكرية تحليلية لمبدأ الخلق الإنساني، رسالة الدكتوراه، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 1998/1997.

4- مجلة الفيصل، العدد 274، دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية الإسلامية، صدرت في سنة 1999.1420.
5- د. عاطف قاضي، علم الدلالة عند العرب، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 18- 19، صدرت في سنة 1982.
6- أثر القرآن في الإنبعاث الحضاري، د. العربي قلايلية، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، صدرت في سنة 2003.1424. قسنطينة.
7- اللسانيات و النص القرآني، د.عبد الحليم بن عيسى، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، العدد الثالث، صدرت في 1997.1996.
8- مقومات السرد الإعجازي في الخطاب القصصي القرآني، الطالب دحماني نور الدين، مخطوط الماجيستار في الأدب العربي، جامعة وهران، سنة 2002.
9- الحوار الفاعل أو الإيجابي بين المسلمين كأداة لترسيخ التسامح، لنجاح كاظم، صدرت في 2003. الموقع .www. Annhar.com.ib.
مفاهيم حضارية، الخطاب و لغة الحوار، جريدة الوطن، صدر سنة 2003. www. Annahar.com.ib.

فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة.....أ – د

المدخل.....2 – 24

نشأة الحوار.....05

ضابط مفهوم الحوار.....07

الحوار والجدل.....09

بعض النماذج الحوارية في القرآن.....13

أنواع الحوار وأساليبه.....14

الحوار في الفكر الإنساني.....17

الحوار في الأدب العربي..... 18

الحوار في الفكر الإسلامي.....20

الفصل الأول: أسلوب الحوار القرآني.....26 -53

المبحث الأول: أصول الحوار و آدابه 26

أ/ الواقعية في الخطاب وإنزال الناس منازلهم.....26

ب/ احترام المعارض والهدوء في العرض بعيدا عن الانفعالية.....28

ج عدم الإكراه وحسن الاستماع 29

د/ حرية الفكر ومناقشة التفكير.....30

ه/ اعتبار الشك في الفكرة موقفا مشتركا بين الطرفين.....31

و/ الانضباط في القواعد المنطقية وحسن البيان 33

ز/ ختم الحوار بهدوء والإشهاد على المبدأ.....34

المبحث الثاني: طريقة الاستدلال في القرآن الكريم.....35

أولها الاستدلال بالتعريف.....35

ثانيها الاستدلال بالتجزئة.....36

ثالثها الاستدلال بالتعميم ثم التخصيص.....38

رابعها الاستدلال بالمقابلة 39

خامسها الاستدلال بالتشبيه و الأمثال 40

سادسها الاستدلال بالعلّة و المعلول 42

المبحث الثالث: المراتب الحوارية و وظائفها ضمن الخطاب الأدبي.....43

1- ماهية الخطاب الأدبي 43
2- المراتب الحوارية.....46
3- الحوار و الصورة الفنية 51
4- الحوار و الفاصلة القرآنية 52

الفصل الثاني: جماليات الحوار القرآني.....55- 101
1- مدخل إلى أسلوب الحوار القرآني 55 2-
صور الحوار القرآني 56
المبحث الأول: الحوار القصصي في القرآن 59
1- مفهوم القصص 59
2- وظيفة الحوار في القصص القرآني.....59
المبحث الثاني: الحوار و المثل القرآني.....61
1-مفهوم المثل 61
2- الاستدلال بالأمثال 62
3- المثل القصصي في القرآن الكريم 63
المبحث الثالث: الحوار ووظيفته التبليغية و التعليمية و التربوية.....65
المبحث الرابع: خصائص الخطاب الحواري في القرآن.....70
1- الخطاب القرآني ولغة الحوار.....70
2- الحض على التأمل.....72
3- عدول الحوار عن فحوى الحديث الآني.....72
4- الإيجاز والإطناب.....74
المبحث الخامس: بعض نماذج أساليب الإقناع في القرآن الكريم.....76
1- مفهوم الإقناع.....77
2- أقسام الإقناع:.....79
3-أسس الخطاب الإقناعي.....79
4- مادة الإقناع.....80
ا/ القرآن الكريم.....80
ب/ السنة المطهرة.....81
ج/ سيرة السلف الصالح.....81

د/ التجارب.....81
ه/ الحقائق العلمية.....82
و/ الأعراف والعادات والتقاليد.....82
5- أساليب الإقناع العملية.....82
أ- خوارق العادات 82
1/ المعجزة.....82
2/ أثر المعجزة في النفس البشرية.....83
3/ تأثير القرآن و إعجازه.....84
ب- الاستدراج 86
1/ التدرج في التشريع.....86
2/ بعض النماذج على الاستدراج.....88
أ/ التدرج في التحدي 88
ب/ التدرج في تحريم الخمر 89
ج/ التدرج في تشريع القتال 90
ج/ أسلوب الترغيب والترهيب.....92
1- أسلوب الترغيب.....92
أ- تعريف الترغيب.....92
ب- أقسام الترغيب.....93
2-أسلوب الترهيب 95
أ- تعريف الترهيب.....95
ب- أقسام الترهيب.....95
د/ أسلوب القصص 97
1-. مفهوم القصص.....97
2- أغراض القصة.....98
3- المنهج القصصي في القرآن.....99
4- هدف القصة القرآنية التربوي والاعتباري.....100

الفصل الثالث: علم الدلالة في تراثنا العربي 103- 129
المبحث الأول :مفهوم الدلالة واتجاهاتها.....104

1- مفهوم الدلالة.....104
2- الاتجاهات الدلالية.....105
أ- الاتجاه البلاغي.....105
ب- الاتجاه اللغوي 107
ج-الاتجاه الأصولي 108
1/ دلالة الاسم على المسمى.....109
2/ دلالة السياق.....109
3/ دلالة التقديم والتأخير.....110
4/ دلالة الاقتضاء.....111
المبحث الثاني:دلالات اللفظ من حيث الصيغة و النظم 112
1- مفهوم مصطلح العام.....112
2- الصيغ الدالة على العموم.....113
3- مفهوم الدال الخاص.....115
4- أقسام الدال الخاص من حيث الصيغة.....116
أ/ المطلق.....116
ب/ المقيد.....117
ج/ حمل المطلق على المقيد.....117
1-الأمر.....119
2-النهي.....120
المبحث الثالث:الدلالة بين الغموض و الوضوح.....121
أ- دلالة الغموض 121
1- المجمل..... .121
2- مواطن الإجمال.....122
ب- دلالة الوضوح.....123
1- المبين.....123
2- طرق حصول البيان.....123
المبحث الرابع:دلالة اللفظ من حيث الفحوى و الإشارة و الاستعمال.....125
1- دلالة المطابقة 125
2- دلالة التضمن 125

3- دلالة الالتزام 125
4- دلالة الفحوى و الإشارة 125
أ- المنطوق.....125
ب- الفحوى (المفهوم).....126
5- دلالة الإيماء.....127
6- دلالة اللفظ من حيث الاستعمال 128
أ- الدال المجازي 128
ب- الدال الحقيقي 129

الفصل الرابع: دراسة تطبيقية للدلالات الحوارية في القرآن الكريم.....131-180
1- دلالات الحوار العقدية.....131
أ- دلالة الحوار على إثبات وجود الله ووحدانيته.....132
ب- دلالة الحوار على دحض حجة الخصم.....135
ج- دلالة الحوار في إثبات عقيدة البعث.....136
2- دلالة الحوار التشريعية.....138
3- دلالة الحوار التعليمية.....142
4- دلالة الحوار على الدعاء.....147
5- دلالة الحوار على الاستجابة.....150
6- دلالة الحوار على التمني.....154
7- دلالة الحوار على الاستنكار.....156
8- دلالة الحوار على التشبيه.....157
9- دلالة الحوار على النصيحة والرفق.....158
10- دلالة الحوار على الإنكار والتعجب.....164
11- دلالة الحوار البلاغية..... 166
12- دلالة الحوار على الابتلاء.....170
13- دلالة الحوار على الشفقة و حنان الأبوة.....173
14- دلالة الحوار على التوبيخ والتقريع.....175
الخاتمة.....182
مسرد الآيات.....184

مسرد الأحاديث.....194
قائمة المصادر و المراجع.....196
فهرس الموضوعات.....209